الموقع الالكتروني : www.lixus-magazine.net
البريد الالكتروني : Lixus@maroc-histoire.com

العدد 24
ماي 2018م

مجلة ليكسوس
ⵜⴰⴳⵍⵍⵉⵜ ⵏ ⵍⵉⴽⵙⵓⵙ

مجلة إلكترونية متخصصة في التاريخ والعلوم الإنسانية

الترقيم الدولي المعياري للمجلة: ISSN: 2605-6259

بمناسبة فاتح ماي

## ملف العدد: تاريخ الحركات الاجتماعية بالمغرب

# الحركة العمالية المغربية
## المسار والنشأة

## محتويات العدد:


- التاريخ القديم: الكتابة الليبية بين المحلي والمشرقي (الأبجدية الفينيقية).
- التاريخ الوسيط: سلاطين خطاطون من المغرب الإسلامي
- التاريخ المعاصر: الصحافة الأوروبية والصراع على مدينة طنجة
- ذاكرة مدن: الأوقاف وعائدتها بمدينة فاس.
- رحلات: بعثة خوليو ثيربيرا بابييرا الاستكشافية إلى الصحراء المغربية.
-رحلة محمد بن عبد السلام السايح إلى باريس.
- تاريخ الجنوب المغربي: -القيادات المخزنية بسوس: قيادة سعيد الكلولي الحاحي
-منطقة سوس قبل الحماية: السلطة والمجال
- علم الاجتماع: الفعل الثقافي بالمدينة ورهان التنمية


مدرجة ضمن قائمة دوريات بيانات HumanIndex دار المنظومة DAR AL-MANDUMAH
مجلة ليكسوس منشورة على شبكة أنترنيت الأرشيف INTERNET ARCHIVE
المدير المسؤول: محمد أبيهي

# من ثمرات المطابع

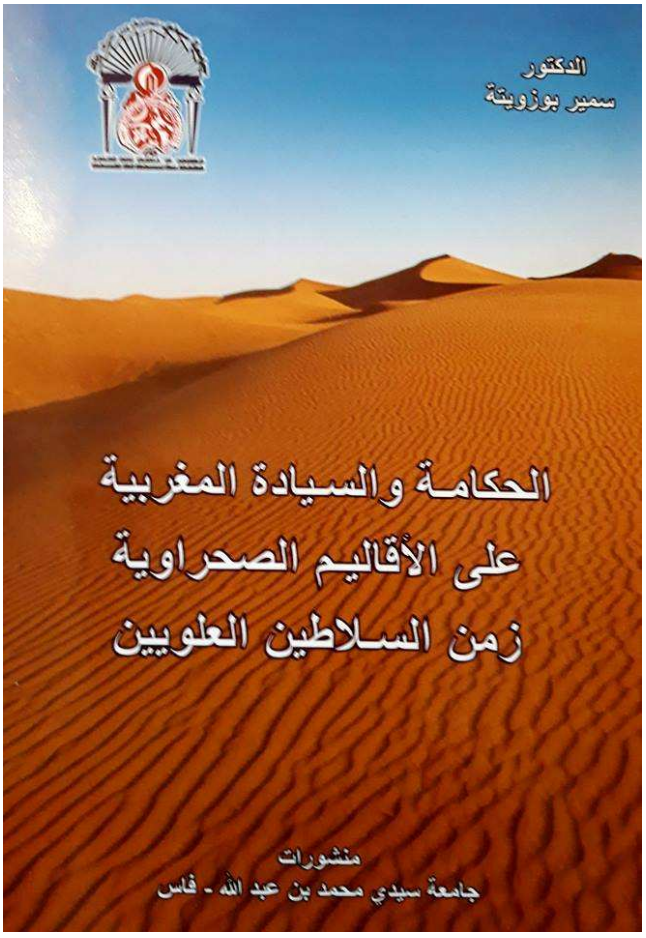


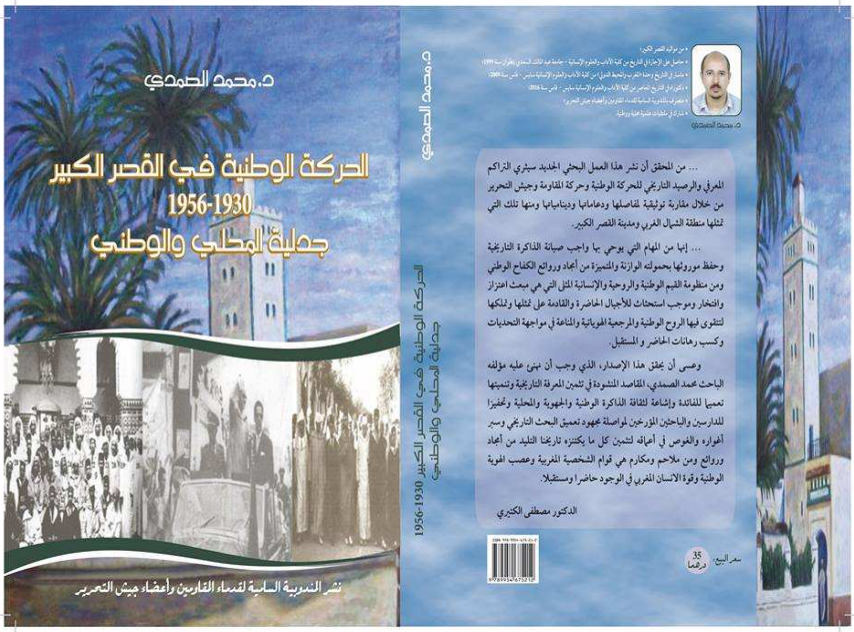


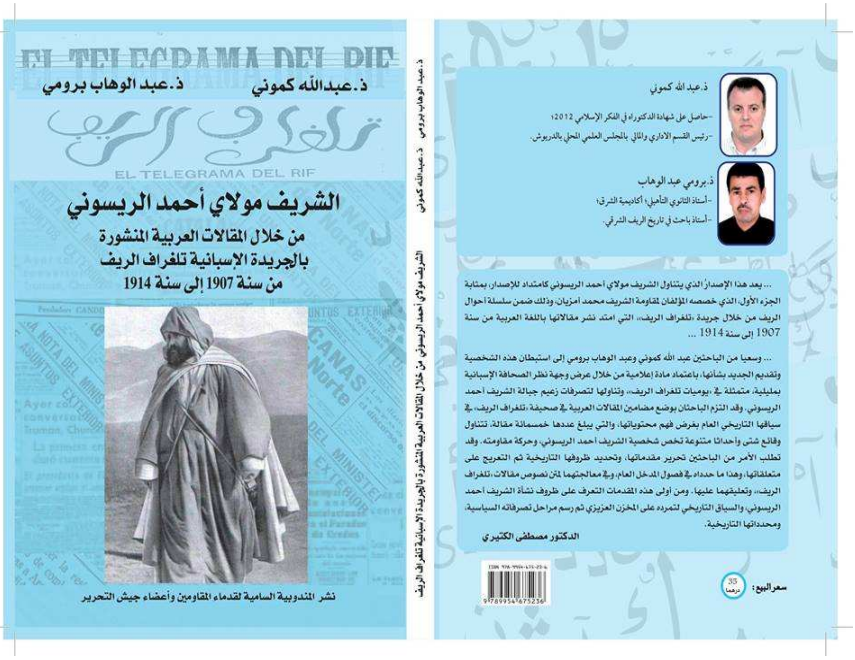

# الهيئة العلمية

ـ دة.خذيجة الراجي
ـ أستاذة التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بشعبة التاريخ
ـ جامعة ابن زهر بأكادير ـ باحثة متخصصة في تاريخ الجنوب المغربي.
ـ عضوة هيئة التحرير ومنسقة محاور المجلة. البريد الالكتروني:khadija_rajy@yahoo.fr

ـ د.خالد الصقلي
ـ أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس -شعبة التاريخ
ـ باحث متخصص في تاريخ المغرب.
ـ عضو هيئة التحرير. البريد الالكتروني:sqallikhalid@hotmail.com

ـ د.المرون مصطفى
ـ أستاذ باحث في التاريخ المعاصر
ـ باحث متخصص في تاريخ شمال المغرب.
ـ عضو هيئة التحرير. البريد الالكتروني:mustaphaclmerroun@yahoo.cs

ـ د.محمد أبيهي
- أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط - جامعة محمد الخامس
ـ حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة محمد الخامس بالرباط.
ـ عضو هيئة التحرير ومدير المجلة البريد الالكتروني:lixus@maroc-histoire.com

ـ د.مصطفى الريس
ـ باحث في تاريخ المغرب المعاصر
ـ حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة أبي شعيب الدكالي بالجديدة.
ـ عضو هيئة التحرير البريد الالكتروني mustapharais149@gmail.com

ـ د.خالد أوعسو
ـ باحث في تاريخ المغرب المعاصر
ـ حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة محمد الخامس بالرباط.
ـ عضو هيئة التحرير البريد الالكتروني: ouassouk@yahoo.fr

ـ د.عبد الرزاق السعيدي
- باحث في تاريخ المغرب الوسيط
ـ حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة سيدي محمد بن عبد الله ـ فاس.
ـ عضو هيئة التحرير البريد الالكتروني: saidiabonihal@gmail.com

# فهرس المحتويات


| الموضوعات: | الصفحة |
|---|---|
| ■الافتتاحية: | 5 |
| ■ أكرويض لحسن،الحركة العمالية المغربية: المسار والنشأة- ملف العدد | 8 |
| ■ ادريس فائق،الكتابة الليبية بين المحلي والمشرقي (الأبجدية الفينيقية). | 20 |
| ■ خالد الصقلي،الأوقاف وعائداتها بين استثمارها والمحافظة عليها:نموذج مدينة فاس | 28 |
| ■ فاطمة أوعسو،منطقة سوس قبل الحماية السلطة والمجال(ملاحظات أولية حول تطور الإدارة) | 50 |
| ■ عبدالحكيم خلفي،سلاطين خطاطون من المغرب الإسلامي | 59 |
| ■ عادل جاهل،بعثة خوليو ثيربيرا بابييرا الاستكشافية إلى الصحراء المغربية سنة 1886م:قراءة في الدواعي والسياق التاريخي | 69 |
| ■ عز الدين شعوب،الرحلة المغربية إلى أوروبا في القرن العشرين رحلة محمد بن عبد السلام السايح "أسبوع في باريس 1922م" نموذجا | 80 |
| ■ الحسين النوحي،القيادات المخزنية بسوس وأثارها على المجال "قيادة سعيد الكلولي الحاحي نموذجا" | 92 |
| ■ أيت خليفة امبارك،الفعل الثقافي بالمدينة ورهان التنمية نحو مدخل ثقافي تنموي. | 101 |
| - باللغات الأجنبية: | 108 |
| ■ Bouhssi Hafida,European press as one of the aspects of the conflict on the city of Tangier | |

# الإفتتاحية

د.محمد أبيهي
مدير مجلة ليكسوس
الالكترونية

لقد بدأ هذا المولود الالكتروني بإمكانيات متواضعة لهدف رسم معالم خط تحريري، واستطاع أن يوصل إسهامات الباحثين الشباب في التاريخ على نطاق واسع، فرغم ما يقال عن هذه التجربة من كونها لا تستجيب للمعايير العلمية المتعارف عليها،ولكونها عفن فكري، فمجهودات طاقم المجلة المتكون من أساتذة جامعيين وباحثين مرموقين في التاريخ، في اختيار المواضيع العلمية ذات العلاقة بتاريخ المغرب والمغارب مبني على رؤية علمية، وذلك من أجل جعل هذه المجلة الفتية مرجعا تاريخيا لطلاب العلم والباحثين في حقل الدراسات التاريخية بالمغرب وخارجه، فلقد استقبلت المجلة منذ تأسيسها المئات من المقالات العلمية، التي تناولت قضايا تاريخ المغرب والمغارب، كما تضمنت إسهامات في مناهج التاريخ والعلوم الإنسانية، وسعت من خلال ذلك الى جعل هذه المجلة منبرا للباحثين الشباب والمهتمين، وبهذه المناسبة أود أن أوجه شكري الخاص لكل المساهمين في هذه المجلة، وعلى ثقتهم في هذا المنبر العلمي.

يسعد طاقم مجلة ليكسوس الالكترونية أن يضع بين يدي القارئ الكريم هذا العدد من هذه المجلة الالكترونية، وأدرجت المجلة في هذا العدد ثلة من المواضيع المختلفة، وقد أسهم في اغناء محتوياتها باحثين من المغرب وخارجه، وهذا يعكس انفتاح مجلة ليكسوس الالكترونية على كل مختلف تخصصات العلوم الانسانية، وذلك لهدف تثمين التبادل المعرفي والعلمي بين الباحثين، وإيمانا من طاقم المجلة بضرورة ربط أواصر التعاون وتبادل الخبرات بين المهتمين في مختلف تخصصات العلوم الإنسانية، لتكون رافدا ومرجعا علميا للطلاب والباحثين بالجامعات المغربية.

وأملنا جميعا أن تكون هذه المساهمات العلمية إضافة بيبلوغرافية نوعية للقارئ الكريم، وذلك لتسليط الضوء عن بعض القضايا التاريخية، وكلنا أمل أن تكبر مجلة ليكسوس الالكترونية بفضل تفاعلكم معنا قراء وكتابا، وذلك لنشر المعرفة التاريخية على نطاق واسع، وننتظر مساهماتكم ومقالاتكم لاغناء هذا المشروع التاريخي الالكتروني، لكي يكون منارة وقنطرة للباحثين والتعريف بانتاجاتهم التاريخية.

وفي الختام نشكر كل من ساهم في إثراء هذا العدد من مجلة ليكسوس الالكترونية، وموعدنا سيتجدد إن شاء الله في العدد المقبل من هذا المولود الالكتروني، ليواصل إصداراته الالكترونية لتعم الفائدة لدى جميع المهتمين بالمعرفة التاريخية.

الترقيم الدولي المعياري للدورية:ISSN: 2605-6259

مجلة ليكسوس مدرجة ضمن قواعد
بيانات دار المنظومة للنشر الالكتروني.
www.mandumah.com

دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH

مجلة ليكسوس منشورة على
شبكة أنترنيت الأرشيف

INTERNET ARCHIVE

https://archive.org/details/@lixus_magazine

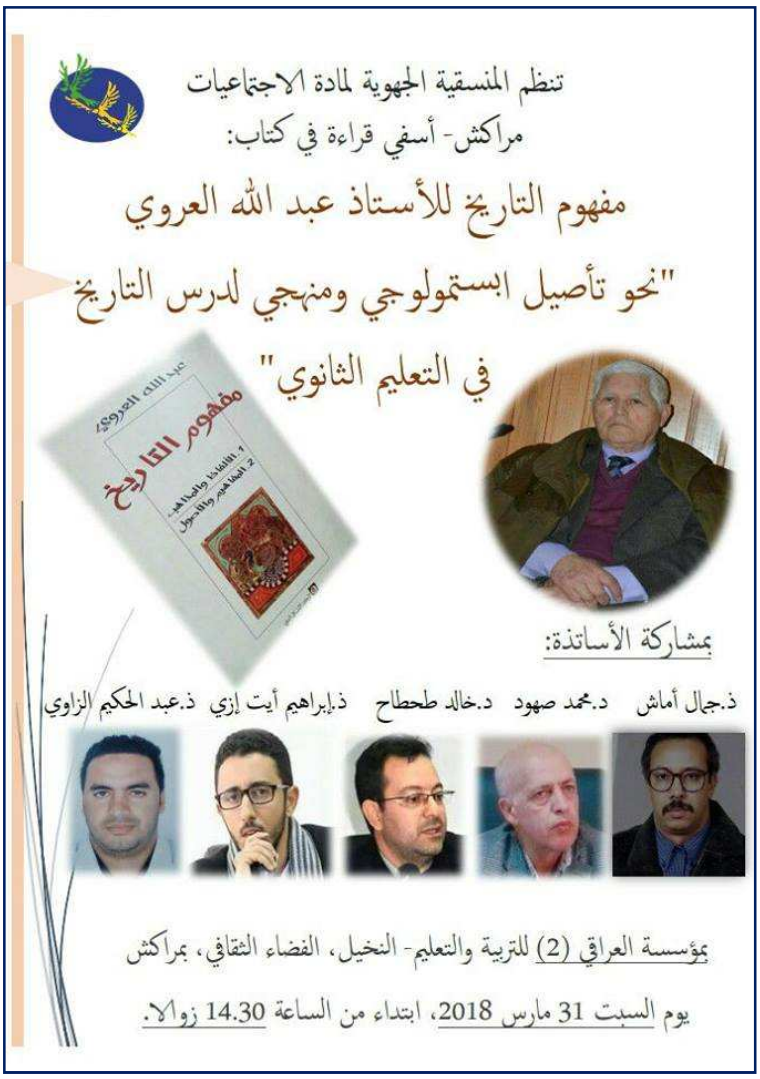

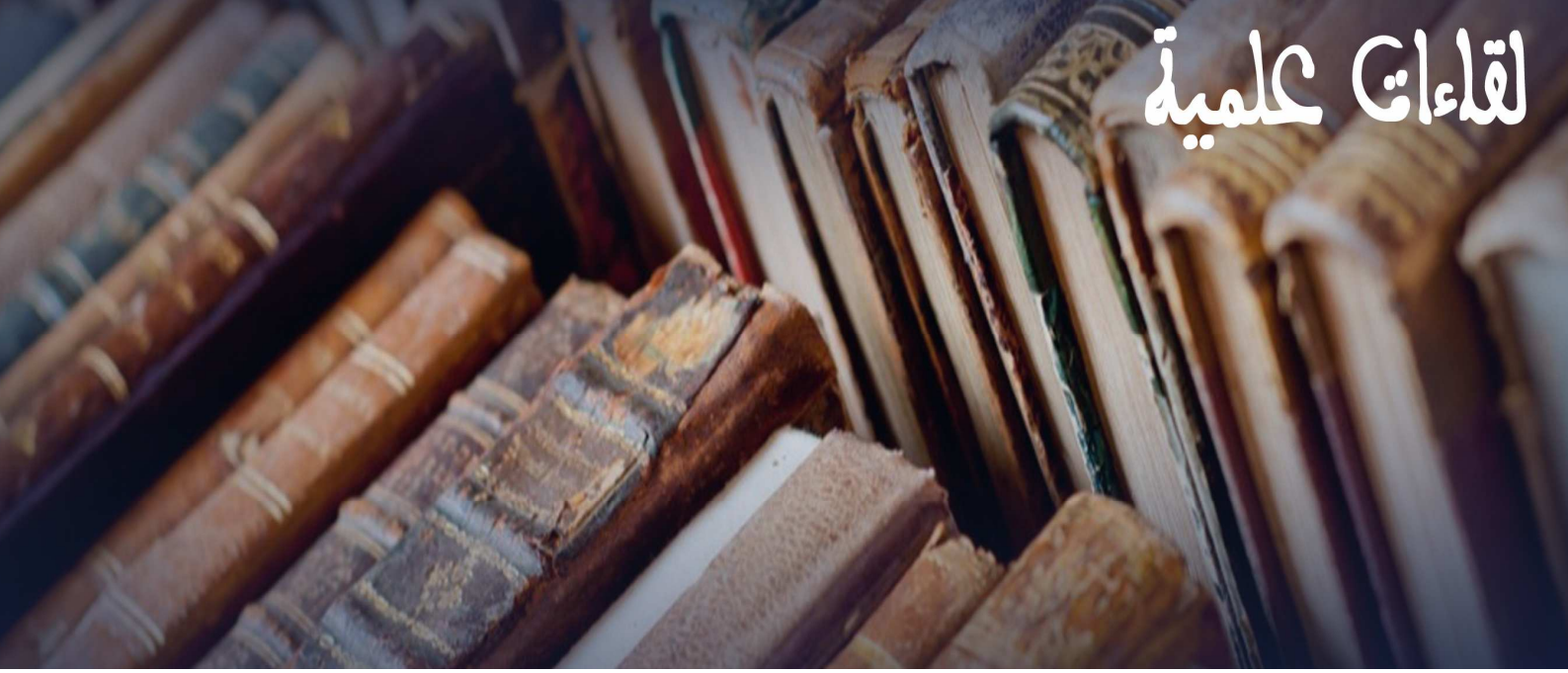
لقاءات علمية

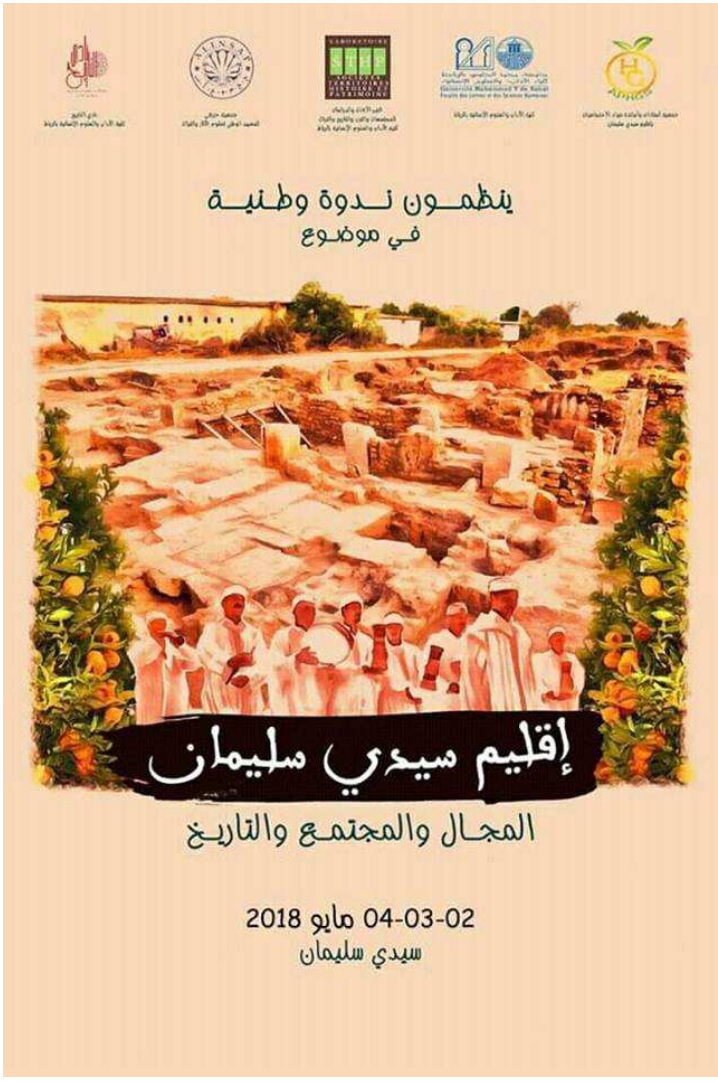
ينظمون ندوة وطنية
في موضوع
إقليم سيدي سليمان
المجال والمجتمع والتاريخ
02-03-04 مايو 2018
سيدي سليمان

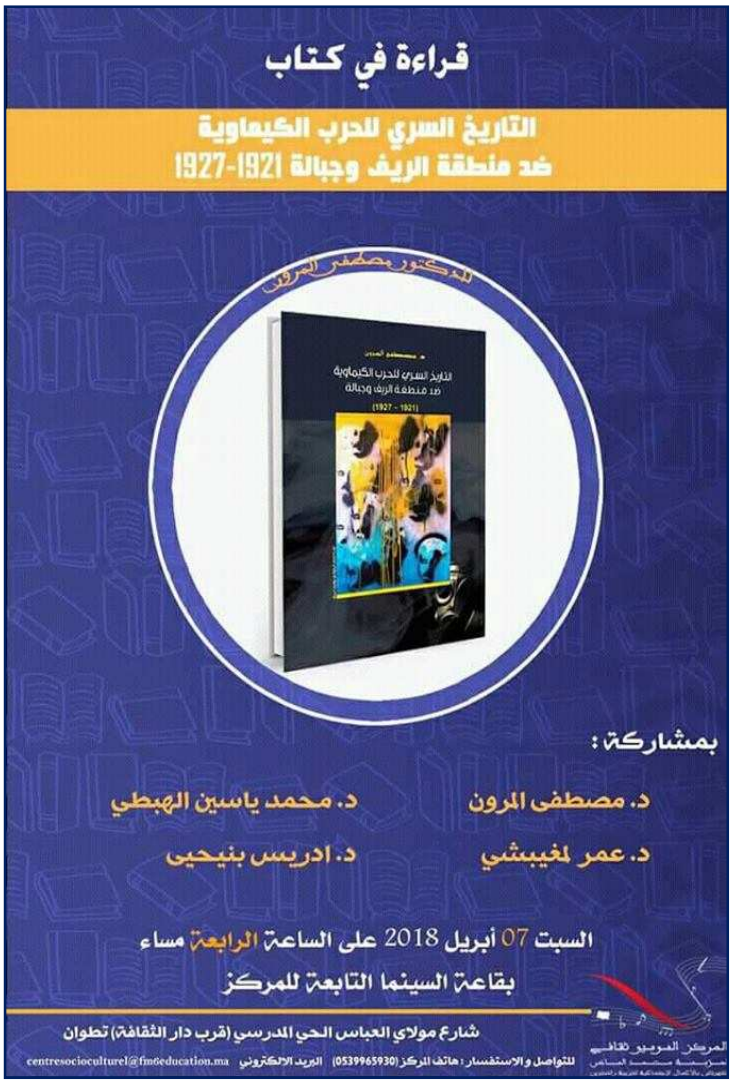
قراءة في كتاب
التاريخ السري للحرب الكيماوية
ضد منطقة الريف وجبالة 1921-1927
للدكتور مصطفى المرون
بمشاركة :
د. مصطفى المرون
د. محمد ياسين الهبطي
د. عمر لمغيبشي
د. ادريس بنيحيى
السبت 07 أبريل 2018 على الساعة الرابعة مساء
بقاعة السينما التابعة للمركز
شارع مولاي العباس الحي المدرسي (قرب دار الثقافة) تطوان
للتواصل والاستفسار : هاتف المركز (0539965930) البريد الالكتروني centresocioculturel@fm6education.ma

# نشأة الحركة العمالية المغربية

إعداد: الحسن أكرويض

إن الدافع الأساسي الذي جعلنا نقتحم موضوع الحركة العمالية المغربية، رغم صعوبته من الناحية المنهجية والنظرية، يتمثل في محاولة " كتابة التاريخ لمن لا تاريخ له " كما يقول رائد الحوليات التاريخية مارك بلوك Marc Bloch. ولذلك فاختيارنا لعنوان هذا البحث «» **الحركة العمالية المغربية: المسار والنشأة**، ليس اعتباطيا إنما هو صيرورة كرونولوجية للتطور الذي عرفته الحركة العمالية المغربية في مرحلتين زمنيتين مهمتين، فترة الاستعمار، فترة الاستقلال. في إطار علاقتها الجدلية بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدها المغرب، لذلك أثارت انتباهنا مجموعة من الإشكالات الجوهرية حول هذا الموضوع وهي على الشكل التالي: ما هي الأصول التاريخية لتكون الطبقة العاملة المغربية؟ وما هي ظروف نشأتها؟ ومتى نشأت؟ وما هي أشكالها التنظيمية الأولى ومتى بدأت وكيف بدأت؟ وما دور الحركة العمالية المغربية في معركة التحرر الوطني؟ وما علاقتها بالحركة الوطنية؟ هل هي علاقة انفصال أم تقارب؟ وما هي التحولات التي شهدتها بعد الاستقلال؟ وأين تكمن الصراعات التي عرفتها؟ وكيف واجهت الظروف الجديدة) الاستقلال)؟ وما علاقة اليسار المغربي بها؟ وكيف كانت وضعيتها خلال السبعينات؟ وما هي أهم المحطات النضالية التي عرفتها؟ أسئلة كثيرة جدا، غالبا ما تطرح في مناسبات عديدة، تلقى بعض الأجوبة الجاهزة المسبقة، أو يقدم إزاءها وصف لاهث للأحداث والصراعات التي تخوضها، دون التعمق في المنطق التاريخي لدوافعها.

عمل الاستعمار في بداية تواجده بالمغرب على إرساء البنيات الأولى لهذا التواجد، عن طريق القطاع الزراعي واستيطان المعمرين وحلفائهم المحليين" القياد الكبار" على توطيد نظام الحماية، بإنشاء قطاعات عمومية لإدارة وتسيير البلاد، كقيام الطرقات السكك الحديدية، وقطاعات خدماتية من بريد وتعليم. وهذا ما جعل قاعدة المأجورين تتكون أساسا من موظفين ومستخدمين(1)، وإذا تركنا جانبا أعوان المخزن و مسخريه، فان العنصر المغربي عبارة عن عمال يدويين غير مهرة، شكلوا يدا عاملة تحت الطلب يتقاضون أجورا متدنية.

[1]- ألبير عياش ، الحركة النقابية في المغرب، الجزء الأول، 1919-1942، ترجمة نور الدين سعودي مراجعة العربي مفضال دار الخطابي، للنشر ، ط1، 1988، الدار البيضاء، 12.

أما على مستوى التجمعات المهنية، إدا استثنينا تعاضدية البريد التي تأسست سنة 1916 كأول تنظيم مهني بالمغرب، لم يكن أي تجمع يذكر وعقب الحرب العالمية الأولى التي أثرت على البروليتاريا الأوربية(1). ومع نجاح ثورة أكتوبر الاشتراكية عام 1917،انعكست تلك الظروف الموضوعية على البروليتاريا الأوروبية وعلى "البروليتاريا المغربية الجنينية"، وفي ظل هذه الشروط تأسست ثلاثة تجمعات مهنية سنة1919 وهي كالتالي: تجمع عمال ومستخدمي الشحن والإفراغ في 80 ماي 1919م - الجمعية العامة لموظفي الحماية في 10 ماي 1919م - اتحاد وداديات شغيلة الكتاب بالدار البيضاء في 10 يوليوز 1919م.

## بداية التحول وتطور الحركة التعاضدية 1924-1926:

خلال هاته الفترة حدثت تحولات مهمة، على مستوى التجمعات المهنية نتيجة التجارب النضالية، ومن جهة أخرى التغيير الذي وقع في الساحة السياسية الفرنسية(2)التي ساهمت في ظهور وداديات مهنية جديدة بالمغرب، وانتعاش الحركة الشيوعية المناهضة لحرب الريف، التي يعمل أفرادها في الوداديات، بتعبئة العمال وشحنهم بالأفكار الشيوعية.(3) فهذه الظروف أتحت فرصة ظهور وداديات عمالية أخرى، وتتجلى في نموذجين بارزين: -ودادية المعلمين:تأسست في 24 ابريل 1922 - ودادية السككيون:تأسست في 27 أكتوبر 1925.

لقد شكلت التحولات الاقتصادية لسنوات 1926 – 1929 منعطفا تاريخيا على جنينية الحركة النقابية، حيث انعكست بوادر الأزمة الاقتصادية على مأجورين مغاربة وأجانب، فالازدهار الرأسمالي أدى إلى زيادة الطلب على اليد العاملة المغربية، فارتفعت الهجرة الداخلية بنسب عالية تحت إغراءات الزيادة في الأجور.(4)

إن بعض الباحثون في تاريخ الحركات الاجتماعية غالبا ما يغفلون انعكاسات الأزمة الاقتصادية على الشعب المغربي، نتيجة اهتمامهم بالأحداث السياسية، إلا أن الباحث المتخصص في تاريخ المعاصر الكبير عطوف(5) حاول بكل علمية إبراز تأثيرات الأزمة الاقتصادية على الطبقة العاملة، التي شهدت هجرة واسعة نحو فرنسا، لخدمة الرأسمالية الأوربية، هذه الأخيرة شجعت الهجرة الواسعة قصد استغلال العمال في الاوراش المنجمية.(6)

طرحت مسألة الهجرة إشكالات جوهرية بين الباحثين في المغرب، سواء من الناحية السببية والموضوعية، لانطلاق الهجرتين الداخلية والخارجية في فترة الاستعمار. ومن خلال إطلاعنا على مجموعة من الدراسات السوسيو- تاريخية ،نجد مجموعة من التحاليل مستوحاة بالتأكيد من اهتمامات إيديولوجية وسياسية[7]. ولا تزال حتى اليوم تتداول وتنعكس باستمرار منذ خمسة عقود ونيف، وكأنها حقائق جاهزة لا تتغير[8]. لهذا اعترف روبير موتتاني في كتابه "**ولادة البروليتاريا المغربية**" بأن الساكنة لا تزيد عددا في المدن، باعتبار أن تسعة أعشار السكان من الأرياف.[9]

---

[1]-.OP.CIT.p.31,؛ .RENNE GALLISSOUT

[2]- فوز " تكتل اليسار" في انتخابات ماي 1924 في فرنسا

[3]- جورج اوفيد، اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية 1905-1955 ترجمة محمد الشركي وعبد الجليل ناظم، مراجعة عبد اللطيف المنوني، ج2، دار توبقال للنشر، ط1 ، 1988، البيضاء، ص87.

[4]- فسر الباحث الكولونيالي روبير مونتاني سياسة تقليص الأجور بحكاية مصطنعة أن العامل المغربي كلما ارتفع أجره إلا وانقطع عن العمل نتيجة ارتباطه بالأسرة والقبيلة

[5]- انظر أطروحة الكبير عاطوف

[6]- نفسه، ص 64.

[7] -عبد الله البارودي، المرجع السابق، ص39.

[8] - نفسه، ص36.

[9] - إن الدراسات الكولونيالية القائلة باكتضاض السكان بالمغرب عشية فرض الحماية، تعتبر المغرب بلد هائل بالبطالة، فهو تحليل لا يصمد أمام أي فحص نقدي وجدي للوقائع، وباستنادنا بصورة جزئية على المبررات الإحصائية التي قدمها روبير مونتاني، فإن الساكنة المغربية كانت نسبتها لا تتجاوز 5 بالمائة من العدد الإجمالي للسكان. أنظر R. Montagne. Naissance du prolétariat Marocaine, Enquête collective, Archives de l’afrique et l’Asie, n°III ; Paris ; 1951, P 11.

وحسب عبد الله البارودي، يرتبط سياق الهجرتين الداخلية والخارجية المغربيتين بوجود وتطور الرأسمال في المغرب. حيث يقول:" **فالحاجة الرأسمالية عندما تصل إلى مرحلة معينة، من تطورها تلجأ لاستقطاب العمال وتهجيرهم نحو الحواضر من أجل الحفاظ على قدر مهم من الفوائد ومع تراكم الرأسمال النقدي الأمر الذي يفترض هدم أنماط الإنتاج ما قبل الرأسمالية القائمة بواسطة العنف، مما يترتب عليه حركات هجرة واسعة على الصعيد المحلي، وكذلك حركات هجرة أخرى نحو الخارج.**"[1]

إن الهجرة الداخلية والخارجية أفقدت للمغرب توازنه السكاني الجغرافي، حيث تم إفراغ البادية من سكانها، ونتج عنها ازدحام المدن خاصة الدار البيضاء بعشرات الآلاف من المهاجرين، الذين فقدوا كليا أو جزئيا صلاتهم بعالم الزراعة ليتحولوا إلى جيش عرمرم من العاطلين وأشباه العمال، لخدمة الاقتصاد الرأسمالي الفرنسي[2]. فاليوطي الرجل الحديدي للسياسة الاستعمارية لم يخفي نيته الخاصة بضرورة تقوية القواعد الرأسمالية بالمغرب، فعلى حد تعبيره: "**يشكل الأسلوب الوحيد لإخضاع المواطنين، وذلك بتشغيلهم مقابل أجور تبعدهم تدريجيا عن مواجهة الاحتلال.**"[3]

عملت الإقامة العامة في فرض حواجز على الحريات العامة على الشعب المغربي، حيث قيدتها بمجموعة من الترسانات القانونية المجحفة،[4] فلم يعد أمام المرء، لا التعبير عن أرائه و لا التجمع ولا التظاهر، بحيث لم يكن يسمح بتأسيس آية جمعية آو نقابة، كما منعت الأحزاب المعادية للحماية منذ سنواتها الأولى.أما بالنسبة لحرية الصحافة فقد تم تضييقها[5] وأخذت إدارة الحماية تلجا إلى آليات المراقبة، فكل من ينادي بحقوقه يكون مصيره السجن آو النفي، بل حتى القتل، فالحريات تنعدم في شروطها البسيطة.

في 26 نوفمبر 1915، صدر ظهير شريف ينص على إعدام كل من يقف في وجه التمركز الاستعماري في البلاد رميا بالرصاص[6]. فقد تم تعويض هذا الظهير في 15 أبريل 1928 بظهير أخر ينص على تعذيب كل من اعتدى على الأجانب، فمجموعة من النصوص القانونية ذات الطابع الزجري تفرض على المغاربة الخنوع و الاستسلام لسلطة الاستعمار القاسية، غير أن الطبقة العاملة الفتية أصرت على تحدي السياسة القانونية الاستعمارية،فقد انخرطت في التنظيمات النقابية الفرنسية إلى جانب رفاقهم الأوربيين،رغم عدم الاعتراف بالحق النقابي للعمال المغاربة.[7]

وعلى العموم فان الحقوق والحريات الأساسية، كانتا من بين ملفات العمل للطبقة العاملة المغربية، التي استطاعت يوما بعد يوم أن تفرض وجودها وتنتزع مكتسبات حرية التعبير والتنظيم، وهذا ما استفدت منه الحركة الوطنية في معارضة السياسة الاستعمارية.

**مرحلة تأسيس النقابات 1930-1936:**

---

[1] -عبد الله البارودي، المرجع السابق، ص40.

[2] - ELKBIR ATOUF ; Aux origines Historiques de l'immigration Marocaine en France 1910-1963. Editions Connaissance et savoir, 2009, Institut Française D'Agadir, Page 64-65.

[3] -اليوطي : أحد أهم مفكري ومهندسي الاستعمار الفرنسي، كان مقيما عاما لفرنسا بالمغرب من 1912 إلى 1925 مارس سلطته المطلقة وقام بغزو أراضي المغرب، كان على معرفة دقيقة بوسائل تفكيك البنيات الاجتماعية لجماهير الأرياف، باعتباره يمتلك تجربة عسكرية من قبل في الفيتنام ومدغشقر وفي الجزائر، اطلع على أساليب التدمير التي استعملها التي استعملها الماريشال" بيجو " في الجزائر، لقد كان عسكريا محترفا وفي نفس الوقت قائدا سياسيا محنكا.

[4] - أحمد تافاسكا. المرجع السابق، ص 115.

[5] - ألبير عياش، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية ، ص 114.

[6] - احمد تافاسكا، المرجع السابق ، ص19.

[7] - فظهير 24 دجنبر 1946 الذي لخص بتأسيس النقابات لم يشمل العمال المغاربة، وإنما ينطبق على العمال الاروبيين الذي يزاولون نفس المهنة أو ما يشابهها ، فقد بقي العمال المغاربة محرومين من الاعتراف بالحق النقابي إلى حدود فترة الاستقلال.

شكل المنع الاستعماري للحق النقابي حاجزا أمام ظهور النقابات المهنية، ورغم ذلك برزت الأنشطة النقابية من تكوين وتعبئة واسعة من احل الاعداد انتزاع المطالب الأساسية، وعلى رأسها الاعتراف القانوني بحق التنظيم والتظاهر ، وبموازاة هذهالدينامية،بدأ مسلسل تجميع التجمعات و الوداديات في الكونفدرالية العامة للشغل) (C.G.Tللفرع الفرنسي (1) ،حيث التحق بها البريديين والمستخدمون في قطاعات أخرى، وتوج هذا الالتحاق بتأسيس" اتحاد النقابات الكونفدرالية للشغل بالمغرب" في 30 يونيو 1930، تزامنا مع انفجار الأزمة الاقتصادية العالمية التي لها تأثيراته سلبية على الطبقة العاملة المغربية(2)، فحسب مؤرخ الطبقة العاملة المغربية ألبير عياش، تأسست "الفيدرالية المغربية للتعليم العمومي" سنة 1934، التي تضم كل من نقابة المعلمين، ووداية التعليم العالي،وفي المقابل توسعت النقابات المنضوية في الاتحاد الجهوي(CGTD )، وتم استقطاب إليها مستخدمين شباب جدد و عمال آخرين في عدة قطاعات، وتجند النقابيون الأوربيون بطرح مطلب استعجالي و أساسي "أجر متساو لعمل متساو"(3)، وتبين لهم أن وحدة الطبقة العاملة المغربية والفرنسية ،هو اكبر سلاح لمواجهة الحماية وأرباب العمل.

## موجة إضرابات يونيو 1936:

كان حجم الإضرابات في فرنسا 1936 المتوازية مع تشكيل "حكومة الجبهة الشعبية اليسارية"(4)،التي فتحتهامشا للحريات السياسية و النقابية في فرنسا والمستعمرات التابعة لها ، وهذا العامل السياسي أيقظ موجة من الإضرابات، سواء في فرنسا و المغرب.

انطلقت اضرابات1936 في المغرب من القطاعات الشبه الصناعية و المنجمية ،حيث بدأ تحرك الطبقة العاملة المغربية من أجل انتزاع و لو جزء من المكتسبات التي انتزعتها البروليتاريا الفرنسية(5.)فقد شهدت المدن المغربية معارك دموية بين خصوم وأنصار "الجبهة الشعبية"، في هذا الجو المشحون انفجرت الإضرابات العمالية في يونيو وكانت مرفقة باحتلال المصانع و المعامل،وقد شملت الحركة الاضطرابية يوم 11 يونيو،بإضراب عمال" شركة السكر المغربية" ."COSUMAR"التي تشغل 800 عامل مغربي و 60 أوروبيا الذين يطالبون بالزيادة في الأجور وبمطالب اجتماعية أخرى(6).

ففي نفس اليوم الذي اضرب فيه عمال شركة السكر، دخلت مجموعة من المقاولات الصغيرة في إضراب عام يوم 12 يونيو 1936، وامتدت حركة الإضراب إلى مناجم الفوسفاط بخريبكة و اليوسفية" ليو جانطي"وانظم عمال البناء و معمل التصليح لشركة النقل، و الحديد والصلب، واستمرت الإضرابات بالدار البيضاء إلى يوم 6 يوليوز 1936، بل امتدت إلى مدن أخرى كفاس والرباط مما أعطى لها طابعا وطنيا(7)

لقد برهن العمال خلال هذه الإضرابات، عن حماس ووعي كبيرين يدلان على مدى التخطيط المحكم لتلك الإضرابات التي اتخذت عدة أشكال كالاعتصامات والمسيرات(8)، فبفضلها انتزع العمال تنازلات من أرباب العمل،غير أن

---

[1]- CGT: هي أقدم مركزية نقابية فرنسية تأسست سنة 1897، قامت ابتداء من سنة 1930 في المغرب بالعمل على تنظيم العمال المغاربة والفرنسيين والتابعين للقطاع الخاص احتلت دورا بارزا في الحركة الاجتماعية بالمغرب وفي باقي بلدان المغرب الكبير ، أنظر الوثيقة رقم 2.

[2]- ألبير عياش ، المرجع السابق، ج1، ص 72.

[3]- عبد اللطيف المنوني، ومحمد عياد، الحركة العمالية المغربية صراعات وتحولات ، سلسلة المعرفة الاجتماعية، دار توبقال للنشر، ط1 ، 1985. ص31.

[4]- أحمد تافاسكا ، المرجع السابق، ص 175.

[5]- كانت الجماهير الشعبية بالمغرب تعقد كثيرا من الأمل على حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية سنة 1936 لوضع حد لنظام البؤس الذي يرزح تحته العمال الاروبيين والمغاربة بالخصوص.

[6]-OP.CIT.p125 .René Gallissot ،

[7]- بلغ عدد الو رشات التي شملها الاضطراب بالدار البيضاء 70 ورشة.

[8]- مجلة البوصلة ، نشرة داخلية أصدرتها نقابة البحارة وضباط الصيد بأعالي البحار المنضوية تحت لواء الكونفدرالية الديمقراطية للشغل / CDT. العدد 5 أكتوبر 1995 .اكا دير.ص.14

جلها كان لصالح العمال الأوربيين المقيمين بالمغرب، ولاحتواء حركة الإضراب سارعت الإقامة العامة إلى إصدار بعض الظهائر، من بينها "ظهير 18 يونيو 1936" للحد الأدنى للأجور(1)

وهكذا، دخلت الحركة العمالة المغربية مرحلة جديدة تتسم باليقظة النقابية والسياسية،وذهبت أبعد مما تنبأت به "الجبهة الشعبية بفرنسا"،وهذا ما جعل الفيدرالية الاشتراكية بالمغرب تقول:" **أبانت الجماهير المغربية بهجومها القوي،على أن البروليتاريا و النضال الطبقي يوجدان بالمغرب كما في كل مكان**"(2)

## مرحلة النهوض النقابي مع بداية 1937 :

كان لنجاح إضرابات يونيو 1936 اثر كبير على تاريخ الحركة المغربية الناشئة، حيث أيقظت العمل النقابي المنظم،رغم عدم الاعتراف القانوني بالحق النقابي، فقد ظل مقيدا دون أن يتبلور على ارض الواقع و اقتصر فقط على الأوربيين،وهذا ما زاد العمال المغاربة ثقة واهتماما بضرورة الانخراط في النقابات الفرنسية و توسيعها.(3)

شكل انعقاد المؤتمر الثامن "للاتحاد الجهويCGT"بالدار البيضاء سنة 1937 خطوة مهمة نحو تأكيد خصوصية الحركة النقابية المغربية(4 .)وحسب ألبير عياش،تم الإعلان فيه عن تغيير اسم الاتحاد الجهوي باسم "اتحاد النقابات الكونفدرالية بالمغرب"، الذي أعطى فيه التواجد المهيمن للشيوعيين و الاشتراكيين الفرنسيين طابعا كفاحيا للاتحاد(5.)تجلى ذلك في المشاركة الفعالة للعمال المغاربة في إضرابات 1937 في كل من الدار البيضاء و فاس خريبكة، هذه الأخيرة رفعت فيها ملفات مطلبية مهمة،من بينها الحق النقابي لعموم العمال المغاربة،كما لعب اليسار الفرنسي من داخل المغرب أدوارا طلائعية لا يستهان بها في تعبئة الطبقة العاملة المغربية ضد الزحف الفاشي و النازي.(6)

## الحق النقابي للطبقة العاملة المغربية:

اهتم الاتحاد العام للنقابات الموحدة بالمغرب (7UGSCM)بالحق النقابي للطبقة العاملة المغربية، وكان النقاش سائدا بين التقدميين الفرنسيين بضرورة العمل لنيل الاعتراف بالحق النقابي للمغاربة،وبدلت الصحافة النقابية(8) مجهودات لفضح سياسة الحماية المجحفة في حق العمال المغاربة،كما عملت على نشر مشاكلهم المهنية،إلا أن سلطات الحماية رفضت التحريض و الدعاية السياسية والنقابية التي يقوم بها الشيوعيون الفرنسيون بالمغرب،كما شددت على منع حضور العمال المغاربة اجتماعات النقابات خصوصا بعد إصدار ظهير 24 يونيو 1938.(9)

غير أن الاتحاد استمر في توعية العمال بمشاكلهم المهنية، مما وضع أرباب العمل و الإقامة العامة في حيرة شديدة، كون النقابيون الفرنسيون كان اتصالهم وثيق بالطبقة العاملة المغربية واهتموا كثيرا بالدعاية للحق النقابي، إذ صرح احد النقابيين الفرنسيين :**"أيها الرفاق الأوربيين،أذكركم بمسؤوليتكم،فعلى موقفكم،واستمرارية مجهوداتكم ،وخلاصكم يتوقف حل هذا المشكل،يجب أن ندرك أن مطالبنا لن تتحقق أبدا طالما أننا لم نضع**

---

[1]- أنظر نماذج بعض الظهائر السلطانية في الجريدة الرسمية.

[2] -René Gallissot ,OP.CIT.p. 127.

[3]-نشير أن الفصل الخاص باضطرابات 1936، في كتاب ألبير عياش، ج 1، هو نقل شبه كلي لما كتبه **كاليسو** في أرباب العمل الاروبيين بالمغرب، 1931 1942 ، ص 117.

[4]- ضم الاتحاد الجهوي CGTD عشرين ألف منخرط وعرف انضمام النقابات الأخرى.

[5]- ألبير عياش ، ج1، المرجع السابق، ص227.

[6]- نفسه ص 228.

[7]- UGSCM: تأسست سنة 1940 كامتداد في المغرب للاتحاد العام للشغل الفرنسي في المغرب، وكتطوير للفرع الفرنسي للاتحاد العام للشغل الذي تأسس بالمغرب سنة 1930 واختفى سنة 1930 مع حله ولعب الشيوعيون الفرنسيون دورا مهما في تأسيس الاتحاد العام للنقابات الموحدة بالمغرب الذي توفر ابتداء من 1951 على كاتبين عامين الأول فرنسي والثاني مغربي.

[8] -L'action syndicale

[9]-الجريدة الرسمية للحماية.

**الحكومة أمام الأمر الواقع،وذلك بتشجيع المغاربة على الانخراط وبإعداد كبيرة"**(1)

ارتفعت نسبة العمال المغاربة المنخرطين ما بين 1944و 1945 نتيجة التوعية الحاصلة في صفوفهم .

## الحركة الوطنية والحركة العمالية:

ذهبت الدراسات التاريخية للحركة الوطنية إلى اعتبار الوطنيون المغاربة لا موقع لهم في صفوف الطبقة العاملة المغربية، إلا أن هذا الطرح يمكن قبوله من ناحية الأصول الاجتماعية للحركة الوطنية، من خلال تأخرها في اهتمامها بالمشاكل المهنية للعمال المغاربة.

أما من الناحية السوسيولوجية، فطبيعة الحركة الوطنية ذات أصول "بورجوازية تقليدية ناشئة "،وهذا ما أكده عبد الله العروي(2) باعتبارها تضم نخبة مثقفة من التجار وأصحاب المهن الحرة والحرفيين ،لكن إذا كانت عناصرها "برجوازية تقليدية ناشئة" ،هي التي برزت في قيادة الحركة الوطنية،فهل كانت هذه الحركة برجوازية فعلا في تركيبها الاجتماعي و برنامجها السياسي والثقافي ؟هذا السؤال يطرح على الباحثين السوسيولوجيين الذين يتجنبون دراسة التشكيلات الاجتماعية المغربية وأصولها نظرا لصعوبة اقتحامه لندرة الوثائق في هذا المجال.

فحسب عبد الله العروي، غلبت الحركة الوطنية العمل "السياسي-السلفي-"على العمل النقابي إلا أن هذا لا يعني إعلانها القطيعة النهائية مع الطبقة العاملة الناشئة،حيث نجد اهتمام الوطنيين في المنطقة الخليفية –الاسبانية- بمشاكل العمال الاجتماعية و المعيشية(3)،ومثال على ذلك تحرير محمد داود و التهامي الوزاني مذكرة مطلبية عمالية قدمت إلى الصدر الأعظم محمد بن عزوز رغم حالة الطوارئ التي فرضت على مدينة تطوان في ماي 1931.(4)

فالمنطقة الخليفية الاسبانية لم تكن فيها للحركة الوطنية خلال تكونها أية جذور عمالية، ولكن ساهمت في مناصرة بعض المطالب العمالية.(5)

أثناء إنشاء "كتلة العمل الوطني" سنة1934، رفعت عريضة تضم إصلاحات إدارية و ثقافية واجتماعية، التي تتضمن نفس البرنامج المطلبي للنقابات، كالمساواة في الأجور، التعويض عن حوادث الشغل، محاربة البطالة...، غير انه ليس من البديهي الجزم بان الوطنيين ذهبوا بعيدا في اتجاه توعية العمال وتكوين اطر نقابية لتأطير الطبقة العاملة المغربية الناشئة ، فمنذ الثلاثينات لم يتواجد أي إطار عمالي بين قادة الحركة الوطنية،كما إن إضرابات 1936 لم يلعب فيها الوطنيون أي دور.(6)

أما في مرحلة تشكل الأحزاب الوطنية، فقد تقاربت وجهات نظر الوطنيين التقدميين مع النقابيين المغاربة، وحسب إطلاعنا على الشخصيات الموقعة على عريضة 11 يناير للمطالبة بالاستقلال لم يتواجد أي إطار عمالي-نقابي- بين الموقعين عليها.(7)

على العموم، فان الحركة الوطنية وضعت الصراع الاجتماعي في المرتبة الثانية بالنسبة للصراع الوطني، ورغم بعض الاهتمامات بشؤون الطبقة العاملة فان الأيديولوجيةالسلفية والقومية حسب العروي ، تحكمت في الخطاب الأيديولوجي الحركة الوطنية، حيث رفضت

---

[1]- تقرير المؤتمر الثالث للاتحاد 1945، أنظر مجلة أبحاث للعلوم الاجتماعية، عدد 13 خريف 1986، ص6.

[2] -LarouiAbdallah, Les origines sociales et culturelles des nationalismes marocain, 1830-1912, centre culture Arabe , Casa Blanca , 1993. P12.

[3]- نظمت الهيئة الوطنية في المنطقة الخليفية الاسبانية في ماي 1931 مظاهرة ضد تهميش وحرمان العمال المغاربة من حقوقهم المهنية.

[4]- وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب، ج1 ، عرض وتعليق مؤسسة عبد الخالق الطر يس للثقافة والفكر سنة 1980، تطوان، ص 18،

[5]- مجلة أبحاثللعلوم الاجتماعية عدد 13، خريف 1986. ص 20 مقال لشكيب أرسلان

[6]- للإشارة فوثائق الحركة الوطنية يصعب الحصول عليها نتيجة لما تحملها من خبايا وأسرار تاريخية، لم تخرج إلى حيز الوجود، كما إن تاريخ الأحزاب الوطنية لم يتم دراسته دراسة علمية.

[7]- تقدم بها الوطنيون في 11 يناير 1941، كان من بين الموقعين عليها 58 وطنيا من بينهم امرأة واحدة، **(ملكية الفاسي)** من هذه الوثيقة استمد حزب الاستقلال اسمه

منذ أواسط الثلاثينات مفهوم صراع الطبقات ،وعبر احمد بلا فريج عن ذلك بقوله "**البروليتاريا، الرأسمالية، البرجوازية، بالنسبة لنا كلمات مستوردة لا معنى لها. لا وجود لطبقات عندنا، إنما يوجد عنصران أحدهما يتمتع بكل المنافع والامتيازات والأخر مستعبد ويتحمل كل الأعباء**"(1)

أقلقت الإضرابات العمالية لسنة 1948 قادة حزب الاستقلال الذين أحسوا بانفلات الحركة العمالية من قبضتهم، وهذا ما جعل علال الفاسي يدفع بمشروع "نقابة إسلامية مستقلة"(2)التي لم تنجح ولم تتبلور على ارض الواقع، وبالتالي رغم تخوفاتهم وتحفظاتهم في البداية فقدانخرطوا رغما عنهم إلى جانب الحزب الشيوعي المغربي في العمل النقابي، خصوصا مع بداية الخمسينات.

## الشيوعيون والطبقة العاملة المغربية

احتل الشيوعيون مكانة هامة داخل الحركة العمالية المغربية منذ 1920، و ذلك بفضل قناعتهم أولا باعتبارهم الطليعة المثقفة للطبقة العاملة(3)ومهما كانت ترتيباتهم التكتيكية في المستعمرات، فإنهم استطاعوا الالتحام بالجماهير الشعبية خاصة الطبقة العاملة،وذلك بتوعيتهم بمصالحهم المادية و المعنوية، وكانت جهود الشيوعيين الفرنسيين بالمغرب منصبة على استقطاب و تربية العمال المغاربة تربية طبقية(4.)كان حضورهم بارز في تأطير إضرابات 1936 و1948 و1952 ، ساهموا في فرض وجودهم ضمن النقابات في التظاهرات و المناسبات العمالية، ويقول ألبير عياش في علاقتهم بالطبقة العاملة المغربية: "**وغالبا ما يحضر المغاربة اجتماعاتهم النقابية و يأخذون مداخلات للنقاش بالفرنسية و الدارجة المغربية**"(5)

يدل هذا على انسجام الطبقة العاملة المغربية مع الأجانب دون تعصب يذكر، لذلك فتح الشيوعيون مجالا لإشراكهم في الأجهزة النقابية و اتخاذ القرارات من الاتحاد العام للنقابات الموحدة، كإطار يجمع هموم البروليتاريا المغربية والفرنسية، وبالرغم من الرقابة التي تفرضها الإقامة العامة على الشيوعيين، فان علاقتهم بالعمال المغاربة اتخذت أبعادا حزبية،من هنا تشبع بعض النقابيين المغاربة بالأفكار الشيوعية(6)، إلا أن عملهم كان ضعيفا في صفوف الفلاحين، و قد شكلت اضطرابات الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية ،وانتشار البؤس في عام1945 ، مرحلة كثف فيها الشيوعيون عملهم الاجتماعي والدعاوي(7)

تجند الشيوعيون لمواجهة الوضعية الصعبة التي كان يمر منها الشعب المغربي، وذلك بجمع المعونات المادية و العمل على محاربة الأمية في صفوف أبناء الطبقة العاملة، ويمكن أن نتذكر زوجة جرمان عياش8 كمثال واضح على مساعدة النساء الحوامل والعناية بالأطفال.(9)

## نحو بناء نقابة مغربية مستقلة:

تعتبر سنة 1945 الانطلاقة الفعلية لمغربة الحركة النقابية، حيث استطاعت الطبقة العاملة أن تفرض نفسها في

---

[1]- مجلة أبحاث ، العدد السابق ص 20، انظر كذلك مقال جريدة المناضل-ة، عدد 11 مارس 2006.

[2]- مجلة أبحاث، ص 21و22، مقال لشكيب أرسلان

[3]- جورج وأفيد، المرجع السابق، ج2 ص 168.

[4]- من أبرزهم في تلك الفترة: ميشال مازيلا: M, MAZILA أندري لوريو André Le Roy .

[5]- ألبير عياش المرجع السابق، ج2، ص63.

[6]- نذكر على سبيل المثال مجموعة من الشباب العمال النشيطين في الحقل النقابي، كعبد السلام بورقية، ومحمد الطاهر، ومامون العلوي، ومحمد قوقجي، ومحمد بن عمر الحرش (الجنرال السابق في جيش هوشي منه بالفيتنام ).

[7]- بعد تأسيس الحزب الشيوعي المغربي، كانت اهتماماته الأولية النضال الاجتماعي لتحقيق وحدة الشعبين المغربي والفرنسي المضطهدين.

[8]- هي فريحة عياش : شيوعية منذ 1936 رفقة فورونتي سلطان (زوجة ليون سلطان). إضافة إلى لوسيت مازيلا، كلهن مناضلات شيوعيات في اتحاد نساء المغرب، لعبن أدوارا مهمة في توعية العاملات، إلا أن التاريخ الرسمي للبلاد يهمل مثل هذه الشخصيات.

[9]- يعرف في الذاكرة الجماعية المغربية بعام الجوع.

الأجهزة النقابية وان تحتل مكانة هامة في المفاوضات مع أرباب العمل.

شكل المؤتمر الرابع للاتحاد العام للنقابات الموحدة فرصة للعمال المغاربة في تحمل المسؤولية النقابية(1).إذ شكل حدث تأسيس المركزية النقابية التونسية (الاتحاد العام التونسي للشغل UGTT)، حدثا بارزا اثر إيجابا على العمال المغاربة الراغبين في تأسيس إطار نقابي خاص بهم ،وهذا ما دفعهم لاحتلال مناصب قيادية في أجهزة النقابات، حيث صادق المؤتمر الرابع على سبعة مغاربة في اللجنة التنفيذية للاتحاد، والجديد في هذا السياق الأول في تاريخ الحركة العمالية العالمية هو خلق منصب كاتب عام مشترك بينما احتل مغاربة آخرون مناصب على مستوى الفيدرالية أو الاتحاد المحلي، ومن هنا بدأت مغربة الأطر(2)

و بالتالي ازداد عدد المنخرطين سنة 1947 حيث وصل ما بين 69000 و70000عامل منقب ومما زاد في مغربة الحركة النقابية، وخلال انعقاد المؤتمر الخامس للاتحاد في 13 مارس 1945 الذي عرف صعود جديد للمغاربة إلى اللجنة التنفيذية التي تضم 15 مغربيا من أصل 42،وهذا يعتبر طفرة نوعية في تحمل المسؤوليات في الأجهزة النقابية (3)

وهكذا يتبين أن مغربة الحركة النقابية لم تكن دفعة واحدة وإنما بالتدريج حسب ملائمة الظروف الذاتية و الموضوعية، إلا أن الرغبة القوية في إعطاء طابع الخصوصية المغربية للنقابة، تبلور في المؤتمر السادس للاتحاد المنعقد في نونبر 1950 بالبيضاء، الذي أعلن فيه عن ضرورة تشكيل إطار نقابي مغربي مستقل وتوصلت فيه الطبقة العاملة المغربية بكل حزم وإصرار إلى أن النظام الاستعماري الامبريالي هو مصدر البؤس الذي يعانيه الشعب المغربي بكل شرائحه الاجتماعية(4).

لقي مقترح إنشاء نقابة مغربية مستقلة ترحيب الاتحاد العام التونسي للشغل، وهذا ما جعله يطالب المؤتمر التأسيسي للمركزية الجديدة إلى الانضمام للكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة،وهذا نابع من طموحات الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد في إعطاء حركة التحرر المغاربية طابعا طبقيا قطريا أولا ، إلا أن حدث اغتيال هذا الزعيم 1952 و تصاعد المقاومة ضد الاستعمار في أقطار شمال إفريقيا(5)

تأجل مشروع النقابة المغربية المستقلة إلى سنة 1955ولكن في المقابل التقى الجميع في خط المقاومة و تجندت الطبقة العاملة في المدن، خاصة بالبيضاء حيث مركز المقاومة، و هذا ما دفع سلطات الحماية إلى نهج أسلوب التقتيل وتشريد ألاف المضطهدين /ات[6]

## على سبيل الختم:

رغم ما حققه الاتحاد العام للنقابات الموحدة من جهود نضالية وتوعوية للطبقة العاملة المغربية خلال الفترة الممتدة ما بين 1943 و 1954 ،فانه لم يستطع أن يتحول إلى نقابة مغربية مستقلة لأسباب ذاتية وموضوعية حيث مازال الحق النقابي للعمال المغاربة أنداك مجرد وعد ،ولم يتحقق بعد في الفترة الاستعمارية رغم الصمود النضالي والكفاحي الذي عرفته نضالات الطبقة العاملة المغربية

---

[1]- انعقد يوم 30 نونبر- فاتح دجنبر 1946 بمراكش ، حضره أكثر من 200 مندوب يمثلون 148 نقابة أو فرعا

[2]- وهما المغربي محمد الطاهر وأندري لوريو .

[3]- ألبير عياش، ج2 ، المرجع السابق، ص 144.

[4]- عبد اللطيف المنوني ومحمد عياد، المرجع السابق، ص 37.

[5]- فجر اغتياله السخط الشعبي في كل شمال إفريقيا حيث تبين للجميع أن السياسة الاستعمارية الامبريالية يجب مواجهتها بالمقاومة المسلحة الثورية.

[6]- أطروحة الأستاذ المنوني بالفرنسية، Le syndicalisme ouvrière au Maroc éditions maghrébine- casa Blanca 1979. P 45.فالأستاذ المنوني قاده عدم الاهتمام بصحافة الحركة النقابية المغربية إلى السقوط في بعض الأخطاء التاريخية سنذكر بعض الأمثلة: إسناده صحيفة **العمل النقابي** إلى حزب الاستقلال وكذلك عدم ضبطه لتواريخ مؤتمرات الاتحاد العام للنقابات الموحدة بالمغرب. أنظر الصفحات التالية في أطروحته 33 و 34.

الناشئة خلال اواسط الثلاثينات، خاصة مع موجة كبيرة من الإضرابات العمالية سنة 1936.

إن الحركة العمالية المغربية خلال الأربعينات لعبت ادوار جد متقدمة تجاوزت في بعض الأحيان المذكرات الإصلاحية للحركة الوطنية البورجوازية المتمثلة في حزبي الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال ،بل تجاوزت حتى "الحزب الشيوعي المغربي " ،الذي لم يلعب أدوار قيادية في حركة التحرر الوطني من سياسة الاستعمارية،نتيجة التحام توجهاته الايديولوجية والتكتيكية مع الكومنترن "الأممية الثالثة " المفلسة التي بدورها لم تلعب الأدوار المهمة في السير بالشعوب المستعمرة نحو التحرر الوطني الشامل من قبضة الاستعمار والتوحش الرأسمالي .[1]

إن الدراسات التاريخية للحركة العمالية المغربية لم تستحضر التأثيرات التي مارستها الطبقة العاملة على الحركة الوطنية البورجوازية ،فالحركة النقابية –العمالية- أرغمت الحركة الوطنية كما أثرت على الجماهير الشعبية في الحواضر والبوادي، خصوصا مع انسجام الطموحات الوطنية بالمطالب النقابية ،فهذا العامل اقلق الإقامة العامة التي أخذت ترى في ولوج الطبقة العاملة المعترك التحرري خطرا يداهمها خصوصا حينما قرر المناضلون الشيوعيون والاستقلاليون خلال الخمسينات التسريع بتأسيس المركزية النقابية المغربية المستقلة دون انتظار ظهير شريف يعترف بذلك.

فبعد مجهود كبير تمكن النقابيون منذ 1951 من أن يطرحوا بجدية ضرورة تأسيس الإطار النقابي الجديد غير أن أحداث 1953 الدموية الناتجة عن السخط الشعبي بعد نفي الملك محمد الخامس أجلت مرة أخرى ذلك المشروع الطموح دون آن يخرج إلى ارض الواقع وبعد صراع مرير وشاق مع المستعمر أنجبت سنة 1955 مولودا نقابيا اسمه "الاتحاد المغربي للشغل UMT"، ويعتبر 20مارس1955 يوما عماليا بامتياز للمغاربة. إن هذا المولود النقابي الجديد، جاء نتيجة كفاح وطني قادته الطبقة العاملة المغربية التي استطاعت في ظرف وجيز أن تجمع كل المضطهدين من عمال وفلاحين فقراء بحيث وصل عدد أعضائه حسب عبد اللطيف المنوني إلى 300000 عضو في دجنبر 1955، لذلك سارعت النقابة الجديدة إلى تأسيس الجامعات النقابية والاتحادات المحلية.[2]

وعلى العموم تمكنت الطبقة العاملة المغربية رفقة الحركة الوطنية وأعضاء المقاومة وجيش التحرير من نيل استقلال المغرب سنة 1956،بعد محادثات "ايكس ليبان" في غشت 1955 ،التي لم تعرف لا مشاركة التمثيلية العمالية و لا ممثلي أعضاء المقاومة جيش التحرير. فعناصر المقاومة وجيش التحرير رفضت بقوة النوايا "الفرنسية الجديدة"، ورفضت نزع السلاح حتى تحقيق التحرير الشامل للمغرب الكبير في إطار وحدته الاقتصادية والثقافية والجغرافية، إلا أن النظام الحاكم حسب وارتربوريWaterbury استعان بفرنسا العدو القديم/ الصديق الجديد "لحل" مشاكله السياسية والاقتصادية. فالنظام المغربي رفقة فرنسا واسبانيا، استطاع تقليم أظافر جيش التحرير بشتى الوسائل.[3]

منذ الفترة الاستعمارية، انخرطت الطبقة العاملة في العمل النقابي، ومع نشأة الاتحاد المغربي للشغل، وبمساندة من حركة المقاومة وجيش التحرير، لكن العمل كان وفق خطة سياسية موحدة، اتجهت النقابة الأولى في المغرب إلى التعبير عن الاختيارات الجوهرية لضروريات التطور الحاصل للاقتصاد الاجتماعي. جعلت الحركة العمالية ومن خلال الاتحاد المغربي للشغل في سنوات الاستقلال تضع لنفسها أهداف سياسية كما يرى عبد اللطيف المنوني ، هو آمر طبع مسيرة هذه النقابة بضع سنوات فقط. أثمرت خلاله مكتسبات هامة، فقد خاض الاتحاد المغربي للشغل منذ نشأته عدة إضرابات سياسية خاصة في سنوات 1957 و1958، لقد كانت مطالب حركة الإضراب، تتمثل في

[1]-بنبركة المهدي،الاختيار الثوري .منشورات اليسار الديمقراطي. دار قرطبة للطباعة والنشر .الطبعة الأولى 1996 الدار البيضاء.

[2]المنوني عبداللطيف وعياد محمد،الحركة العمالية المغربية. صراعات وتحولات .سلسلة المعرفة الاجتماعية الطبعة الأولى .1985 . الدار البيضاء.

[3]فورادغار،خباياأيكسليبان،ترجمةمحمدالعفرانى،منشوراتوجهةنظر.مطبعة النجاح الجديدة،الطبعةالأولى.2002.الدار البيضاء.

التضامن مع الثورة الجزائرية، والمطالبة بطرد القواعد العسكرية الأجنبية من الأراضي المغربية. كما استطاع الاتحاد المغربي للشغل أن يرسم خطا كفاحيا مستقلا عن البرجوازية وبقايا "الاقطاع"، فهي تجربة يتجاهلهاالكثير من الدارسين لتاريخ الحركة النقابية لدوافع إيديولوجية محضة. وقد برز هذا التعارض السياسي بين اتحد العمال النقابي المتمثل في ا.م.ش واتحاد أرباب العمل "الاتحاد المغربي للتجارة الصناعة-" في المواقف التالية:

-إصلاح صندوق المساعدات الاجتماعية C.A.C

- تأميم استيراد السكر والشاي.

-الموقف من السوق الأوربية.

وبموازاة الإضرابات العمالية السياسية ذات البعد التضامني، تمكن ا.م.ش/UMT من انتزاع عدة مكاسب اجتماعية، ظلت من أهم مكتسبات الطبقة العاملة في مغرب الاستقلال قبل أن يتم الإجهاز عليها من طرف أرباب العمل.

إن التنظيم النقابي بالمغرب شمل كل القطاعات بما في ذلك الرعاة وماسحي الأحذية، وانتقل عدد الفيدراليات النقابية من 14 فيدرالية سنة 1955، إلى 24 فيدرالية سنة 1959. كما تم تأسيس "الشبيبة العمالية المغربية" « LaJeunesseOuvrière Marcaine » ، وكذلك ظهر المسرح النقابي، وانتعاش المدارس التكوينية لفائدة العمال والنقابيين . إنه حقا حسب الباحثين العصر الذهبي للحركة العمالية المغربية.[1]

[1]ELMENOUNI ABDELATIF : LE SYNDICALISME OUVRIE AU MAROC .EDITION Maghrébines. CASA BLANCA 1979 Thèses à L Université GRONEUBLE EN France MARS 1976

## ملحق:

**جدول يبين أهم المكتسبات التي حققها الاتحاد المغربي للشغل بعد الاستقلال لصالح الطبقة العاملة ما بين *1956* و *1959*:**

| السنوات | المكتسبات[1] |
|---|---|
| **1956** | انتزاع اتفاقية جماعية في القطاع الفلاحي |
| **ابريل1957** | انتزاع ظهير 17 أبريل الخاص بالاتفاقيات الجماعية |
| **يوليوز1957** | انتزاع ظهير 7 يوليوز الخاص بطب الشغل |
| **أبريل1958** | انتزاع ظهير 9 أبريل حول شروط العمل والأجور في القطاع الخاص |
| **يوليوز 1958** | انتزاع ظهير17 يوليوز حول النقابات المهنية |
| **أكتوبر 1959** | انتزاع ظهير 31 أكتوبر الخاص بالسلم المتحرك للأجور والأسعار. |
| **ديسمبر 1959** | انتزاع ظهير 31 ديسمبر القاضي بإحداث الضمان الاجتماعي |

**تطور الحركة الاضطرابية ما بين *1966* و *1973*:**

| السنوات | عدد الإضرابات |
|---|---|
| **1966** | 78 إضرابا |
| **1967** | 268 إضرابا |
| **1968** | 331 إضرابا |
| **1969** | 230 إضرابا |
| **1970** | 177 إضرابا |
| **1971** | 315 إضرابا |
| **1972** | 210 إضرابا |
| **1973** | 137 إضرابا |

*- مصدر معطيات الجدول:

***Le syndicalisme ouvrière au Maroc, p 262,***

[1] www.sgg.gov.ma - مصدر معلومات الجدول، الجريدة الرسمية المغربية،

**أهم النقابات المركزية في المغرب من *1955* الى *1980*:**

| | النقابات المركزية المغربية | رمزها | تاريخ التأسيس | مقرها المركزي |
|---|---|---|---|---|
| ***1*** | **الاتحاد المغربي للشغل** | UMTإ.م.ش/ | 20 مارس 1955 | الدار البيضاء |
| ***2*** | **الاتحاد العام للشغالين بالمغرب** | UGTMإ.ع.ش.م | 20(*) مارس 1960 | الدار البيضاء |
| ***3*** | **الاتحاد الوطني لطلبة المغرب** | /اوطمUNEM | 26/دجنبر 1956 | الرباط |
| ***4*** | **الاتحاد الوطني للشغل بالمغرب** | UNTMإ.و.ش.م | 15 يونيو 1976 | الرباط |
| ***5*** | **الكونفدرالية الديمقراطية للشغل** | CDTك.د.ش/ | 25 نونبر 1978 | الدار البيضاء |

# الكتابة الليبية بين المحلي والمشرقي «الأبجدية الفينيقية».



ادريس فائق
باحث في تخصص
التاريخ والحضارة

**مقدمة:**

شكل الوصول الفينيقي إلى السواحل الليبية حدثا هاما في تاريخ المغرب القديم، نظرا للعلاقات التي جمعت بين الطرفين، حتى وإن كانت في البداية مقتصرة على الجانب التجاري، إلا أن الأمر الواقع فرض نفسه وذلك لما تتطلبه هذه العلاقة من وسائل وآليات لتعزيزها، فكان تجاوز العامل الإقتصادي إلى غزو ثقافي إن صح القول بلغ به الأمر إلى التصادم والإحتكاك بين الطرفين في مناحي متعددة أهمها؛ الكتابة أو الأبجدية الفينيقية التي استعصت على العلماء والباحثين في معرفة أصولها، بين الأصل المحلي الكنعاني وبين الأجنبي المنبثق من الكتاباتالسابقة كالمسمارية والهيروغليفية، نفس الشيء الذي يخص الكتابة الليبية حيث يؤكد البعض على أصولها المحلية،غير أن معطيات هذا الرأي تبقى ضئيلة من جهة وضعف الحقائق الأثرية من جهة أخرى نظرا لمحدوديتها، وكذا انعدام المصادر التاريخية المتعلقة بالموضوع، فضلا عن غياب وجهة نظر فينيقية وذلك مرده أن الفينيقيين لم يهتموا بتدوين تاريخهم وآدابهم في مواد مقاومة للفناء، إلا أنه عند طرح إشكالية المقارنة بين الكتابة الليبية في علاقتها بالأبجدية الفينيقة، تبقى غاية في الصعوبة في ما يخص من تأثر بالآخر إلا أن ما يمكن التشديد عليه هو حصول هذا التلاقي بوجه من الأوجه في فترة معينة خلال الوجود الفينيقي بالسواحل الليبية.

وفي حديثنا عن التمازج الثقافي خاصة في موضوع الكتابة الأبجدية الفينيقية في علاقتها بالكتابة الليبية ولمزيد من الإنفتاح على الموضوع نطرح التساؤلات التالية: أين حصل هذا التمازج؟ وما هي جذور الأبجدية الفينيقية وإشكاليتها لدى الباحثين؟ وما هي أصول الكتابة الليبية في حد ذاتها؟ ثم أين يتجلى إشكال الكتابة الليبية بين المحلي والمشرقي(الفينيقي) في حال وجدت هذه العلاقة؟

**I-الفينيقيون بالشمال الإفريقي والإحتكاك بليبيا.**

**1.طبيعة العلاقة بين الفينيقيين وسكان ليبيا.**

ينحدر الفينيقيون من شمال منطقة الهلال الخصيب، وقد ظهروا مند بداية الألف الثالث قبل الميلاد، وهم ليسوا من السكان الأصليين، فقد نزحوا إلى الساحل السوري والإختلاط بسكانه المنتمين إلى أرومة وهم جنس من البحر الأبيض المتوسط.[1]وشكل توسعهم في سواحل إفريقيا

[1] غانم، محمد الصغير، إشراف: هشام الصفدي، **التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط**، رسالة لنيل شهادة الدراسات العليا في

والمناطق الغربية لليبيا الحالية،وحتى المغرب مرورا بتونس والجزائر حدثا بارزا في تاريخ المنطقة عامة،[1] وقد شكلت التجارة والسلم أسس العلاقة بين الفينيقيين واللوبيين مند منتصف القرن التاسع قبل الميلاد إلى غاية القرن الخامس قبل الميلاد.

ففي المرحلة الأولى شهدت الهجرة الفينيقية من صور إلى هضبة بيرصة على يد الأميرة عليسة وصحبها خلال القرن التاسع قبل الميلاد إلى غاية القرن الثامن قبل الميلاد، وفي القرنين السادس والثامن قبل الميلاد تميزت هذه المرحلة ببناء قرطاجة وتوجيه اقتصادها نحو البحر الأبيض المتوسط، وإقامة الفينيقيين للمستوطنات الثلاث على طول الساحل اللوبي (أوتيكة، قرطاجة،لكسوس،)،[2] وقد شكلت مصارف أو محطات للإستراحة،ارتكز عليها الأسطول الفينيقي إما بالتزود بالماء والمؤن أو لترميم السفن.

### 2.موقف الليبيينمن التوسع الفينيقي بشمال إفريقيا.

رحب الليبيون بالتجارالفينيقيين الوافدين للمغرب القديم بغرض التجارة، نظرا لطبيعتهم السلمية، فساد نوع من التفاوض بينالطرفين، انتهى الأمرأخيرا إلى دفع الفينيقيين ضريبة مالية سنوية لزعماء القبائل اللوبية في مناطق رسوهم على طول الساحل، وأسهم ذلك في تأسيس مراكز للمبادلات التجارية مع ليبيا وتطوير العلاقات،[3] ونظرا لجهل الطرفين لغة بعضهم البعض فقد جرى التواصل بين الفينيقيين والليبيين بطريقة سميائية كانت فيها الإشارت والإماءات سيدة الموقف.

وظل التعايش قائما في المستوطنات البونية مع الليبيين ومع تطور هذه المدن أصبحت تضم أغلبية ذات أصول فينيقية،[4]وجرى تلاقح ثقافي بين الطرفين أدى إلى تداول اللغة البونية إلى جانب اللغة الليبية والكتابة بالخط البوني الجديد.[5]ويؤكد(harden) على أن الفينيقيين استطاعوا نشر كتابتهم بسهولة جراء أسفارهم واحتكاكهم بباقي الشعوب كاليونان والأتروسكان واللاتين، وجاء دور الآراميون والعبرانيون لأخذ النبطية وعن هذه الأخيرة تفرعت الكتابة العربية الشمالية[6].

## II-الكتابة الليبية وعلاقتها بالأبجدية الفينيقية

### 1.جذور الأبجدية الفينيقية وإشكاليتها لدى الباحثين

لقد سبقت الأبجدية الفينيقية عدة كتابات أخرى مثل التصويرية بوادي النيل والسومرية في جنوب بلاد الرافدين،فقد اعتمدت كل منهما على تصوير الأشياءأوالأفكار. وتطورت كل منهما بطريقتها الخاصة، إلى أن حلت العلامات الرمزية التي أزالت الغموض والتعقيد كالهيروغليفية التي تطورت إلى الهيراطيقية، مرورا بالديموطيقية، التي خلفتها اليونانية بعد اعتناق المصريين المسيحية.[7]أما المسمارية التي تطورت إلى مقاطع تشترك في تكوين الكلمات، فبدورها انتشرت في معظم آسيا الغربية، فاستعملهاالأكاديون والبابليون والعلاميون والحوريون ثم الحثيون. وقد كانت الأكادية لغة المراسلات الدولية خلال القرنالخامس عشر قبل الميلاد وما بعده، وذلك ماهو موجود في رسائل تل العمارنة.

وبخصوص الأبجدية الفينيقية فقد ظهرت لأول مرة تحت مسمى الكتابة السينائية حوالي القرنالخامسعشر قبل

---

التاريخ القديم، المؤسسة الجامعية لدراسات النشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1982، ص، 18.

[1] عدة مؤلفين: إشراف القبلي، محمد، **تاريخ المغرب تركيب وتحيين**، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الطبعة الأولى، عكاظ الجديدة، الرباط، 2011، ص، 83.

[2] فنطر، محمد حسين، **الحرف والصورة في عالم قرطاج**، الطبعة الأولى، منشورات أليف، تونس، 1969، ص، ص 13-14.

[3] Gssell, stéphane, ***Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord***, T.1, Librairie Hachette, Paris, 1927, p :382.

[4] هيرودوت، **تاريخ هيرودوت**،ترجمة: عبدالإلهالملاح، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001، ص، 369.

[5] Gabriel, Camps, ***Massinissa ou les débus de l'Histoire***,Lybyca, T.8, 1960, p :255.

[6] غانم، محمد الصغير، إشراف: هشام الصفدي، **التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط**، رسالة لنيل شهادة الدراسات العليا في التاريخ القديم، المؤسسة الجامعية لدراسات النشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1982، ص، 25.

[7] فرانكفورت، هنري، **فجر الحضارة في الشرق الأدنى**،ترجمة: ميخائيل،خوري، بيروت، 1959، ص.ص، 127-144.

الميلاد ،[1] في الوقت الذي أشار فيه العالم البريطاني(PetrieFlinders) خلال تنقيبه بمنطقة سيناء سنة 1905ميلادية، التي اكتشف فيها على أحد جوانب مناجم الفيروز القديمة في سرابيط الخادم بسيناء كتابة غريبة بعضها مكتوب بالأحرف التي تشبه الهيروغليفية والبعض الآخر لايشابهها، وأطلق عليها إسم الكتابة السينائية.[2]

وفي هذا الصدد أثبت العالم أولبرايت بأن ظهورها يعود إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد وأن مخترعيها كانوا عمال وأسرى لدى المصريين في معامل الفيروز وبلغ عدد حروفها حوالي 22 حرفا ساكنا،[3] غير أن الأبحاث الأثرية الحديثة كشفت عن ظهور الكتابتين الكنعانية والفينيقية على الساحل الفينيقي، بكل من مدن أوغاريت(رأس شمرا الحالية) وجبيل، ففي الأولى وبعد التنقيبات توصل العالم الفرنسي كلوشيفر ومساعديه إلى اكتشاف الألواح الأوغاريتية التي أثبتت بعد تحليل كتابتها المسمارية أن بعضا من ألواحها كانت تحمل لغة سامية كنعانية، وبعضها الآخر لغة حورية.[4]

وتمكنت هذه البعثة من ظبط أبجدية رأس شمرا المكونة من 30 حرفا منها 26 حرفا ساكنا. وقد تميزت هذه الأبجدية المسمارية ببساطتها مقارنة بالمسمارية العادية، ويعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وكانت لا تكتب إلا على الألواح الطينية،[5]كما أن اتجاهها كان من اليسار إلى اليمين. ويشير المؤرخ (Pliny) بأن الأبجدية الفينيقية قد أخذت من الكتابة المسمارية، التي كانت تكتب بها اللغة الآشورية.[6]

واعتمادا على أبحاثاللغة المتعلقة بأصول الأبجدية الفينيقية ومن خلال الأبجدية السينائية تم التوصل إلى أن هذه الأبجدية الباكرة ذات أصول هيروغليفية مصرية، غير أنه لا يعرف من استفاد من أول حرف من الكلمات التصويرية، وتحويله إلى حروف أبجدية هل هم المصريون أم عمال سرابيط الخادم في سيناء،لكن العالم اللغوي (Gardner) بعد تحليله للكتابة السينائية أكد على أنها مزيج من الكتابة الهيروغليفية والنبطية. والتي هي عبارة عن قصر القيمة الصوتية لعلامات معينة على الحرف الأول، وهي أصل اعتماد الفينيقيين لوضع أبجديتهم الأولى.[7]

ويشير تاريخ المغرب تركيب وتحيين إلى أن العلاقة بين جبيل ومصر عرفت ازدهارا منذ الألف الثاني قبل الميلاد، خاصة على عهد الأسرة المصرية رقم 12، حيث كان أمراء جبيل تابعين لمصر ويحملون لقب الأمراء النبلاء.[8]وكذا مغادرة النبيل سنوحي مصر عهد الملك المصري سنوسرت الأول إلى سوريا خوفا من بطشه، ومكوثه بالقرب من جبيل لسنوات عدة ثم عاد ووردت في رسائل تل العمارنة بأن جبيل كانت قد انحازت إلى مصر أثناء الصراع مع الحثيين بالرغم من مناصرة باقي المدن الفينيقية للحثيين، ولم تضعف هذه العلاقات إلا في أعقاب غزوات شعوب البحر المدمرة التي اجتاحت الساحل السوري ودمرت المدن الفينيقية.[9]

إلا أن هذه الآراء المتشبعة التي ذكرنا سابقا تمت إعادة النظر فيها بعد أكتشاف العالم الفرنسي (Menier) كتابة

---

[1] Moscati, Stéphane, ***Histoire et Civilisation des peuple semitiques***, Payot, Paris, 1955, p :121.

[2] ***Encyclepedia Britanica***, v.17,G.S.S, 1968, p :894.

[3] غانم، محمد الصغير، إشراف: هشام الصفدي، **التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط**، رسالة لنيل شهادة الدراسات العليا في التاريخ القديم، المؤسسة الجامعية لدراسات النشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1982، ص،25.

[4] Moscati, Sabatino, op.cit, p :272.

[5]

[6] كونتو، جورج، **الحضارة الفينيقية**، ترجمة: محمد،عبدالهاديشعيرة، منشورات شركة مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، 1948.

[7] غانم، محمد الصغير،**مرجع السابق**، ص، 25.

[8] عدة مؤلفين: إشراف القبلي، محمد، **تاريخ المغرب تركيب وتحيين**، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الطبعة الأولى، مطبعة عكاظ الجديدة، الرباط، 2011، ص، 111.

[9] غانم، محمد الصغير،**مرجع السابق**، ص، 24.

غطاء الملك أحيرام المكونة من سطرين، وبعد تحليلها من طرف العالم (Dussaud) الذي أثبتت دراسته المقارنة على أنها تتكون من22 ساكنا، وتختلف عن سابق الكتابات كالهيروغليفية والمسمارية، فهي كتابة محلية فينيقية ويعود ظهورها إلى نهاية الألف الثاني أي حوالي 1000 قبل الميلاد، كما نوه الأخير بهذا الإختراع نظرا لترك الفينيقيين الكتابة المعقدة في زمانها، وأفرزت 22 حرفا بسيطا يتيح تسجيل المخارج المختلفة الساكنة في لغتهم.[1] وعكس ماجاء به (Dussaud) فقد اكتشف العالم (Donald) نقوشا في جبيل تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، مخالفة لما توصل إليه سابقه، وذلك بعدم إشارة الحروف الفينيقية إلى مظهرها الشكلي، ويجب البحث في أصلها في الهيروغليفية التي تم العثور عليها في جبيل.

ويشير أيضا بعض المؤرخين إلى أن اللغة الفينيقية تبقى مادتها ضئيلة نظرا لضياع الثرات اللغوي الفينيقي أثناء غزو شعوب البحر والغزو الروماني للساحل الفينيقيوتدمير قرطاجة، وعدم تسجيل الفينيقيين لآدابهم وأفكارهم على مواد مقاومة للفناء كالسومريين والآشوريين، إضافة إلى قصر المدة الفينيقية بالشمال الإفريقي، وما رافق ذلك من تحريف المؤرخين اليونان واللاتين للحقائق التاريخية، كما يقرون بأن اللغة الفينيقية فرع خاص من اللغة الكنعانية، فهي تتشابه مع باقي اللغات السامية الأخرى في مرونة الألفاظ والتصريف الذي يطرأ على مصادرها،[2]وأنه تم ابتكارها في أوغاريت السورية ثم تطورت في جبيل (بيبلوس) وهي أصل أبجديات العالم؛ اليونانية، اللاتينية، العربية.[3]وقد تفرعت الكتابة الفينيقية إلى الأرامية والنبطية، وعن الأخيرة تفرعت الكتابة العربية الشمالية.[4]

**2.أصول الكتابة الليبية بين المحلي والمشرقي الفينيقي.**

كانت الليبية أصل الأمازيغية الحالية متداولة من قبل جميع الشعوب الليبية في معظم الشمال الأفريقي.[5] ونظرا لعدم استعمال الكتابة الليبية في الوثائق الرسمية واقتصارها على المجال الجنائزي، خاصة بعدما تم اكتشافها بمدينة دوكة بتونس، والتي تم فك رموزها والمعروفة بالليبية الشرقية أو النوميدية.[6]غير أن الكتابة الليبية في نظر البعض تعتبر كتابة صوتية وليست مقطعية مثلها مثل الكثير من الكتابات القديمة، حيث أكد القس (Fuljensius) الذي يعد أول من أشار إلى أنها أبجدية وليست رموزا وأنها متكونة من 22 حرفا صامتا وعدم توفرها على حروف متحركة، وهي عبارة عن خطوط مستقيمة أفقية وعمودية وأيضا الدوائر وأنصافها، والمثلثات مفردة أو مجموعة مع بعضها، ورموزها أقرب للأشكال الهندسية منها للخط المكتوب، لعل ذلك كان سببا في اعتبارها كتابة رمزية على حساب الأبجدية لدى الكثير من اللغويين بقولهم رموز الكتابة بدل حروف الكتابة.[7]

وبالعودة لتاريخ الكتابة الليبية تجدر الإشارة أن الباحثين لم يتوصلوا لوجود كتابة معينة يمكنها أن تكون أصلا للكتابة الليبة،وهذه الكتابة غالبا ما تعرضت لتأثيرات من الكتابات المعاصرة لها كالبونية والبونية الجديدة.[8] خاصة في ظل عدم وجود شواهد أثرية خلال القرون الثلاثة

[1] **نفسه**، ص، 25.

[2] حي، فيليب، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**،ترجمة: جورج،حدادوعبدالكريمرافق، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، 1958، ص، 121.

[3] الدنيا، محمد، رئاسة: رياض، عصمت، **الفينيقيون وأساطيرهم**، وزارة الثقافةالسورية، دمشق، 1988، ص، 34.

[4] **نفسه**، ص، 25.

[5] عدة مؤلفين: إشراف القبلي، محمد، **المرجعالسابق**، ص، 109.

[6] **نفسه**، ص، 111.

[7] Gssell, stéphane, ***op.cit***, T.6, p :94-95.

[8] فخري، أحمد، **دراسات في تاريخ الشرق القديم**، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1980، ص، 152.

السابقة تشير إلى تدوين الليبيين لغتهم في صورة أبجدية قبل تأسيس المملكتين النوميدية والمورية، أو في صورة رموز كتابية، غير أنهم بدؤوا التدوين عصر الاستقرار والتمدن وكان ذلك في القرن الثاني قبل الميلاد.

وحسب كتابتاريخ المغرب تحيين وتركيبفإن تاريخ الكتابة في العالم نتيجة لتطور نظام أو أنظمة كتابية مقطعية، والشعوب التي لم تعرف الأنظمة الكتابية تكون أبجديتها مقتبسة من غيرها نتيجة الإحتكاك.وعلى هامش الأبحاث الأثرية التي أجريت حول النقوش الصخرية بمملكة نوميديا فقد قسم الباحثون الكتابة الليبية إلى قسمين؛ الشرقية وهي مدونة في النص وبشكل أفقي ومجالها نوميديا الشرقية (الماسيل)، ووردت بشكل مزدوج البونية الليبية والبونية الجديدة الليبية. وهناك أيضا الكتابة الغربية والتي دونت بشكل عمودي ومجالها نوميديا الغربية (الماسيسيل) وبعض مناطق من (الماسيل)، وبعض أحرفها تشبه في رسمها بنظيرتها في نوميديا الشرقية.[1]

وقد تضمنت النقوش الليبية المكتشفة في نوميديا الغربية عددا محدودا من النصوصالكتابية، التي تنتمي للأبجدية الغربية حيث وصل عدد أحرفها إلى 38 حرفا.[2]كما عرف ظهور اللغة الليبية في بلاد المغرب القديم وما رافقها من لهجات مختلفة. تكلمها المجتمع الليبي في صورته القبلية وتعرضت هذه اللغة للإنقسام خلال الفترات التاريخية، خاصة العهد النوميدي، وبقي مستوى هذه اللغة ضمن المستوى الصوتي إلى إنتاج الأبجدية الأفقية والعمودية.[3]

ولم تحظى اللغة الليبية بعناية من طرف المؤرخين القدامى، بل والتجاهل الذي مورس عليها في كثير من الأحيان، إضافة إلى المنافسة اللغوية من طرف البونية واليونانية.[4]

وقد عرفت الكتابة الليبية ضعفا خلال القرنالأول قبل الميلاد. وتعتبر الليبية إحدى اللهجات الأمازيغية المعاصرة، حيث أجمع علماء اللغة أن أصلها من اللغات السامية الحامية (Chimito-sémitique) .[5] ويعتبرها استيفان جزيلمجرد كتابة تصويرية متميزة في مواضعها وتقنية تنفيدها، ويقول بأن الأصل السامي للكتابة الليبية هي الجد الأول للكتابة التيفيناغية (كتابة طوارق الصحراء).

وقد تعددت أراء المؤرخين وعلماء اللغة حول الكتابة الليبية، ووصولها إلى المستوى الثاني من عملية التدوين (الأشكال الهندسية) والأفكار المصورة، وإمكانية تدرجها من التصوير إلى الأبجدية مثل باقي اللغات، وأن الكتابة الليبية تتم على الرسوم الصخرية.[6]إلا أن الوجودالفينيقي بليبيا أواسط القرن الثالث قبل الميلاد، وبعض مضيسبع قرون، وعلى قيام قرطاجة أكثر من ثلاثة قرون وتركيز السياسة العقارية في أرض ليبيا أكثر من 150 سنة أصبح الفرز بين الليبي والفينيقي صعب جراء الإختلاط العرقي والغزو الثقافي، وبالتالي بروز حضارة مشتركة هي الحضارة البونية.[7]

كما عرفت هذه الفترة تأثر الشمال الأفريقي باللغة البونية بشكل عميق،[8] وإقبال البربر على الكتابة البونيقية وتعلمها، حيث ظلت منتشرة حتى جاءت العربية لتحل محلها خلال القرن السابع الميلادي بعد ثمانية قرون من

---

[1] Chaker, Salem, « Quelques réflixtion générales et méthodologiques sur le déchiffrement du Lybyques », ***Libyca***, dans les numéros suivantes, T. 25, 1977,p :152.

[2] Chaker, Salem, ***op.cit***, p :153.

[3] الرديني، محمد وعلي عبد الكريم، **فصول في علم اللغة العام**، الطبعة الأولى، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص.ص، 9-12.

[4] Gssel, Stéphane, ***op.cit***, T.1, p :312.

[5] سالوستيوس، ترجمة: الحارش، محمد الهادي، **حرب يوغرطة**، الطبعة الأولى، منشورات دحلب، الجزائر، 1991، ص، 77.

[6] Gssel, Stéphane, ***op.cit***, T.1, p :101.

[7] البلقوطي، حبيب، "دور اللوبيون في حرب المرتزقة"، **مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية**، العددين 7و8، منشورات المعهد الوطني للثرات، تونس،1992-1993، ص، 280.

[8] عدة مؤلفين: إشراف القبلي، محمد، **مرجع السابق**، ص، 82.

انقراض الدولة البونيقية وزوالها من الوجود.[1] وفي حديث بعض علماء الآثار و المؤرخين عن حقبة التأثير الشرقي على المجتمعات الأصلية بإدخال الفينيقيين للكتابة الأبجدية، التي نتج عنها ظهور عدة أنظمة كتابية محلية،[2] لا بد من استحضار العلاقة التي تربط الكتابة الليبية بالأبجدية الفينيقية،ويلاحظ الباحثون الشبه العام والخاص بين عدد كبير من رموزها وقيمتها (دلالتها)، وأيضا إمكانية ابتداء الكتابة من اليمين إلى اليسار بتوجيه وجهات الرموز ذوات الوجهات نحو آخر السطر، وكذا اتباع الطريقة المحراثية في تعاقب سطور النقشالواحد والآخر معروف من سمة الكتابة الكنعانية المتوسطية، التي أرخ بها أهل الإختصاص لتفرع الكتابتين العربية القديمة والإغريقية للمرحلة المتوسطية السابقة لآختفاء المحراثية، أي قبيل الكتابة الكنعانية المتأخرة المؤرخة بدايتها بنحو 1050 قبل الميلاد، ولعل المعطى الوحيد للكتابة العربية القديمة هو 1300 قبل الميلاد، ولعل شيئا نحو 1500 قبل الميلاد يكون أنسب وهو استدلال عقلي لا غير.[3]

إضافة إلى طبيعة كتابتها الصامتية وتوافر كل من النظامين الكتابيين على نفس عدد الرموز تقريبا مع التشابه الشكلي للرموز، ووجود ست علامات ذات قيمة صوتية مماثلة، كما تتجلى في عبارة "تيفيناغ" نفسها التي قد تعني "الفينيقيات"، وكذلك في ربط الكتابة في إطار الفن الصخري بحقبة الفرسان التي تمتد إلى حدود فترة ظهور الجمل بالمغرب إبان العهد الروماني، غير أنه لا يمكن معرفة الزمان والمكان الذي أدى إلى تحفيز الليبيين والفينيقيين على ابتكار الكتابة الأبجدية بما ينسجم مع خصوصياتهم الحضارية.[4]

هذا وعرفت اللغة القرطاجية انتشارا في معظم المغرب القديم، ووجدت صداها في المجتمع الليبي أكثر من غيره من الجتمعات الوافدة الأخرى أثناء التوسع في المنطقة المحصورة بين أوتيكا وقرطاجة إلى غاية الصحراء، وحضور اللغة بالريف والمدينة.

واستعمل القرطاجيون الكتابة على الكسر والأنصاب والجرار والأواني الفخارية ومساطر العظم والعاج، والتي من الممكن أنهم نقلوها إلى الليبيين بفعل الإحتكاك الحضري، حيث أصبحت اللغة والكتابة البونية هي اللغة الرسمية في العالم النوميدي في القرن الثاني قبل الميلاد.[5]وبقيت تمارس في قرطاجة حتى تدميرها سنة 146 قبل الميلاد، وقد بسطت وتعرضت للتغيير الجزئي، وأصبح يطلق عليها الكتابة البونية الجديدة، واستمرت في التحريف إلى بداية القرن الرابع الميلادي والعصر الإسلامي، حيث انطفأت شمعتها.[6] وعكس الإتجاه السابق فاجتهاد علماء اللغة لفك رموز الكتابات وذلك بالإعتماد على العبرية أو البونية يلاحظ الإختلاف الواسع بين رسم الحروف في الكتابات السامية والكتابات الليبية.[7]

**خاتمة:**

لا أحد يمكنه إنكار التاريخ الفينيقي بالشمال الأفريقي الذي يعد حلقة من هذا التاريخ، فالعلاقات بين الفينيقيين وليبيا عرفت ازدهارا خلال منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، جراء العلاقات التي ربطها الطرفين وإن كانت في بادئها تقتصر على الجانب التجاري، فقد تجاوزت ذلك إلى

---

[1] أندري جوليان،شارل،**تاريخ أفريقيا الشمالية**،ترجمة: محمد،مزاليوالبشيرسلامة، الجزء الأول، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969، ص، 137.

[2] عدةمؤلفين: إشرافالقبلي،محمد،**مرجع سابق**، ص.ص، 83-84.

[3] المنجي، بوسنينة، **الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية**، المجلد الأول، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 2005، ص، 150.

[4] عدةمؤلفين: إشرافالقبلي،محمد،**مرجع السابق**، ص، 110.

[5] زيدون، حمد المحسين، مولاي محمد،جنيف، **البونيقيون في شمال إفريقيا في ضوء البحث الأثري**، أدوماتو، العدد 13، يناير، 2006، ص، 85.

[6] حي، فيليب، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**،ترجمة: جورج،حدادوعبدالكريمرافق، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، 1958، ص،122.

[7] Février, James, ***Histoire de Lécrture***, ed, Payot, Paris, 1959, p :324.

تلاقح ثقافي شمل معظم مناحي الحياة. وخلال القرون الثلاثة التي أرخت للوجود الفينيقي بالساحل الليبي.

شكل موضوع الكتابةالليبية حلقة مستعصية على الباحثين وعلماء الآثار، الذين لم يسعفهم الحظ في الوصول إلى فك شفرة أصل الكتابة الليبية وعلاقتها بالأبجدية الفينيقية نظرا لغياب دلائل قاطعة، بالرغم من آجتهادات بعض علماء اللغة المقارنة والمؤرخين، إلا أن حديث أصل اللغة الليبية في علاقتها بالأبجدية الفينيقية يبقى من الصعب الجزم فيه، والقول بأنه نتاج للإحتكاك الحضاري في غياب وجهة نظر فينيقية، مع فتح المجال لهذه الإمكانية وذلك لطبيعة العلاقة التي جمعت بين سكان ليبيا والوفود الفينيقية.

**-المصادر والمراجع بالعربية:**


ـ الدنيا، (محمد)، رئاسة: رياض، عصمت، **الفينيقيون وأساطيرهم**، وزارة الثقافةالسورية، دمشق، 1988.

ـ الرديني، (محمد) وعلي عبد الكريم، **فصول في علم اللغة العام**، الطبعة الأولى، دار الهدى، الجزائر، 2007.

ـ المنجي، (بوسنينة)، **الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية**، المجلد الأول، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 2005.

ـ عدة مؤلفين: إشرافالقبلي، (محمد)، **تاريخ المغرب تركيب وتحيين**، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الطبعة الأولى، عكاظ الجديدة، الرباط، 2011.

ـ حي، (فيليب)، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**،ترجمة: جورج،حدادوعبدالكريمرافق، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، 1958.

ـ زيدون، (حمد المحسين)، مولاي محمد،جنيف، **البونيقيون في شمال إفريقيا في ضوء البحث الأثري**، أدوماتو، العدد 13، يناير 2006.

ـ كونتو، (جورج)، **الحضارة الفينيقية**،ترجمة: محمد،عبدالهاديشعيرة،منشورات شركة مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، 1948.

ـ سالوستيوس، **حرب يوغرطة**،ترجمة: الحارش،محمدالهادي، الطبعة الأولى، منشورات دحلب، الجزائر، 1991.

ـ أندري جوليان،(شارل)**تاريخ أفريقيا الشمالية**،ترجمة: محمد،مزاليوالبشيرسلامة، الجزء الأول، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969.

ـ فخري، (أحمد)، **دراسات في تاريخ الشرق القديم**، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1980.

ـ فرانكفورت، (هنري)، **فجر الحضارة في الشرق الأدنى**،ترجمة: ميخائيل،خوري، بيروت، 1959.

ـ فنطر، (محمد حسين)، **الحرف والصورة في عالم قرطاج**، الطبعة الأولى، منشورات أليف، تونس، 1999.

ـ غانم، (محمد الصغير)، إشراف: هشام الصفدي، **التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط**، رسالة لنيل شهادة الدراسات العليا في التاريخ القديم، المؤسسة الجامعية لدراسات النشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1982.

ـ البلقوطي، (حبيب)، "دور اللوبيون في حرب المرتزقة"، **مجلة الدراساتالفينيقية البونية والآثار اللوبية**، العددين 7و8، منشورات المعهد الوطني للثرات، تونس،1992-1993.


✓ **المراجع باللغة الفرنسية:**


- Chaker, Salem, « Quelques réflixtion générales et méthodologiques sur le déchiffrement du Lybyques », ***Libyca***, dans les numéros suivantes, T. 25, 1977.
- Février, James,***Histoire de Lécrture***, ed, Payot, Paris, 1959.
- Gabriel, Camps,***Massinissa ou les débus de l'Histoire***,Lybyca, T.8, 1960.
- Gssell, stéphane, ***Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord***, T.1, Librairie Hachette,Paris, 1927.
- Moscati, Sabatino,***Histoire et Civilisation des peuple semitiques***, Payot, Paris, 1955.
- ***Encyclepedia Britanica***, v.17,G.S.S, 1968.

# الأوقاف وعائداتها بين استثمارها والمحافظة عليها:نموذج مدينة فاس



د.خالد صقلي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية.ظهر المهراز
جامعة سيدي محمد بن عبد الله—فاس

لم تحظ قضايا البحث في مجال الأوقاف عموما بعناية الباحثين المختصين دراسة وتأليفا إلا في العقود الأخيرة،على اعتبار أن هذا المجال كان يندرج حسب اعتقاد بعض الباحثين في اطار اختصاصات العلوم الدينية،لكن وبعد تطور المناهج التاريخية واقتحام الباحثين بمختلف تخصصاتهم ومشاربهم الفكرية،لمختلف مجالات العلوم الانسانية بدأ البحث عن بديل للمصادر التقليدية،وهكذا ظهرت أهمية الكتب الأدبية وكتب "الجغرافية، والرحلات" فضلا عن المصادر "الفقهية" مثل "الحوالات الحبسية" و"النوازل الفقهية" وغيرها،و التي شكلت وتشكل في مختلف المراحل التاريخية للمغرب ثروة مصدرية هامة للمؤرخ.

ويعتبر الوقف من أعظم المؤسسات "المدنية" التي أسهمت بشكل كبير في تعمير البلاد الإسلامية، وتحسين ظروف عيش الناس وتنمية مستوياتهم العلمية ورعاية أحوالهم الصحية. وقد شكل أيضا وسيلة فعالة لإشاعة ثقافة الخير والقيام بأعمال البر والإحسان التي حث الدين الإسلامي عليها ورغب فيها باعتبارها من الصدقات الجارية التي يؤجر عليها صاحبها في حياته وبعد مماته. وقد سارع المسلمون إلى التنازل عن أملاكهم وتوقيفها على أبواب الخير المختلفة، رغبة منهم في تزكية النفس، والقيام بفروض الطاعة، وتوجيه الهمة للدار الآخرة وثوابها، وشكر المنعم المتفضل ونيل رضاه سبحانه وتعالى .

ومن المعلوم أن الجهد الشعبي والرسمي أسهما في تعزيز مؤسسة الوقف بالتكثير من أصولها والرفع من مواردها مما كان له الأثر المباشر في تماسك مكونات المجتمع وتحقيق شبكة من العلاقات الاجتماعية تغطي دوائر مختلفة ومستويات متباينة بدءا من دائرة الأسرة من خلال الوقف المعقب ووصولا إلى دائرة الأمة من خلال الوقف الموجه لخدمة أبناء الأمة ككل. وتعكس هذه الأنواع من الأوقاف مدى أهمية الصدقات الجارية في تعزيز الأواصر بين الأفراد سواء على مستوى الحي أو الجهة أو البلد والأمة، ولهذا شكل الوقف قاعدة صلبة من قواعد بناء المجتمع ودعامة أساسية في تحصينه من آفات الفقر والخصاصة والجهل ولمرض وغيرها.وعلى العموم يجب الركيز في مثل هذه المواضيع على دراسة قضايا ثلاث :اولا:ضرورة تطوير الاوقاف بشكل يؤدي الى اتساع مجالاتها و تكثير عائداتها ،ثانيا:الحاجة الى استراتيجية مهيكلة من اجل استثمار عائدات الاوقاف وتعميم الاستفادة منها،ثالثا:ضرورة خلق اليات جديدة

وابتكار اساليب وصيغ حديثة لتنمية الاوقاف والمحافظة عليها من الاندثار والزوال.

وقد اتخذت من مدينة فاس كنموذج للدراسة لاعتبارات تاريخية محضة على اساس انها عرفت الوقف منذ عهد تاسيسها زمن المولى ادريس الثاني،و أمسى الوقف فيها وعلى مدى تاريخ تأسيسها والى اليوم يعتبر ركيزة اساسية في الحياة العامة لسكانها.

**المحور الاول:نظرة موجزة عن الوقف بين تعريفه ومشروعيته وانواعه في الاسلام ،وتاريخه في المغرب:**

**1: تعريف الوقف:**

يقصد بالوقف لغة الحبس والمنع([1])،وهو فعل ثلاثي من وقَف يقِف وقوفا ووقفتُه واوقفتُه وقفاً، ويُشتهر استعمال المصدر باسم المفعول، فيقال: هذه الدار وقف، أي موقوفة، ولهذا فإنه يثنى ويجمع عندئذ، فيقال: وقفان و أوقاف، ويأتي بمعنى السكون، فيقال وقفت الدابة إذا سكنت([2])،والوقف نوع من الحبس عند كثير من الفقهاء، لما فيه من منع التصرف بالعين،والحبس في اللّغة: المنع والإمساك، من مصدر حبس،فيقال حبست واحبست حبسا،واحبست واحبس احباسا، ويطلق على الموضع، وجمعه حُبوس - بضمّ الحاء - ، ويقال للرّجل: محبوس وحبيس، وللجماعة: محبوسون وحُبُس - بضمّتين - ، وللمرأة: حبيسة، وللجمع: حبائس، ولمن يقع منه الحبس: حابس([3]).

اما اصطلاحا فقد اختلف الفقهاء في تعريف الوقف تبعا لاختلافهم في حقيقته، ونوع الملكية الثابتة به.

فذهب أبو حنيفة النعمان إلى أن الوقف حبس العين على حكم ملك الواقف، والتصدق بالمنفعة ولو في الجملة، ومعناه بقاء العين على ملك الواقف، مع منعه من التصرف فيها([4])،وذهب المالكية إلى أن الوقف من حيث هو مصدر هو: (إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازما بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرا)، ومن حيث هو اسم (ما أُعطيَت منفعته مدة وجوده)([5])،وعرَّفه الشافعية بأنه: (حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح موجود)([6])، وعرَّفه الحنبلية بأنه: (تحبيس مالك مطلق التصرف مالَه المنتفع به مع بقاء عينه بقطع تصرفه وغيره في رقبته، يصرف ريعه إلى جهة بر تقربا إلى الله تعالى)([7]).

وصفوة القول فالوقف في عمومه هو حبس العين عن تمليكها لأحد من العباد والتصدق بالمنفعة على مصرف مباح. والعين إما أن تكون داراً أو بستاناً أو نقدا... ([8])

**2:مشروعية الوقف:**

---

[1])انظر:مدونة الاوقاف المغربية،الصادرة بتاريخ 8ربيع الاول1431هـ / 23فبراير2010م، ،باب تمهيدي(أحكام عامة)،المادة1،ص3.

[2]) انظر:- الفيروزاباد،القاموس المحيط،ج3،ص205، مادة (وقف).-محمد ابن منظور،لسان العرب،دار الفكر،بيروت، ج3،ص 19،مادة(وقف).

[3]) انظر:- المصباح المنير والقاموس المحيط والمعجم الوسيط ولسان العرب، مادة (حبس).-محمد زنيبر،"الحبس كمظهر من مظاهر السياسة الاجتماعية في تاريخ المغرب"،منشور ضمن اعمال ندوة مؤسسة الاوقاف في العالم العربي والاسلامي،بغداد، 1983.

[4])انظر:-فتح القدير ،ابن همام،مصر،1316،ج5،ص37.-علي فكري،المعاملات المادية والفكرية،مطبعة مصطفى البابي،بصر،1938،ج2،ص299-300.-محمد امين ابن عابدين،رد المحتار على الدر المختار،دار احياء التراث العربي،بيروت،ج 3،ص357-358.

[5])انظر:-وهبة الزحيلي،الوصايا والوقف في الفقه الاسلامي،الدار الجامعية للطباعة والنشر،بيروت،1982،ص155-156.-منح الجليل شرح مختصر خليل،دار الفكر ،بيروت،1989،ج4،ص34.-وراجع:ابو البركات احمد الدردير،الشرح الصغير على اقرب المسالك الى مذهب الامام مالك،دار المعارف ،مصر1989.

[6])انظر:محمد ابو زهرة،"مشروع تنظيم الاوقاف"،مجلة القانون والاقتصاد، العدد6، 1943.

[7])انظر:ابن قدامة المقدسي،الكافي في فقه الامام احمد بن حنبل،تحقيق الشاوش زهير،المكتب الاسلامي،بيروت،1982.-محمد الرصاع،شرح حدود ابن عرفة ،ج2،ص539.-علي الجرجاني،التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت ،ص253.

[8])انظر: - **الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية** ،محمد المكي الناصري،طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، 1992م.- قانون العدل والإنصاف للقضاء على مشكلات الأوقاف، قدري محمد، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، 2007م .

تتضمن المصادر الثلاثة :القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع دلالات مباشرة، وأخرى غير مباشرة على مشروعية الوقف،فقدحث القرآن الكريم على الإحسان، وجميع أنواع البر والخير والإنفاق، والوقف يتضمن هذه العناصر، بل يعد أحد صورها الرئيسية،ونذكر من الايات القرانية على سبيل الذكر لا الحصر ماورد في سورة البقرة من قوله سبحانه وتعالى :{**يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة** }([1])،{**ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ،ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين ،واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب**}([2])،{**يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض**}([3])،فهذه الآيات وغيرها لا تدل مباشرة على مشروعية الوقف فحسب، ولكنها تدعو للإحسان العام في الإسلام، ويأتي الوقف في مقدمته، لما يؤديه من ادوار ايجابية تخدم المجتمع وتدفع به نحو التنمية المستدامة، اما أدلة السنة النبوية ([4]) والإجماع([5])على الوقف فكثيرة ومتنوعة ووردت في اغلب الصحاح ([6]).

## 3:انواع الوقف:

لقد انفردت الشريعة الاسلامية في موضوع الوقف بتقنينه بشكل تفصيلي،والتوسع في اهدافه وانواعه ومقاصده([7])،فقام الوقف بادوار مهمة في ميادين مختلفة وبصور متنوعة،فاظهر مع الوقت مدة شموليته واتساع نواحيه، حتى انه هم مجالات ولم تكن في حسبان احد ([8])،وعموما فقد ميزت التعاليم الاسلامية بين ثلاث انواع من الوقف:

---

[1])سورة البقرة الاية254

[2])سورة البقرة الاية 177

[3])الاية267من سورة البقرة

[4])انظر:-الدسوقي محمد، الوقف ودوره في تنمية المجتمع الإسلامي، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،عدد 64، القاهرة، 2000،ص38.-غانم إبراهيم البيومي، الأوقاف والسياسة في مصر، دار الشروق، بيروت، ط 1998،1.-عبد المحسن العثمان،الوقف احد الصيغ التنموية الفاعلة في الإسلام،ضمن اعمال الندوة الفقهية العاشرة لمجمع الفقه الاسلامي في الهند،نشر دار الكتب العلمية، بيروت،ط 2001،1.-عبد الله طارق،"المجتمع المدني ونظام الوقف بين المرجعية الاسلامية وازمة العلوم الاجتماعية"، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، عدد 21،2001.

[5]) انظر :أحمد الشيباني الخصاف، أحكام الأوقاف، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1990،ص178.

[6])وانظر:ربحي مصطفى عليان،"الوقف في الحضارة العربية الاسلامية"،مجلة الامن والحياة ،العدد238،السنة21، 2002.- محمد بنعبد العزيز،الوقف في الفكر الاسلامي،منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية،ج1، 1996.-محمد مصطفى شلبي،احكام الوصايا والوقف،الدار الجامعية للطباعة والنشر،بيروت،1982.- الاحسان الالزامي في الاسلام وتطبيقاته في المغرب،محمد الحبيب التجكاني،مطبعة فضالة ،المحمدية،1990.

[7])انظر:-منذر قحف،"الوقف"،دائرة معارف العالم الاسلامي الحديث، أكسفورد،1995، ج4.-محمد ابو زهرة،محاضرات في الوقف،دار الفكر العربي،القاهرة،1971. -أحكام الوقف دراسة قانونية فقهية مقارنة بين الشريعة والقانون ، منذر عبد الكريم القضاة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2011م .- محمد عبيد عبد الله الكبيسي، **أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية**، مطبعة الإرشاد ، بغداد،1977 .-نعمت عبد اللطيف مشهور،اثر الوقف في تنمية المجتمع،المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع،1996،بدون مكان.-زهدي يكن،الوقف في الشريعة والقانون،دار النهضة العربية ،بيروت،1388.

[8])وانظر نماذج من هذه الاوقاف عند كل من :-ابو عبد الله محمد ابن بطوطة ،رحلة ابن بطوطة(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) دار إحياء العلوم،بيروت ،1987،ص122.-حسان حلاق،اوقاف المسلمين في بيروت في العهد الاسلامي،نشر المركز الاسلامي للاعلام والانماء،بيروت،ط1950،1،ص32-33.-محمد امين،الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر،دار النهضة العربيةمصر،دون تاريخ وطبعة،ص19.-مصطفى السباعي،من روائع حضارتنا،نشر المكتب الاسلامي، بيروت ،ط 1987،5،ص126.-علي محمد كرد،خطط الشام،مكتبة النوري،دمشق، 1983، المجلد3،ج6،ص97.-محمد مطيع،المدرسة العمرية بدمشق وفضائل مؤسسها،دار الفكر المعاصر،دمشق،ط1، 2000،ص356.-عمر عبد السلام التدمري،وثائق نادرة من سجلات المحكمة الشرعية بطرابلس،نشر مؤسسة المحفوظات الوطنية،2002،ص220. -Monzer Kahf.The Waqf in The Encyclopedia of the Modem Islamic World.Oxford Press.1995.New york.V4.

**أ:الوقف الخير** ي:او العام،وهو الذي يقصد به الواقف الصرف على وجوه البر، المتنوعة،سواء أكان على أشخاص مُعينين، كالفقراء والمساكين والعجزة، أو كان على جهة من جهات البر العامة،كالمساجد والمستشفيات والمدارس وغيرها مما ينعكس نفعه عن المجتمع([1]).وقد عرف هذه النوع من الوقف قبل ظهور الاسلام الا ان المسلمين هم الذين توسعوا في هذا النوع من الوقف ونوعوا في اشكاله بتنوع حاجيات المجتمع،وتفوقوا في كثير من وجوهه على جميع ما عرفته الحضارات القديمة.[2]

[1]) انظر، منصور سليم، الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2004.-غانم ابراهيم بيومي،"نحو تفعيل دور نظام الوقف في توثيق علاقة المجتمع بالدولة"،نشر المستقبل العربي،بيروت ،العدد2001،266.- الوقف الخيري في الإسلام، وأبعاده التنموية من خلال الدراسات التي تناولت الوقف عند المسلمين ،السعيد بوركبة، دار أبي رقراق،2010.

[2])انظر:-محمد عمارة،"الاوقاف والتنمية"،مجلة المستقبل العربية،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،العدد235 ،1998.- عبد الواحد، عطية، حق الفقراء المسلمين في ثروات الأمة المسلمة، دار النهضة العربية، القاهرة،1992.- مشهور نعمت عبد اللطيف، أثر الوقف في تنمية المجتمع، مجلة الاقتصاد الإسلامي، دبي،العدد224، 2000.

**ب:الوقف الديني البحت:**وهو تخصيص الاموال ووقفها لاهداف العبادة بمعناها الضيق،كاماكن الصلاة من مساجد وزوايا، والحج وما يتبعه ومرافق الذبح وغير ذلك،وهذا النوع عرفته جميع الشعوب منذ فجر التاريخ([1]).

**ت:الوقف الخاص الخاص او الأهلي أو الذري**(Family or Posterity Trust): وهو ابتكار اسلامي محض، اخذ به الصحابة رضي الله عنهم بعد ان قام سيدنا عمر رضي الله عنه بوقف بخيبر واشهد عليه من حضر معه وقتئذ([2])،فتبعه غالبية الصحابة بوضع اوقاف من املاكهم صغيرا كان او كبيرا، وكتب بعضهم فيها انها لذرياتهم اولا ثم لوجوه الخير العامة من بعدهم([3])،بمعنى ان يوقف الوقف في ابتداء الأمر على نفس الواقف أو أي شخص أو أشخاص من ذريته، ليجعل آخره لجهة خيرية([4])،او عمل خيري([5]).

لقد عمل الوقف بكل صوره واشكاله وتجلياته على سد اغلب حاجيات الفرد ومن ثمَّ المجتمع ،وحسب سُلم ماسلو([6]) فان الحاجيات الفيسيولوجية تحت اعلى السلم الهرميلأنها ضرورية للحياة نفسها وأساسية في استمرارها ويليها حاجيات اخرى بدرجات متفاوتة حسب المجتمع وثقافته،مما يعكس نبل الحس الاسلامي الذي دفع الفرد لفعل الخير وايثار الغير على نفسه،فالوقف مرصد اجتماعي يتلخص دوره في تشخيص مواطن الفقر واماكن العجز اولا ومن ثم رصد التمويل وتشكيل الاطار المؤسساتي اللازم لاستداركه ثانيا،رفقا وشفقة بالموقوف عليهم وتقربا واحتسابا من الله عز وجل.

## 4:تاريخية الوقف في المغرب:

تشكل الأوقاف الإسلامية بالمغرب تراثا خالصا للمسلمين المغاربة، تركه السلف منذ الفتح الاسلامي للمغرب ([7])كضمانة مادية لاستقرار الإسلام واستمرار تعاليمه،ايمانا منهم بأهميته التي لا تنحصر في البر والإحسان بل تشمل كافة مجالات الحياة دون الاقتصار على مجال معين، فكانت المساجد في طليعة المؤسسات الوقفية التي انشئت وتوزعت في كافة الحواضر والبوادي المغربية ([8])،إذ يعود تاريخ تاسيس اقدمها الى

---

[1]) انظر:-حسن الضيقة،"الملكية والنظم الضريبية في الدولة العثمانية" ،مجلة اجتهاد،بيروت،العدد36، 1997.-فؤاد عبد الله العمر،اسهام الوقف في العمل الاهلي والتنمية الاجتماعية،نشر الامانة العامة للأوقاف،الكويت،ط1، 2000.-ابراهيم العسل،التنمية في الاسلام،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،بيروت،ط1، 1996.

[2])انظر ايضا عن قصة وقف عين رومة :-صحيح البخاري،كتاب المسقاة،باب في الشرب،ج2،ص838.-جامع الترميذي،ابواب المناقب،ج10،ص202-209.وراجع ايضا: الزيلعي محمد،نصب الراية لاحاديث الهداية،نشر المجلس العلمي لكراتشي ،باكستان ،ط2، ج3،ص477.-محمد الكبيسي،احكام الوقف في الشريعة الاسلامية، بغداد، مطبعة الارشاد، 1977.

[3])انظر:زهدي يكن،المختصر في الوقف،دار الفكر العربي،القاهرة،1981،ص20-23.-محمد الزحيلي،"الوقف الذري"،مجلة الشريعة والقانون،جامعات الامارات العربية المتحدة،العدد27،جمادى الثانية 1327هـ/2000م،ص145.

[4])انظر:ناصر الدين سعيدوني،دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية،دار الغرب الاسلامي،بيروت،ط1، 2001، ص248.-مجموعة مؤلفين،رسالة جمعية العلماء بدمشق لإبطال فتوى في جواز حل الاوقاف الذرية،مطبعة الترقي،دمشق،1937،ص34.- فؤاد عبد الله العمر، إسهام الوقف في العمل الأهلي والتنمية الاجتماعية ،نشر الأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت، 2000.

[5])الا ان هذا النوع من الوقف الغي في عدد من الدول العربية لعدة اسباب،فالغي في سوريا سنة1940،وفي مصر سنة 1952، وفي ليبيا سنة 1973.وانظر:-جمعة محمود الزريقي:"الوقف الاهلي بين الالغاء والابقاء"،مجلة اوقاف،العدد3،السنة الثانية،رمضان 1423هـ/نونبر2002، ص83.-الشيباني بنبلغيث،بورقيبة والاوقاف،مطبعة دار نهى،تونس،ط 1،2009.

[6])انظر: عن المستشرق ماسلو رائد علم النفس وصاحب نظرية سلم الحاجيات المعروفة (بسلم ماسلو)،ماجد عرسان الكيلاني،الامة المسلمة،مكتبة العصر الحديث للنشر والتوزيع،بيروت،ط2، 1992، ص135.

[7]) *انظر:-أحمد الريسوني،الوقف الإسلامي مجالاته وأبعاده ، منشورات المنظمةالإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسسكو ،مطبعة فضالة ،المحمدية،2001،ص29.-محمد بن عبد الله،"ناظر الوقف -2-"،مجلة دعوة الحق، العدد 239،غشت1984،ص33. المؤسسات الحبسية في المغرب من النشأة إلى سنة 1956، لجزيف لوشيوني، تقديم وترجمة نجيبة أعرَابي، الطبعة الأولى، دار أبي رقراق للطباعة والنشر،بدون تاريخ.*

[8])انظر: أحمد الريسوني،م.س،ص29.-عبد الهادي التازي،جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس،دار الكتاب

أيام الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري([1])، والمغاربة لما عرفوا قدسية الوقف، باعتباره من أطيب المكاسب التي تشكل نظاما اجتماعيا أصيلا يستمد أسسه من الشريعة الإسلامية ويهدف الى تعزيز الروابط بين الأفراد ظلوا في مختلف عهودهم التاريخية ومستوياتهم الاجتماعية يحرصون على تحبيس شيء من ممتلكاتهم في سبيل الله وذلك لصرف ريعها ومدخولها في وجوه الخير المختلفة وإقامة شعائر الدين وتحقيق المنافع العامة للمسلمين وغيرهم ممن وفدوا على المغرب، لتحتل بذلك الممتلكات الوقفية مكانة عظيمة في حياة الفرد و المجتمع ،حتى أصبح من النادر أن يخلو حي أو زقاق من تحبيس مسجد اوحمام او طاحونة ...، خاصة وأن المبادرات الفردية أو الجماعية للمحسنين ساهمت بحظ وافر في التكثير من عددها سواء بما رصدوه لها من هبات مالية أو بما اوقفوه عليها من رباع وعقارات.لكن ومع تطور المجتمع وتلاحق المراحل التاريخية المتعاقبة على حكم المغرب،سرعان ما ظهرت ألوان شتى من الوقوف والموقوفات على اختلاف أنواعها الدينية والتعليمية والاجتماعية والصحية والاقتصادية ، وأصبح لها دور بارز في توفير الكثير من الخدمات للمجتمع بطريقة تلقائية وتطوعية من جميع طبقات المجتمع المغربي رسميا وشعبيا وتبعا لحاجاته ومتطلباته.

وهكذا ادرك مؤسسوا مدينة فاس وسكانها والمهاجرين اليها من مختلف الحواضر العربية قدسية الأوقاف وحُرمتها الدينية ،وتيقنوا بأن الوقف هو افضل ضمانة ثابتة يحفظ لمجتمعه كرامته ،فاجتهدوا في خلق انواع شتى من الوقف واسهموا في حماية المؤسسات الوقفية في كل مجالاتها من كل اعتداء أو تصرف مخالف للأهداف التي حبست من أجلها،حتى انه في بعض الفترات اصبحت ميزانية بعض المساجد والزوايا تنافس ميزانية الدولة بل إن الدولة كانت تقترض في مراحل معينة من تاريخ المغرب وفي مدينة فاس بالخصوص من خزينة الأوقاف عند الأزمات والحروب ،وعند الحاجة بناء المرافق الحيوية في مدن أخرى فاجتهد السكان في الحفاظ على الوقف وحسن تدبير ممتلكاته ومراقبتها واحصاءها وتسجيلها في دفاتر رسمية تعرف بالحوالات الحبسية ([2]).وفي عهد الدولة المرابطية شهدت المدن والبوادي المغربية بناء مجموعة من المدارس والرباطات التي كانت ملاذا لطلاب العلم يقصدونها من كل فج عميق ومصاريف ايوائهم واطعامهم ودراستهم كانت على نفقة الأحباس،حتى ان يوسف بن تاشفين كان حريصا اشد الحرص على زيارة المساجد وتفقد الرباطات واصلاح اسوارها وترميم مرافقها وبناء السقايات والحمامات وتشييد اوقاف لها في جميع أنحاء مدينة فاس واوردت المصادر انه كان ينزعج حين لا يجد مسجدا او حماما في منطقة ما ويعاقب المسئول ويجبرهم على بناءه بما يرافقه من مرافق،وفي عهد الموحدين كانت أول خزانة أوقفت بالمغرب([3])، اضافة الى مجموعة من المساجد التي تم تحبيسها كالمسجد الأعظم بسلا وجامع المنصور

---

اللبناني،بيروت،1973،ج1،ص125 ،ج2،ص398 وما بعدهما.- محمد زنيبر،م.س،ص103.

[1])انظر: رقية بلمقدم، أوقاف مكناس في عهد مولاي اسماعيل ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1993،ج1،ص42.-تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب، مصطفى بنعلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية ، 2007م.- سعيد بوركبة ،دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب على عهد الدولة العلوية،مطبعة فضالة ،المحمدية، 1996.

[2])انظر على سبيل الذكر لا الحصر:- حوالات احباس طنجة،توجد نسخة منه مخطوطة بالخزانة الملكية،بالرباط تحت رقم 10823.-حوالات احباس سلا، توجد نسخة منه مخطوطة بالخزانة الملكية،بالرباط تحت رقم593.-مخطوط احباس السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، توجد نسخة منه مخطوطة بالخزانة الملكية،بالرباط تحت رقم13704.مخطوط تقاييد اوقاف السلطان سيدي محمد بن عبد الله بثغر الاسكندرية،لسليمان باشا، توجد نسخة منه مخطوطة بالخزانة الملكية،بالرباط تحت رقم12688.

[3])انظر : السعيد بوركبة ،دور الوقف في الحياة لثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية ،م.س، ج1،ص66.

بمراكش([1]) وعدد من المدارس التي كان لها الأثر البارز في دفع عجلة التنمية الثقافة و تعميمها في هذا العهد([2])وشهدت مدينة فاس خاصة في عهد يعقوب المنصور الموحدي وابنه الناصر طفرة نوعية يُشاد بها في مجال الوقف إذ ضمت المدينة وحدها وقتئذ 785مسجا و42 دارا للوضوء و80سقاية عمومية،و43حماما وعددا من الفنادق والارحية والحوانيت والطرازات وغيرها،وكان جلها محبسا على مساجد المدينة خاصة مسجد القرويين،فتكاثرت هذه المؤسسات الخيرية وقل ان يجد المرء دكانا أو فندقا أو معملا لا تعود موارده كلا أو بعضا إلى الاحباس.أما عهد الدولة المرينية فيعتبر مرحلة هامة قي تاريخ تطور الوقف بالمغرب عامة وفاس خاصة كما وكيفا، فقد اهتموا بشكل عملي ومكثف بتنظيم مؤسسة الوقف وتعيين مشرفين مباشرين له معتمدين في ذلك على مجموعة من التقنيات المستمدة من فتاوى الفقهاء حيث أحدثوا نظارات للوقف بمختلف الحواضر المغربية،وجعلوا لكل حبس ناظر([3])، كما ضبطوا رباع الوقف عن طريق نظام الحوالات الحبسية([4])،وانشئوا الكراسي العلمية لتدريس العلوم العقلية والنقلية وأوقفوا عليها عقارات ومنقولات، فتزايدت أحباسها وتكاثرت،كما اجتهدوا في مجال تشييد المكتبات فشيدوا عددا منها في بعض المدن،ووسعوا القديمة في مدن مغربية اخرى كتازة ومكناس وسلا ومراكش وسبتة... ،كما اعتنوا ببناء المساجد والمستشفيات والمارستانات،فخصصت أوقاف في مدينة فاس وعهدوا بإدارتها لأشهر الأطباء المغاربة والعرب اعتناء بالمرضى وحرصا منهم على استمرارية اوقافها.وواصل سلاطين الدولة الوطاسية اهتمامهم بما ورثوه من مخلفات الدولة المرينية ،خاصة فيما يتعلق بتاسيس الكراسي العلمية وتشجيعها لانها كانت بمثابة ولاية حكومية لا تقل عن منصب القضاء والفتيا والوزارة، كما تم تسخير مداخيل الأحباس التي شهدت تدفقا وازدهارا لا نظير

---

[1]) انظر السعيد بوركبة،م.س،ص71

[2])انظر:المعجب في تلخيص اخبار المغرب من فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين،عبد الواحد المراكشي،دار الفكر،1978

[3]) ترتبط النظارة بشخص الناظر إذ يعتبر العمل المسند إلى الناظر بمقتضى رسم التحبيس أو بمقتضى تعيين من له الحق في ذلك هو الغرض الأساسي من تنصيب هذا الناظر، وهو رعاية العين المحبسة بصيانتها ورد الاعتداء عليها وتنفيذ ما نص عليه لفظ المحبس بصرف غلتها فيما حسبت عليه، ثم المحافظة على مافضل بعد ذلك مع التزام الأمانة والعفة وبذل الجهد في الرعاية كما هو شأن الحريص على ماله. و بصدور ظهير 2003 المنظم للهيكلة الجديدة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وإحداث المندوبيات الإقليمية والجهوية، قصر عمل النظار على رعاية شؤون الأوقاف تسييرا وضبطا وتنمية...،أصبح من الضروري تقليص عدد النظارات وحصرها في المناطق التي تتوفر على رصيد عقاري حبسي يبرر وجودها، وهكذا أصبح عدد النظارات أربعا وعشرين نظارة مع إمكانية إحداث نظارة جديدة كلما اقتضت الضرورة ذلك. ويرأس كل نظارة بطبيعة الحال ناظر للأوقاف ما زالت سلطاته تعتبر استمرارا لما كان عليه سلفه في العصور السابقة. إذ مازال المسؤول الأول داخل منطقة نفوذه الترابي على جميع الأملاك الحبسية العامة وأحباس الزاوية مع مراقبة الأحباس المعقبة، ومازالت جميع التصرفات التي تجري بالنسبة لهذه الأملاك إنما تجري بتوقيعه

ويمكن إجمال اختصاصاته فيما يلي:أولا: ضبط الأملاك الحبسية بإحصائها موقعا ومجاورة ومساحة مع بيان المقيم فيها بالكراء أو المغارسة والقيمة المؤداة مقابل هذه الإقامة.ثانيا: مراقبة سلامة الأملاك الحبسية من اعتداءات الغير، واتخاذ الإجراءات الإدارية والقانونية لمواجهة الاعتداء في حالة حدوثـــه.ثالثا :الترافع أمام المحاكم لاستخلاص حقوق الأملاك الحبسية من المقيمين فيها ومواجهة دعاوي الغير في حالة إقامتها وإعداد الحجج والوثائق المثبتة للحق.رابعا: تنمية الأملاك الحبسية بالعمل على الرفع من مداخيلها واستغلال الفائض منها في شراء عقارات جديـدة إن أمكـــن ذلك.خامسا :صيانة الأملاك الحبسية بالسهر على مراقبتها وإصلاح ما تهدم منها ووضع برامج سنوية خصوصا لإصلاح وبناء المساجد والمؤسسات الوقفية التربوية والاجتماعية.سادسا: القيام بكل ما من شأنه المحافظة على مؤسسة الوقف واحترام لفظ المحبس باعتبار ما لذلك من قيمة دينية واجتماعية تجسد مدى تشبث المغاربة بالدين الإسلامي في صورته التضامنية على الخصوص.ويجب أن يكون واضحا أن مهمة الإشراف المسندة إلى الناظر والسلطات التي يتمتع بها تجعله مسؤولا مسؤولية كاملة عن نتائج أعماله التي تتم مراقبتها من خلال ما يعرف بحساب الصندوق والذي بمقتضاه يتم تقديم جرد كامل لجميع مداخيل النظارة ومصاريفها مع ضرورة وجود تطابق بينهما وتحديد الفارق الإيجابي في حالة وجوده فإن أظهرت المحاسبة نقصا وجب على الناظر تغطيته من ماله الخاص مهما كان السبب المنشئ لهذا النقص.

[4])انظر: محمد المنوني ، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1996،ص64.

له في هذه الحقبة للإنفاق على المرضى وابناء السبيل. الا ان سوء تدبير الأموال الموقوفة خلال هذه الفترة،وضياع الاوقاف بين ايدي المتعاقبين على المحافظة عليها واستغلالها من طرف السماسرة جعلها تتراجع ان لم نقل يندثر جزء مهم منها ،فكانت هذه من بين ابرز المشاكل والعوائق التي وقعت على كاهل السعديين([1])، واستعصى عليهم أمر علاجها، ذلك أن التنظيم السعدي للأوقاف جاء امتدادا لما عرف في العصر المريني والوطاسي،حيث تبلورت مساهمتهم في تشييد المساجد أو ترميمها، واحياء بعض المدارس وتأسيس أخرى وإنشاء المكتبات وتزويد القديمة منها بالمؤلفات،إضافة الى انشاء عدد من السقايات بجوار الجوامع، الا أن الملاحظ خلال هذه الحقبة هو امرين:الاول غياب اهم انواع الاوقاف وهي الأوقاف ذات الطابع الاجتماعي ،والثاني هو غياب التدبير العقلاني لموارد هذه الاوقاف.وعلى العموم تبقى أهم مرحلة في تاريخ نظام الوقف بالمغرب هي مرحلة الدولة العلوية، التي احتضن سلاطينها الوقف وحافظوا عليه واسهموا في نشره ايمانا منهم بأن الملة إذا لم تكن لها أوقاف تابثة، ومصونة، تنفق عليها وتصرف على القائمين بحفظها ونشر تعاليمها فإنها تصبح معرضة لكثير من الأخطار([2])، مما كان له الأثر الإيجابي في نفوس المغاربة الذين أقبلوا على التحبيس.ومن المواقف التي سجلها التاريخ لملوك الدولة العلوية ايلائهم العناية الفائقة لشؤون الوقف، حيث أسبغوه بكريم رعايتهم وعنايتهم،وساندوه وحافظوا على مؤسساته التعليمية من مساجد، ومدارس وزوايا، وكتاتيب قرآنية، وأسسوا خزانات علمية شحنوها بالألاف من أنفس الكتب العلمية المحبسة تسهيلا وتيسيرا على طلبة العلوم، كما قاموا بإحصاء جميع الممتلكات الوقفية وتسجيلها في دفاتر رسمية، وذلك مخافة الضياع والنسيان واهمال القائمين عليها خاصة وان الاوقاف انتشرت وعرفت ازدهارا ملموسا في كل الربوع المغربية.

بل ان جهودهم امتدت لاكثر من ذلك ،فعندما انعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1324هـ/1906م رفضت الدولة المغربية وبشدة ادراج مسالة الاحباس في جدول اعمال المؤتمر باعتبار الوقف قضية دينية مؤسسة للهوية الاسلامية المغربية ولا صلة للدول الاجنبية بها،فسجل المؤتمر هذا المعطى في الفصل63 من العقد العام الذي وقعت عليه الدول في 17ابريل1906م، ومع ابتلاء المغرب بنظام الحماية الفرنسية سنة 1912م حاول سن قوانين سبق وان جرب تطبيقها في احتلاله للدولة الجزائرية([3])وتقضي بإلغاء الاوقاف العامة وإدراجها في الاملاك العامة للدولة ،و استنزاف موارد الممتلكات الحبسية بمختلف انواعها([4])،الا ان الدولة المغربية كانت قد استفادت من

---

[1])انظر:مصطفى بنعلة،تاريخ الاوقاف الاسلامية في المغرب في عصر السعديين من خلال حوالات تارودانت وفاس،منشورات وزارة الاوقاف،دار ابي رقراق للطباعة والنشر،ط 1،2007،ص97.-محمد حجي،"المؤسسات الدينية في القرنين16 و17م"،مجلة المناهل،العدد 18 ،1980 .

[2]) انظر:محمد المكي الناصري ، الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية ،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1992 ،ص20.

[3])انظر:-عبد القادر بن عزوز،فقه استثمار الوقف وتمويله في الاسلام:دراسة تطبيقية عن الوقف الجزائري،رسالة لنيل دوكتوراة الدولة في العلوم الاسلامية،تخصص الفقه واصوله،نوقشت برحاب كلية العلوم الاسلامية،جامعة الجزائر،2004/2003،ص38-40.- محمود احمد مهدي، نظام الوقف في التطبيق المعاصر،نماذج مختارة من تجارب الدول والمجتمعات الاسلامية،نشر البنك الاسلامي للتنمية والمعهد الاسلامي للبحوث والتدريب ،جدة،1423هـ،(تجربة الوقف في الجزائر)ص31-38

-Gerard Bousson de Janssens."Contribution a l'etude des habous puplics Algériens ".edition Decembre 1950.p188.

[4])وذلك بموجب ثلاث نصوص قانونية صدرت بتاريخ:فاتح اكتوبر1844-18يونيو1854-30اكتوبر1858.وقد نتج عن ذلك القضاء على الاوقاف في الجزائر وافلاس المؤسسات الخيرية وتعطيل المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية التي كانت تمول من عائدات هذه الاوقاف.وانظر:

- O.Pesle. "La Théorie et la pratique des habous dans le rite Malékite" .casablanca.1941.p8.
- Rabino.H.L."La Réorganisation des habous au maroc.Revue du monde musulman ".tom39 .1920.edition Ernest Leriux.Paris.p73.

الدرس وطرح خلال عقد اتفاقية الحماية عليه مسالة الاوقاف بقوة ودافع عليها وعلى مغربتها([1])،وفي هذا الاطار يقول المستشرق لويس بارطو:"(...)**ومن ثم ادرك الفرنسيون ان في المغرب يستحيل تهدئة التمرد ومن الطيش التعرض لفكرة الغاء الاحباس ،وهو خطأ سياسي فادح له عواقبه**"([2])،الامر جعل سلاطين الدولة العلوية انئذ يحاربون من اجل جعل مؤسسة الوقف خارج نطاق معاهدة الحماية، وخلال مرحلة الاستعمار تعزز الوقف باصدار مجموعة من الظهائر الشريفة([3]) وصلت الى اكثر من 15ظهيرا مثلا في الفترة الممتدة مابين1912-1920،والى 20 ظهيرا ما بين 1920-1924م([4])وقد ظلت ظهائر عهد الحماية وغيرها هي الاطار القانوني المنظم والمهيكل للوقف حتى بعد الاستقلال،واصبح يصطلح على تسميتها فيما بعد بالضوابط الحبسية،كما تطورت مؤسسة النظارة على الوقف التي انتقلت من "بنيقة الأحباس" الى وزارة للأوقاف،كمؤسسة مستقلة و مهيكلة طبق معايير الإدارة الحديثة،وبعد ازيد من 90 سنة على صدور الظهير المنظم للاحباس في يوليوز1913 صدر في الجريدة الرسمية ظهير شريف بخصوص مدونة الأوقاف([5])التي تضم170مادة،جمعت بين دفتيها شتات النصوص القانونية المتعلقة بالوقف، والقواعد الفقهية الخاصة به المتناثرة في كتب الفقه الإسلامي وذلك في انسجام تام، يراعي خصوصية الوقف الاسلامي والمغربي، ويساهم لا محالة في توفير الحماية الفعالة له وتنميته وتطويره بما يتلائم ومجريات العصر وبالتالي يقنن لاول مرة القواعد الفقهية المتعلقة بالوقف.

## المحور الثاني:الاوقاف بالمغرب انواعها وتسييرها وظوابط استغلالها واستثمارها وتنميتها و المحافظة عليها:

### 1:اقسام الوقف بالمغرب وانواعه:

ينقسم الوقف بالمغرب عموما الى قسمين رئيسيين هما:الاحباس العامة وتديرها الادارة العامة للاحباس وتدخل تحت لواء الوزارة المعنية ،والاحباس الخاصة تطبق عليها هذه الادارة حق الرقابة.

**:الاحباس العامة**:وهي التي تُوقَف على وجه من وجوه البر والخير،ولا يكون المحبس عليه شخصا معينا،ومثال ذلك استقيه من مدينة فاس،كاوقاف جامع القرويين([6]) و العقارات المحبسة على مسجد الاندلس،وضريح المولى ادريس،واوقاف مارستان سيدي فرج اضافة الى احباس المصاحف ([7])والكتب وبعض الاجهزة كالاسطرلاب والبوصلة والات التوقيت وغيرها([8])،دون

---

[1])انظر:عبد الرزاق الصبيحي،"التجربة المغربية في مجال الاوقاف من خلال اسئلة المشروعية والجدوى والملائمة"،سلسلة(الانظمة والمنازعات العقارية)،منشورات مجلة الحقوق،العدد8،ص195-203.

[2])انظر:لويس بارطو (Louis Bartho)،اليوطي – المغرب،تعريب وتقديم احمد العلوي،جريدة العلم(المغربية)،الحلقة 13 ،بتاريخ 27يوليوز2004،ص7.

[3])واذكر منها :-الظهير الشريف المؤرخ بفاتح محرم1331هـ/11دجنبر1912م،المتعلق بتاسيس لجان مكلفة بالتعرف على الاملاك الحبسية.- الظهير الشريف المؤرخ في21رجب1331هـ/26يونيو1913م يمنع العدول من تاسيس عقود البيع المتعلقة بحقوق المفتاح والجلسة والزينة بدون طلب اذن قضائي.- الظهير الشريف المؤرخ في 8شعبان1331هـ/13يوليوز1913م،تحدد فيه سلطة ادارة الاحباس العمومية.- الظهير الشريف المؤرخ في16شعبان1331هـ/21يوليوز1913م المتعلق بنظام تحسين الاحباس العمومية.- الظهير الشريف المؤرخ في3محرم1332هـ/2دجنبر1913م،في شان عدم الاذن في معاوضة وكراء الاملاك المعقبة.- الظهير الشريف المؤرخ في فاتح ربيع الثاني1332هـ/27فبراير1914م،المتعلق بالجزاء والاستئجار والجلسة والمفتاح والزينة كما وقع تغييره وتتميمه بمقتضى الظهير الشريف المؤرخ في 7رمضان 1334هـ /8يوليوز1916 م،المتعلق بالاراضي ذوات المنافع الخالية من البناء.- الظهير الشريف المؤرخ في16جمادى الثانية1332هـ/12ماي1914م،المتعلق باحداث مجلس اعلى للاحباس.- الظهير الشريف المؤرخ في3رمضان1334 هـ/4 يوليوز 1916م،بشان الترخيص في كراء الاراضي الحراثية لمدة سنتين اثنتين بالسمسرة.

[4])انظر:محمود احمد المهدي،نظام الوقف في التطبيق المعاصر(نماذج مختارة من تجارب الدول والمجتمعات الاسلامية)،م.س، ص17-14.

[5])مدونة الاوقاف المغربية،الصادرة بتاريخ 8ربيع الاول1431هـ/23فبراير2010م

[6])انظر:عبد الهادي التازي،م.س.ج1،ص126،و2 ،ص399.

[7]) انشئت مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف من اموال الوقف بمقتضى الظهير الشريف رقم 1.09.198 الصادر في 8 ربيع الاول1431هـ/23 فبراير2010 لتضطلع بمهمة العناية بكتاب الله عز وجل تسجيلا وطبعا ونشرا وتوزيعا مع كل ما يقتضيه ذلك من سهر على ضمان استمرار ضبطه ورسمه وقرائته بكامل الدقة والامانة .وانظر:الجريدة الرسمية عدد5828 بتاريخ 28 ابريل 2010.

[8]) راجع:الحماية المدنية للاوقاف العامة بالمغرب،عبد الرزاق الصبيحي،دار الامان،الرباط،2009.

ان نهمل ان المغاربة رسميا وشعبيا كانوا حريصين على وقف احباس على الحرمين الشريفين والقدس الشريف([1])،و الاسكندرية([2]).

:**الاحباس الخاصة**:وتسمى ايضا الاحباس المعقبة،وهي التي تعرف في الشرق بالحبس الذري او الاهلي وهي ضئيلة الشيوع في المغرب مقارنة بالوقف العمومي( وقد سبق وان تطرقت للتعريف به في المحور الأول).

[1])انظر:عبد الهادي التازي،م.س.ج2،ص455.

[2])انظر: - مخطوط تقاييد اوقاف السلطان سيدي محمد بن عبد الله بثغر الاسكندرية،لسليمان باشا، توجد نسخة منه مخطوطة بالخزانة الملكية،بالرباط تحت رقم12688.-امين محمد،الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر،دار النهضة العربية،القاهرة،1980.وجيه كوثراني،نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط 1،2003.-محمد عارف،"البناء المؤسسة للوقف في بلدان وادي النيل"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1،2003.-رعد البرهاوي،خدمات الوقف الاسلامي،دار الكتاب الثقافي،اربد،2006

أما انواع الاعيان الموقوفة بالمغرب فهو نوعان:
:العقارات التي حبست للانتفاع بها عينا وبدون استغلال،وهي وفق ما جاء في المدونة،هي الاماكن المخصصة لاقامة الشعائر الدينية،وتعتبر وقفا على عامة المسلمين،دون وجود امكانية الملكية الخاصة لها،وكمثال على ذلك ففي المغرب اكثر من 25 الف مسجد و في مدينة فاس لوحدها يوجد221 مسجدا تابعا لوزارة الأوقاف ولهم اوقاف محبسة عليهم داخل مدينة فاس وفي ضواحيها، وهي كما يلي:

| اسم المسجد | اسم المسجد | اسم المسجد |
|---|---|---|
| مسجد تونس | مسجد الأزهر | مسجد ابن العربي |
| مسجد طارق بن زياد | مسجد أبو بكر الصديق | مسجد المحمدي |
| مسجد الإحسان | مسجد الحسين بن علي | مسجد أبي هريرة |
| مسجد التقوى | مسجد عمر بن الخطاب | مسجد سيدي حرازم المركز |
| مسجد يوسف بن تاتشفين | مسجد خالد بن الوليد | مسجد التوبة (حي صحراوة ) |
| مسجد الغفران | مسجد المرجة | مسجد سيدي بوجيدة (الضريح) |
| مسجد السخينات | مسجد الرحمة"مركزي" | مسجد جنان بوطاعة |
| مسجد زواغة العليا | مسجد الرحمة سهب الورد | مسجد صهريج كناوة |
| مسجد سعد بن أبي وقاص | مسجد الغفران صهريج كناوة | مسجد الحسن الثاني |
| مسجد المرجة بواد فاس | مسجد سيدنا حمزة | مسجد البورنيات |
| مسجد سهب الورد الجديد | مسجد عمر بن عبد العزيز | مسجد الفتح |
| مسجد السني عين النقبي | مسجد حي العلو | مسجد الضيعة |
| مسجد حي المصلى | مسجد عثمان بن عفان | مسجد طارق بن زياد |
| مسجد بن سليمان | مسجد لابيطا | مسجد أبو بكر الصديق |
| مسجد الداخلة | مسجد الفهد | مسجد خالد بن الوليد |
| مسجد دوار الهندية | مسجد عبد الله بن مسعود | مسجد مولاي رشيد |
| مسجد الرحمة | مسجد النرجس | مسجد الكبير عوينات الحجاج |
| مسجد بلال بن رياح | مسجد مريم | مسجد سيدي طلوق |
| مسجد أبو الحسن | مسجد علي بن ابي طالب | مسجد سيدي الهبطي |
| مسجد سيدي يونس | مسجد إدريس الأول | مسجد درب بن زيان |
| مسجد سيدي محمد بن إبراهيم | مسجد سيدي عزوز | مسجد السياج الأسفل |
| مسجد فران كويشة | مسجد الشطة | مسجد فران شطة |
| مسجد بني يزناسن | مسجد ابن التومي | مسجد بن عمران |
| مسجد بوعلي | مسجد سيدي صافي | مسجد الشعراني |
| مسجد السياج الأعلى | مسجد البستونية | مسجد ماشان |
| مسجد واد رشاشة | مسجد درب اللبن | مسجد الحجاج |
| مسجد معاذ بن جبل | مسجد دريبة البشارة | مسجد كرنيز |
| مسجد بن محسود | مسجد البدوي | مسجد سيدي يعلى |
| مسجد عين الخيل | مسجد سيدي مدين | مسجد سيدي زروق |
| مسجد الأرزين | مسجد سيدي موسى | مسجد الأنوار المعلق |
| مسجد القفازين | مسجد سيد اللزاز | مسجد المرنيسي |
| مسجد بوعقدة | مسجد الغزلان | مسجد سيد النالي |
| مسجد درب قتانة | مسجد سيدي خيار | مسجد دريبة جعدة |

| | | |
|---|---|---|
| مسجد السانية | مسجد زقاق الرواح | مسجد القفصي |
| مسجد سيدي فرج | مسجد الحمراء | مسجد باب عقيبة الزرقاء |
| مسجد زاوية أولاد بالغازي | مسجد درب الكاتب | مسجد بنمشلوش |
| مسجد درب بوحاج | مسجد الفلاس | الزاوية الغازية |
| مسجد أبي الجنود | مسجد بن البياض | مسجد سيدي خالد |
| مسجد قصبة النوار | مسجد درب القاضي | مسجد الزليج |
| مسجد للا غريبة فاس الجديد | مسجد الرايس | مسجد عين ازليتن |
| مسجد البطحاء | مسجد الحضري | مسجد المنية |
| مسجد سيدي موسى | مسجد دريبة تونس | مسجد القرويين |
| مسجد الخلوة | مسجد بن عتيق | مسجد سيدي أحمد ب ناصر |
| مسجد العباسيين | مسجد باب عجيسة | مسجد سيد الخياط |
| مسجدللا جامع الزهر | مسجد الشرابليين | مسجد البوعنانية |
| مسجد الجديدة | مسجد سيدي أحمد الشاوي | مسجد ضريح مولاي ادريس |
| مسجد سيدي بونافع | مسجد الرصيف | مسجد بن قويدر فاس الجديد |
| مسجد النخلة | المسجد الأعظم | مسجد السمارين |
| مسجد الحي الجامعي (الصفاء) | مسجد البيضاء | مسجد سيدي احمامة |
| مسجد المحسنين | مسجد النواويل | مسجد الصرف |
| مسجد عمر بن الخطاب بنسودة | مسجد سيدي ابراهيم | مسجد زيد بن ثابت |
| مسجد سيد المكود | مسجد أبو عبيدة الجراح | مسجد المسيرة |
| مسجد درب الطويل | مسجد سيدي مسعود الفيلالي | مسجد درب سلمى |
| مسجد بن يحيى | مسجد الصلب | مسجد الديوان |
| مسجد لارنجة البليدة | مسجد الشربي | مسجد سيدي عبد الله المكي |
| مسجد الأبرهي | مسجد جزاء بن عامر | مسجد بدر الدين الحمومي |
| مسجد نفر بيشت | مسجد زنيفة الرطل | مسجد بن عباد |
| مسجد بنسمعون | مسجد الغزيل | مسجد العبادسة |
| مسجد راس الجنان | مسجد الزيات | مسجد درب الشيخ |
| مسجد المحسنين(درب المسيد) | مسجد درب الغرابلي | مسجد سيدي بومدين |
| مسجد سيدي علي بوغالب | مسجد جزاء بن صكوم | مسجد صابة الكدان |
| مسجد درب القليلي | مسجد سيد المخفي | مسجد الأندلس |
| مسجد لارنجة الكدان | مسجد سيدي مغيث | مسجد درب بنيارة |
| مسجد درب السعود | مسجد النبارين | مسجد الزاوية الجزولية |
| مسجد مدرسة الواد | مسجد الجياد | مسجد بن صماصم |
| مسجد سيد الدراس | مسجد القاضي عياض | مسجد أغلن |
| مسجد الحدادين | مسجد الرحيبة | مسجد درب الميتر |
| مسجد سيدي عبد الرحمن المليلي | مسجد بين المصالي | مسجد الداودي |
| مسجد الحجاج (مصمودة) | مسجد الفخارين | مسجد سيدي إسحاق |
| مسجد الزاوية الشرادية | مسجد درب التويزي | مسجد بنكعبلة |
| مسجد مولاي عمر | مسجد درب الخطار | مسجد الشوك |
| مسجد فوارة | مسجد السيبوس | محمد السجاري |
| مسجد درب اللمطي | مسجد سيدي أنوار | مسجد سيد العواد |
| مسجد بوقطوط | مسجد القدس | |

**الجدول1:لائحة بأسماء المساجد التابعة للأوقاف بفاس**

العقارات التي يشترط استغلالها وصرف الغلة الحاصلة منها على الجهات المحبسة عليها وهي نوعين:

-الاراضي الزراعية الوقفية وتشكل مساحتها الكلية حوالي13 في المئة من مساحة الاراضي الوقفية بالمغرب،منها حوالي 10000 هكتار تستغلها نظارات الاوقاف مباشرة في هيئة بساتين للفاكهة او مساحات حبسية مغروسة بالاشجار،اما الباقي وتشكل نسبته حوالي87 في المئة فيؤجر سنويا.

-الرباع وهي المحلات السكنية والتجارية والصناعية والمخابز و الحمامات وغيرها من المباني ذات العائد وتكرى باجرة شهرية معينة ويناهز عددها45000.

2:**ادارة الاوقاف بالمغرب** :

تعتبر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية هي الجهة الرسمية التي تتولى الدعوة للوقف والمحافظة على امواله وادارته واستثماره،وصرف ريعه على وجوه الخير التي وُقِفَ من اجلها،وبموجب الظهير الشريف تتكلف هذه الوزارة بادارة الاوقاف العمومية،كما تباشر على احباس الزوايا والاحباس الخاصة حق الرقابة،وقد حددت مدونة 2010 اختصاصات الوزارة وهيكلت هيكلها التنظيمي،فاصبحت الوزارة المعنية تشمل بالاضافة الى ديوان الوزير، والنظارات المحلية والمصالح الخارجية، والادارات المركزية التي تشتمل بدورها على:

-الكتابة العامة :وتتولى توجيه سير الاعمال المتعلقة بالوزارة،والسهر على جميع مهام الدراسات والابحاث التوقعية.

-المفتشية العامة:وتقوم بجميع اعمال التفتيش والتحريات والدراسات والفحص والتدقيق في حسابات استغلال الاوقاف العمومية واستثمارها.

-مديرية الشؤون الاسلامية:وتسهر على الحفاظ على القيم الاسلامية وسلامة العقيدة وضمان اقامة الشعائر الدينية في جميع انحاء المملكة المغربية.

-مديرية الدراسات والشؤون العامة:ويعهد اليها بالتدريب والتاهيل في المجال الديني وتنمية الموارد البشرية في الوزارة.

-مديرية الاوقاف: وتتولى استغلال الاوقاف العمومية واستثمارها والمحافظة عليها،ومراقبة احباس الزوايا والاحباس الخاصة،كما تتولى التخطيط التنموي للوق،وتضم بدورها ثلاث اقسام:قسم التخطيط والاستثمار،وقسم المالية،وقسم الشؤون الفلاحية،ويتكون كل قسم من مجموعة مصالح.

اما على المستوى الاقليمي فتتمثل الوزارة بالأجهزة التالية:

نظارات الاوقاف واشؤون الاسلامية:وتتولى ادارة الوقف واستثماره والمحافظة عليه،وبناء المؤسسات الدينية والثاقفية والاجتماعية واصلاحها والعناية بها وتنميتها.

المجالس العلمية الاقليمية:وتناط بها مهام رعاية كراسي الوعظ والارشاد والتثقيف الشعبي،والتوعية بمقومات الامة الروحية والاخلاقية والتاريخية في المغرب.

وصفوة القول ان هيكلة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في المغرب يستجيب بهذا النحو لمتطلبات الوظائف الاساسية للتسيير الاداري والمحاسبي والفني للوقف،ووظائف استثماره والمحافظة عليه.والى جانب مجمل الاصلاحات المؤسساتية التي شهدتها وزارة الاوقاف منذ تاسيسها بالمغرب،فقد عرفت اساليب العمل ووسائله تطورا ملحوظا خلال المرحلة المعاصرة،اذ تم تعزيز الكفاءات التقنية والادارية بذوي التاهيل العالي في مختلف الاختصاصات التي يحتاجها العمل الوقفي،وسجلت وزارة الاوقاف طفرة نوعية مشهودة في مجال البرامج المعلوماتية الخاصة بتنمية الموارد البشرية من قيمين دينيين وموظفين والاهم من هذا وذاك استحداث التطبيقات المعلوماتية الخاصة بمتابعة اكرية الرياع واستغلال الاراضي الفلاحية الحبسية.

**3:ظوابط استغلال الاوقاف واستثمارها([1]) وتنميتها([1]) و انجع السبل للمحافظة عليها:**

[1])و استثمار عائدات الاوقاف يعني تصريف السيولة المالية المتحصل عليها من الموارد الوقفية عبر جمع اكرية مختلف الاعيان الحبسية التي تدر مدخولا شهريا او سنويا من خلال مشاريع تنموية تحافظ عليها وتنمي مردودها.وقد نصت مدونة الاوقاف في المادتين 60 و63 صراحة وبكل وضوح على جواز استثمار الاموال الموقوفة وقفا عاما بهدف الحفاظ على اصولها وتنمية مداخيلها بما يلائم ويتلائم مع طبيعتها ويحقق مصالح ظاهرة للوقف،كما جاءت المادة 136 من المدونة ببابيها :باب الموارد وباب النفقات لتؤكد على ضرورة تنمية عائدات الاوقاف واعادة استثمارها باشكال اخرى ،لان الاعتناء بالعين الموقوفة دون الاهتمام باستثمار عائداتها سيؤدي لا محالى الى استهلاك الوقف ومن تم ضياع المصلحة العامة التي وجد من اجلها الوقف.

**أ: ظوابط استغلال الاوقاف:**

**بالنسبة للاوقاف العمومية:**

لقد ظلت الاوقاف العمومية بالمملكة المغربية دائمة الخضوع لمراقبة الدولة وتحت ادارتها،وقد ضمت المدونة في موادها قوانين تخص تنظيم الاوقاف وسبل المحافظة عليها واليات تنمية ايراداتها ،وميكانيزمات صرفها وفق المصالح التي حددها الواقفون. كما أكد الباب الرابع من المدونة ان اوزارة المختصة المختصة لها الحق في استعمال اموال الحبس في بناء المساجد والكتاتيب والمستشفيات،وتصرف على الفقراء والمحتاجين وغيرهم بقصد تعميم النفع،ولكن بشرط ان يصدر ظهير بشان هذا الصرف.

وقد واكبت السلطة المغربية التطورات والتحولات المجتمعية فكانت دائمة الحرص على اصدار ال قوانين المنظمة للاوقاف والمهيكلة للادارات القائمة عليها ،الا ان اهم عائق يمكن تسجيله عموما والذي اصبح منتشرا في العقود الاخير ،وهو ان عددا من العقارات المحبسة كانت قد اكريت كراءا مؤبدا لمن يواظب على اداء كرائها باستمرار ويحرص على المحافظة عليها واصلاحها وبنائها اذا ما لزم الامر،فاصبح ذلك المكتري سواء كان فردا او جماعة ،مالكا لمنفعتها مقابل اداء كرائها ،ولم تعد الاحباس تملك فيها سوى رقبة العقار المحبس مع حقها في قبض الكراء ،وهو الامر الذي اصبح شائعا بمختلف المدن المغربية ومنها مدينة فاس ونقف عليه خاصة في الدور التقليدية بالمدينة القديمة لفاس والحوانيت والدكاكين والفنادق ....و صفوة القول ان المعاملات الكرائية تبقى الاكثر شيوعا في وسائل استثمار اموال الوقف بالمغرب.

**:بالنسبة للاوقاف المعقبة:**

وهي من الاوقاف التي اهتم بها المغرب،وأولتها الوزارة المعنية عناية خاصة،فقد صدر بخصوص هذا النوع من الاوقاف مجموعة من الظهائر والمراسيم، وخصصت له مدونة 2010 الباب الثاني(المواد109-121) والذي نص على وجوب التقيد باحكام الاحباس العامة خاصة فيما يتعلق بكرائها او معاوضتها،حيث لا تتم هذه المعاوضة الا بمقتضى ظهير شانها في ذلك شان الاحباس العامة،ولا يتم كراؤها لاكثر من عامين الا بموافقة الوزارة المعنية التي لها الحق في المطالبة بفسخ العقد او الاتفاق اذا ما ارتأت الى ذلك للضرر الذي يتعرض اليه في وقت الكراء او سيتعرض اليه مستقبلا وغيرها من الاحكام.

**4:ضرورة النهوض بالدور التنموي للاوقاف:**

**أ:الطبيعة الاستثمارية للوقف:**

وكما سبق الذكر فالوقف هو حبس العين وتسبيل المنفعة،وهذا العين الذي يمول صدقة جارية بدوام بقائه منتجا مغللا،ولعل من المعاني و المقاصد المدرَكة عقلا وعرفا ان الحبس لا يراد منه ذاتُ الحبسِ بقدر ما يراد منه استدامة إدرار الغلة،وذلك يستدعي توكيد الطبيعة الاستثمارية للوقف،وهنا يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

:ان صيانة الاصل على نحو يُديم طاقته الانتاجية من خلال ما يُعرف بالاستثمار التعويضي(الإحلالي)أمر لازم،ويتحقق ذلك برد جزء من غلة الأصل على إدامته وإصلاحه،والفن المحاسبي المعاصر يسمي هذا( مخصص الاهتلاك)،ان هذا الاجراء سواء نص عليه الواقف او لم ينص لا ينبغي التفريط به قطعا،لان التفريط به يعني التفريط بالوقف نفسِه،إذ أن الحبس

---

اما المادة 137 فجاءت مؤكدة لما سبق محرضة على ضرورة استثمار العائدات وتنميتها باقامة المشاريع الوقفية .وانظر: الجريدة الرسمية،عدد5847،بتاريخ فاتح رجب 1431/14يونيو2014،ص3154،ظهير شريف رقم1.09.236 الصادر في ربيع الاول1431/ 23فبراير2010.

[1])اود هنا ان اميز ولو في عجالة بين التنمية والاستغلال،فالتنمية يُقصَد منها زيادة حجم الاموال المستغلة او الاستثمارية او الراسمالية للوقف،كان يكون الوقف مثلا ارضا زراعية ومع الوقت اصبحت غير صالحة للزراعة ،فلاعادة اصلاحها لابد من استثمارات جديدة لاعادتها لسابق عهدها وتقطع اموال الاصلاح من راس مال الوقف.وهذا النوع من النشاط التنموي يتميز بانه يزيد في القيمة الراسمالية لمال الوقف وفي طاقته الانتاجية.اما حاجات الاستغلال فهي لتمكين المسؤول عن المال الوقفي من استثمار الوقف نفسه،كان يحتاج الوقف الى صيانة او ترميم،فيخصص المكلف بالوقف جزءا من ايرادات الوقف للانفاق عليه،وصفوة القولا لا يوجد معيار دقيق للتمييز بين هذين النوعين في اغلب الحالات لما يشوبعهما من غموض ومعوقات،الا ان الاكيد ان التمييز بين استغلال الوقف وتنميته له اهمية كبيرة من الوجهتين التطبيقية والتشريعية فهو يطرح مشكلة تمويل الوقف كقضية شرعية تتلخص بضرورة تحديد ما اذا كان من المسموح به تحصيص جزء من ايرادات الوقف لتنميته ام لا.وانظر: -انس الزرقا،الوسائل الحديثة لتمويل واستثمار اموال الاوقاف،نشر المعهد الاسلامي للبحوث والتدريب،جدة،1989.

دون صيانة و تنمية واستثمار سيكون سبا لهلاك الاصول،وهو الامر المخالف لمقاصد الشريعة الاسلامية في حفظ المال عامة ومخالف لمنطق الوقف خاصة الامر الذي نبه اليه الفقهاء كقولهم:"(...)**وإن شرط الواقف خلافه(اي خلاف ادامة الوقف واصلاحه) فلا يتبع شرطه في ذلك،لانه يؤدي الى اتلافه وعدم بقائه وهذا لا يجوز**"([1]) ،ويقول ابن عابدين في هذا الاطار ايضا:"(...)**يبدأ من غلة الوقف بعمارته اي قبل الصرف الى المستحقين(...)حتى يبقى على ماكان عليه**"([2])،ويقول ابن نجيم عن تخصيصات ادامة الوقف:"(...)**يجب على الناظر إمساك قدر ما يحتاج اليه للعمارة في المستقبل وان كان الان لا يحتاج الى العمارة**"([3]).

-ان الاستثمار (الصافي) لاجل توسيع الاصول الفقهية امر ليس منكرا ولا مخالفا لمقاصد الوقف،بل هو سبب لتنمية مثوبة الواقف مثلما هو سبب لتنمية اصول الوقف([4])،وحتى ان كانت شروط الواقف لا تنص على مثل هذا فانه لا يوجد ما يمنع من تحديد نسبة من غلة الوقف لتوسيع أصوله،وتكون بندا من بنود الوقف الذي يكون لولي الامر او القيم على مؤسسة الوقف الإلزام به بما لهما من ولاية شرعية توجب ما فيه المصلحة.

-ان استثمار الاموال الوقفية وغالبا ما تكون اراضي او مباني اقتصر تقليديا على إجارتها أو تحكيرها، بل وفي نطاق ضيق استبدالها باموال انفع منها([5]).

-ان النمو السكاني والعمراني يعزز من قيمة الاصول الوقفية،ومن مستوى مردودها اذا ما التزمنا المنطق الاقتصادي في ادارة هذه الموارد، وهنا ينبغي التحرز من العقود الطويلة الاجل لانها كما حذر ابن عابدين وغيره تفضي الى ابطال الوقف([6]).

- ان لائحة عريضة من طرق استثمار الاموال الوقفية الجديدة بدأالفقه المعاصر اكثر تقبلا لها وميولا اليها،وتتمثل في الاساس بالمضاربات والاجارات والمشاركات وعقود الاستصناع،ولا يوجد ما يمنع تولي مؤسسات متخصصة استثمار الاموال الوقفية وفق قواعد واسس مرعية([7]).
- ان الية التسهيم او التصكيك تعرض ادوات ووسائل تمويلية تمكن من حشد الموارد الوقفية على نحو اكثر مرونة وعملية.
- ان مؤسسة الوقف تراكمية بطبيعتها غير محددة في افاقها،وهي تعمل باستمرار على تجنيب الاموال من الاستخدامات الانية الذاتية لصالح استخدامات مستقبلية ذات طبيعة مجتمعية،وهي بذلك تعمل باستمرار على توسيع راس المال الاجتماعي([8]).

**ب: ماذا يستطيع الوقف ان يقدم للتنمية المستدامة :**

وكما سبق وان اشرت فان الاوقاف في المغرب قد تطورت واتسعت نطاقاتها واختلفت مجالاتها انطلاقا من تضافر جهود ارادتين:إرادة سياسية وإرادة مجتمعية،مما يؤكد حرص المغاربة رسميا وشعبيا على احراز التطور المستمر في الاوقاف وخلق ادارة ذات موارد بشرية متخصصة لمراقبة الاحباس وتتبع مسيرتها،وقد اضحت مؤسسة الوقف موردا مهما لا يفتر من تقديم الكثير للتنمية المستدامة سواء في مجال الاستثمار البشري والاستثماري المادي او في مجال حماية الموارد و صيانتها من الاستخدامات الجائرة،وبالتالي فقد اسهمت المؤسسة الوقفية ولا تزال تُساهم وبشكل كبير في:

- : تمويل الاستثمارات البشرية من خلال الانفاق على التعليم والصحة ومختلف المجالات الاجتماعية وغيرهم.

---

[1])انظر:الدردير احمد،الشرح الصغير ،ج4،م.س،ص124

[2]) انظر:محمد امين ابن عابدين،رد المحتار على الدر المختار،م.س ،ج4،ص366.

[3])ابن نجيم زين العابدين بن ابراهيم،الاشباه والنظائر على مذهب ابي حنيفة النعمان،تحقيق محمد الوكيل،مؤسسة الحلبي وشركاؤه،القاهرة،1968،ص205

[4])انظر:منذر قحف،"الوقف"،م.س،ص76.-السبهاني ،"دور الوقف في التنمية المستدامة"،م.س،ص51

[5])انظر:الاتجاهات المعاصرة في تطوير الاستثمار الوقفي،م.س،ص51-73.

[6])انظر:ابن عابدين،م.س،ج4،ص402.

[7]) احمد السعد ومحمد العمري،الاتجاهات المعاصرة في تطوير الاستثمار الوقفي،الكويت،2000

[8])انظر:عبد الجبار السبهاني،"دور الوقف في التنمية"،مجلة الشريعة والقانون،العدد44،ذو القعدة1431هـ /اكتوبر 2010، ص50-53.

-: تحقيق الضمان الاجتماعي باعتبارها مؤسسة تكافلية من ابرز مقاصدها الانفاق على اليتيم والفقير والارامل وابناء السبيل واصحاب العاهات والاعاقات...

-:تحمل اعباء انشاء المساجد ومختلف المرافق الدينية المرافقة لها اضافة الى تحمل الوقف لاعباء نفقاتها الجارية.

-تمويل البنى الارتكازية وراس المال الاجتماعي.

كما مثلت مؤسسة الوقف:

-آلية اختيارية لإعادة هيكلة شكل الملكية لصالح الحاجات العامة .

-إطارا تشريعيا يحفظ الثروة من التفتيت ويرصدها للغرض الاستثماري،وبذلك يمثل عنصر كفاية خاصة اذا كانت هذه الثروة أصولا إنتاجية أو كانت زراعية فانها تفقد خاصية او مزية الحجم في حال تجزئتها.

-اطارا كفيلا للامان الاجتماعي بتمويل خاص،وبذلك تزيا من على كلهل الدولة نفقات كانت ستتحملها في غياب مؤسسة الوقف.

وتعمل المؤسسة الوقفية بما توفره من مرافق وخدمات العرض العام على توفير مداخيل معينة للافراد لتغطية حاجياتهم خاصة وانه يضيف ميزانية لا باس بها على مردودية الاسرة ذاتها.

كما يمكن للممارسة الوقفية ان تتسع مساحتها ومجالاته عبر مفهوم المساهمة ،فوضع صناديق وقفية في المساجد والمرافق العمومية يمثل وسيلة ناجعة وكفيلة لحشد الموارد من المتبرعين،وتوفر اطارا قانونيا لمسالة الصدقة الجارية،وهذه الخطوة قد طبقتها مجموعة من الدول العربية -والخليجية خاصة- والاجنبية،فليس كل متصدق يمكن ان يبني مدرسة او يتكفل بمصاريف يتيم...،ولكن بمساهمة الجميع وبصدقاتهم ستتراكم الموارد لتصرف في سد حاجيات المجتمع.

وصفوة القول،لقد تمكن الوقف من ابراز اثاره الايجابية في التنمية المستدامة،ذلك ان احراز نمو اقتصادي وطفرة نوعية في المردودية والعائدات المالية الوقفية ستوسع لا محالة من نطاقات الاوقاف،وان الدور الذي لعبه تاريخيا لهو دور مهم ،واساسي في انجاز وتحقيق تنمية يملك الوقف اسباب ديمومتها عبر تعزيز الاستثمار البشري والمادي.

**ت: استراتيجيات للنهوض بالدور التنموي للاوقاف:**

ان الوقف الوقف بالمغرب يعتبر تراثا وموروثا اجتماعيا تميز عبر مختلف عصور الدولة المغربية بالقدم والاستمرارية،من هنا جاءت اهمية الدور الذي تلعبه الوزارة المعنية في المحافظة على هذا التراث الاسلامي وتمكينه من الهدف الاساسي اذي ابتغاه له الواقفون،سواء في المجال الديني او الثقافي او الاجتماعي او الاقتصادي.وعلى هذا الاساس تسعى الجهات المختصة الى تحقيق الاهداف الاستراتيجية التالية:

المحافظة على الاصول الوقفية وضمان استمرارية دور الوقف في المغرب.

تحقيق نسبة نمو مرتفعة ومطردة في موارد الوقف ليزداد دوره في اداء وظيفته.

الدعوة للاهتمام بالوقف واحياء هذه السنة والتشجيع عليها.

ولبلوغ هذه الاهداف الاستراتيجية لجأ المغرب الى الاساليب والتقنيات الجديدة لاستثمار الوقف والتخطيط له،ومن هذه الاليات التي حملتها الوزارة على عاتقها لتحقيق الاهداف الاستراتيجية المنوطة بها:

**اولا تنويع اساليب استثمار الموارد الوقفية وتطويرها:**

ففي مجال تنمية عائدات العقارات السكنية والتجارية والصناعية تعرض نظارات الاوقاف هذه الاملاك الوقفية في اطار سمسرات عامة او مزايدات انطلاقا من سومة كرائية تحددها جهات ذات خبرة،وترفع نتائج المزايدة للوزارة للمصادقة عليها،كما تتولى الوزارة المعنية تعديل هذه المبالغ الكرائية بحسب المردودية،الا ان المشكل الذي يطرح نفسه هنا هو ان مكتروا هذه الاملاك الحبسية يولون كرائها بدورهم لغيرهم مقابل مبلغ يدفعه المكتري الجديد للمكتري الاصلي وهو ما يعرف (ببيع الساروت)،وفي هذا الاطار صدرت فتوى شرعية باستخلاص ما يعرف بالغبطة(وهو استخلاص جزء من المبلغ المدفوع )للاوقاف تحدد طبقا لمقتضيات منشور خاص بذلك.اما المحلات الحبسية غير القابلة للاستعمال على الحالة التي تكون عليها فتؤجَّرُ لمن رغب فيها على حالتها على اساس قيامه باصلاحها او اعادة بنائها ،وفي مجالالاملاك الوقفية الفلاحية فقد اعادت الوزارة المعنية تنظيم كراء هذا النوع من املاك الوقف

ليتناسب والتناوب الزراعي المعمول به في منطقة من مناطق المغرب،وكي تضمن للمكترين الاستقرار اللازم لمزاولة نشاطهم الفلاحي في ظروف اقتصادية ملائمة،كما شجعت الخواص على الاستثمار في هذه الاراضي الحبسية وذلك بالسماح لهم بالمدة الكافية لاستهلاك مبالغ الاستثمارات التي يقومون بها،وفي هذا الاطار تم استصلاح نسبة ملحوظة من الاراضي الفلاحية الحبسية واستثمارها.

وصفوة القول لقد اتاحت هذه الاصلاحات وغيرها من تحقيق زيادات ملحوظة في عائدات كراء العقارات الحبسية بالرغم من المشاكل والعوائق التي تعترض تنفيذ هذه الاصلاحات وتطبيقها ،الا ان الارتفاع في الناتج الصافي لاستغلال الاوقاف في المغرب عموما هيأ لوزارة الاوقاف في المغرب اسباب النهوض بدورها،واليات النجاح في تمويل مجموعة من الاستثمارات بامكانياتها الذاتية.

**ثانيا:بعض الجهود المبذولة للحفاظ على الاصول الوقفية:**

لكي يبقى الراس مال الثابت للاوقاف محافظا على قيمته،لابد من تعويض الجزء المستَهلك منه،ولهذه الغاية تخصص الجهات المعنية سنويا جزءا من عائدات الوقفية لتمويل عدد من البرامج نذكر منها:

-اصلاح وترميم المباني الوقفية والمؤسسات الدينية.

-تجديد المعدات والالات الفلاحية.

-الحفاظ على البساتين الحبسية وتجديدها.

-المحافظة على الاملاك العقارية.

-المساهمة بجانب المحسنين في اصلاح المؤسسات الدينية والوقفية.

**خاتمة استنتاجية:**

وصفوة القول لقد ثبت من خلال الدراسة أن الوقف التصق في وجدان الأمة، وعميق بنيانها، حتى غدت الأمة العربية والاسلامية امة الوقف، بتغلغل هذا الفعل في تفاصيل الحياة الإسلامية، حتى أصبح أمرًا مأنوسًا ومالوفا. الا ان تطور العصر وتقدمه حمل معه مشاكل اجتماعية جديدة ومتنوعة كالمشاكل الأسرية والتفكك الأسري ،المشردين ،الفقراء المحتاجين والمعوقين والمدمنين والأميين،والأمراض المستعصية ...،ولان موارد الوقف المحدودة أصبحت عائدات الاوقاف عاجزة عن تلبية هذه الاحتياجات التي تتكاثر وتتعاظم فتتعاظم المصاريف وتتضائل الموارد ، من هنا فلا بد من النهوض بالوقف، وذلك بتوسيعه أفقيًا ورأسيًا، أفقيًا من خلال استغلال الو قف الموجود والمحافظة عليه وزيادة إيراداته، ورأسيًا من خلال تشجيع الدولة المجتمع على القيام بأوقاف جديدة.

والمجتمع نفسه اليوم في حاجة إلى من يخفف عنه ويقوي عزيمته ،بحاجة إلى كل يد تمتد وتعمل وتنمي وتساعد

لكي يستعيد المجتمع المغربي بافراده وتستعيد المدن المغربية بابنائها مجدها وعزتها واستقلاليتها وذلك لن يتم الا اذا استعاد المجتمع مكنونياته الأساسية، وهو يصعد في سلم الحضارة والرقي وفي مقدمتها الوقف بكل اشكاله وانواعه وبمختلف مظاهره وتجلياته.

ان عائدات الاوقاف بمدينة فاس كما سبق الذكر تنقسم الى شقين:شق بيد مؤسسة الدولة الوصية،وشق ثان بيد الخواص من الاسر والافراد ،الا ان الاشكالية المطروحة هي كيفية استغلال هذا الشق الثاني ومدى التزامه بمعايير الوقف وتطبيقه على الموقوف عليه،وهل تتوفر الميكانيزمات اللازمة لمراقبة مداخل وموارد هذا الوقف وسيرورة عمل القائمين عليه لاستمراره والمحافظة عليه في ظل غياب قوانين تحدد معالمه وترسم له خارطة الاستمرار والتطور والمشاركة الفاعلة في التنمية الاجتماعية إلى النهوض به وإنمائه أفقيًا ورأسيًا من خلال اتخاذ العديد من الأساليب والوسائل والاليات التي تمكن الوقف من تقديم الكثير عن طريق التنمية المستدامة خاصة فيما يتصل بالاستثمار البشري وراس المال الاجتماعي واعادة التوزيع ....

لكن ما يجب ان يفتخر به هو ان الاوقاف كانت وما زالت تحظى برعاية ملوك الدولة المغربية،فكانت هذه الرعاية اكبر ضامن لاستقرار الوقف بالمغرب وازدهاره بكل ما تحمله الكلمة من معنى،ومن الظواهر المؤكدة لهذه الرعاية السامية ان تنظيم هيكلة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في المغرب وتحديد اختصاصاتها يتم خلافا لغيرها من الوزارات،وذلك باصدار ظهائر شريفة،كما ان نظارات الاوقاف والشؤون الاسلامية والمجالس العلمية الاقليمية

لا تخضع لاشراف ولاة الاقاليم وعمالها.والى جانب هذه العناية المولوية السامية،تخضع الاوقاف في المغرب لرقابة السلطة التشريعية اتي تناقش وتبدي رايها في ميزانيتي التسيير والاستثمار لقطاعي الاوقاف والشؤون الاسلامية،كما تخضع الاوقاف للرقابة الداخلية اذ تتولى المفتشية العامة بالوزارة مهمة التفتيش والفحص والتدقيق في حسابات استغلال الاملاك الحبسية،وللرقابة المحاسبية من قبل الجهات المركزية المختصة والقسم المالي ،وذلك بمراقبة نفقات والتزامات نظارات الاوقاف.

وان ما تقدم هو مبلغ الجهد والاجتهاد في موضوع هذه المداخلة،ويبقى بعد ذلك للجهود الرسمية للدولة ،وللاعداد المهني والاكاديمي للكوادر الاوقافية،وحسن تسيير الادارات الاستثمارية الوقفية ما يمكن ان تسهم به الى جانب الاجتهادات الفردية والجماعية في استمرار الاوقاف في المغرب وتنميتها واستثمارها والاهم من هذا وذاك المحافظة عليها.

**-لائحة الوثائق والمصادر والمراجع المعتمدة:**

**اولا: الوثائق الرسمية والظهائر:**


1) الجريدة الرسمية عدد5828 بتاريخ 28 ابريل 2010.
2) الظهير الشريف المؤرخ بفاتح محرم1331هـ/11دجنبر1912م،المتعلق بتاسيس لجان مكلفة بالتعرف على الاملاك الحبسية.-
3) الظهير الشريف المؤرخ في21رجب1331هـ/26يونيو1913م يمنع العدول من تاسيس عقود البيع المتعلقة بحقوق المفتاح والجلسة والزينة بدون طلب اذن قضائي.
4) الظهير الشريف المؤرخ في 8شعبان1331هـ/13يوليوز1913م،تحدد فيه سلطة ادارة الاحباس العمومية.- الظهير الشريف المؤرخ في16شعبان1331هـ/21يوليوز1913م المتعلق بنظام تحسين الاحباس العمومية.
5) الظهير الشريف المؤرخ في3محرم1332هـ/2دجنبر1913م،في شان عدم الاذن في معاوضة وكراء الاملاك المعقبة.- الظهير الشريف المؤرخ في فاتح ربيع الثاني1332هـ/27فبراير1914م،المتعلق بالجزاء والاستئجار والجلسة والمفتاح والزينة كما وقع تغييره وتتميمه بمقتضى الظهير الشريف المؤرخ في 7رمضان 1334هـ /8يوليوز1916 م،المتعلق بالاراضي ذوات المنافع الخالية من البناء.
6) الظهير الشريف المؤرخ في16جمادى الثانية1332هـ/12ماي1914م ،المتعلق باحداث مجلس اعلى للاحباس.
7) الظهير الشريف المؤرخ في3رمضان1334 هـ/4 يوليوز 1916م،بشان الترخيص في كراء الاراضي الحراثية لمدة سنتين اثنتين بالسمسرة.
8) مدونة الاوقاف المغربية،الصادرة بتاريخ 8ربيع الاول1431هـ / 23فبراير2010م

**ثانيا المصادر**

**1:المخطوطة:**

9) أحباس السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، توجد نسخة منه مخطوطة بالخزانة الملكية،بالرباط تحت رقم13704.م
10) تقاييد اوقاف السلطان سيدي محمد بن عبد الله بثغر الاسكندرية،لسليمان باشا، توجد نسخة منه مخطوطة بالخزانة الملكية،بالرباط تحت رقم12688.
11) حوالات احباس طنجة،توجد نسخة منه مخطوطة بالخزانة الملكية،بالرباط تحت رقم 10823.
12) حوالات احباس سلا، توجد نسخة منه مخطوطة بالخزانة الملكية،بالرباط تحت رقم593.

**2:المطبوعة:**

13) القران الكريم برواية ورش
14) ابن بطوطة ابو عبد الله محمد ،رحلة ابن بطوطة(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) دار إحياء العلوم،بيروت، 1987
15) ابن عابدين محمد امين ،رد المحتار على الدر المختار،دار احياء التراث العربي،بيروت
16) ابن قدامة المقدسي،الكافي في فقه الامام احمد بن حنبل،تحقيق الشاوش زهيرالمكتب الاسلامي،بيروت1982.
17) ابن منظور محمد ،لسان العرب،دار الفكر،بيروت، ج3
18) ابن نجيم زين العابدين بن ابراهيم،الاشباه والنظائر على مذهب ابي حنيفة النعمان،تحقيق محمد الوكيل،مؤسسة الحلبي وشركاؤه،القاهرة،1968
19) ابن همام، فتح القدير ،القاهرة،1316
20) البخاري محمد بن اسماعيل،صحيح البخاري،كتاب المسقاة،باب في الشرب،ج2
21) الترميذي محمد بن عيسى،جامع الترميذي،ابواب المناقب،ج10

22) الجرجاني علي،التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت
23) الزيلعي محمد ،نصب الراية لاحاديث الهداية،نشر المجلس العلمي لكراتشي ،باكستان ،ط2، ج3
24) الفيروزابادي محمد،القاموس المحيط،ج3
25) المراكشي عبد الواحد ،المعجب في تلخيص اخبار المغرب من فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ،دار الفكر،1978

**ثالثا:المراجع**

**1:العربية:**

26) أبو زهرة أحمد ،محاضرات في الوقف،دار الفكر العربي،القاهرة،1981
27) أمين محمد ،الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر،دار النهضة العربية،مصر،1980.
28) البرهاوي رعد،خدمات الوقف الاسلامي،دار الكتاب الثقافي،اربد،2006
29) بلمقدم رقية ، أوقاف مكناس في عهد مولاي اسماعيل ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ،1993،ج1
30) بوركبة السعيد :
- الوقف الخيري في الإسلام، وأبعاده التنموية من خلال الدراسات التي تناولت الوقف عند المسلمين ، دار أبي رقراق،2010.
- دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب على عهد الدولة العلوية،مطبعة فضالة ،المحمدية، 1996.
31) بن عبد الله محمد ،الوقف في الفكر الاسلامي،منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية،ج1، 1996
32) بن عزوز عبد القادر ،فقه استثمار الوقف وتمويله في الاسلام:دراسة تطبيقية عن الوقف الجزائري،رسالة لنيل دوكتوراة الدولة في العلوم الاسلامية،تخصص الفقه واصوله،نوقشت برحاب كلية العلوم الاسلامية،جامعة الجزائر،2003
33) بنعلة مصطفى :تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين من خلال حوالات تارودانت وفاس ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية ، 2007م
34) البيومي غانم إبراهيم، الأوقاف والسياسة في مصر، دار الشروق، بيروت، ط 1 ،1998.
35) التازي عبد الهادي ،جامع القرووين المسجد والجامعة بمدينة فاس،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1973،ج1-ج2.
36) التدمري عمر عبد السلام ،وثائق نادرة ن سجلات المحكمة الشرعية بطرابلس،نشر مؤسسة المحفوظات الوطنية،2002
37) الحبيب محمد، الاحسان الالزامي في الاسلام وتطبيقاته في المغرب ،مطبعة فضالة ،المحمدية،1990.
38) حلاق حسان ،اوقاف المسلمين في بيروت في العهد الاسلامي،نشر المركز الاسلامي للاعلام والانماء،بيروت،ط 1،1950
39) الدردير احمد ابو البركات ،الشرح الصغير على اقرب المسالك الى مذهب الامام مالك،دار المعارف ،مصر1989.
40) الريسوني أحمد ،الوقف الإسلامي مجالاته وأبعاده ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسسكو ،مطبعة فضالة ،المحمدية،2001
41) الزحيلي وهبة ،الوصايا والوقف في الفقه الاسلامي،الدار الجامعية للطباعة والنشر،بيروت،1982
42) الزرقا انس ،الوسائل الحديثة لتمويل واستثمار اموال الاوقاف،نشر المعهد الاسلامي للبحوث والتدريب،جدة،1989.
43) السباعي مصطفى ،من روائع حضارتنا،نشر المكتب الاسلامي، بيروت ،ط 5،1987
44) السعد احمد ومحمد العمري،الاتجاهات المعاصرة في تطوير الاستثمار الوقفي،الكويت،2000
45) سعيدوني ناصر الدين ،دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية،دار الغرب الاسلامي،بيروت،ط1، 2001
46) سليم منصور ، الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2004
47) سعيدوني ناصر الدين ،دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية،دار الغرب الاسلامي،بيروت،ط1، 2001
48) شلبي محمد مصطفى ،احكام الوصايا والوقف،الدار الجامعية للطباعة والنشر،بيروت،1982

49) الشيباني احمد ، أحكام الأوقاف، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1990
50) الشيباني بنبلغيث،بورقيبة والاوقاف،مطبعة دار نهى،تونس،ط 1،2009.
51) الصبيحي عبد الرزاق،الحماية المدنية للاوقاف العامة بالمغرب ،دار الامان،الرباط،2009.
52) فكري علي ،المعاملات المادية والفكرية،مطبعة مصطفى البابي،بصر،1938
53) قدري محمد ،قانون العدل والإنصاف للقضاء على مشكلات الأوقاف ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، 2007م .
54) العسل ابراهيم ،التنمية في الاسلام،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،بيروت،ط1 ،1996.
55) العمر فؤاد عبد الله ،اسهام الوقف في العمل الاهلي والتنمية الاجتماعية،نشر الامانة العامة للأوقاف،الكويت،ط1، 2000
56) عطية عبد الواحد ، حق الفقراء المسلمين في ثروات الأمة المسلمة، دار النهضة العربية، القاهرة،1992
57) محمود احمد مهدي، نظام الوقف في التطبيق المعاصر،نماذج مختارة من تجارب الدول والمجتمعات الاسلامية،نشر البنك الاسلامي للتنمية والمعهد الاسلامي للبحوث والتدريب ،جدة،1423هـ
58) مشهور نعمت عبد اللطيف ،اثر الوقف في تنمية المجتمع،المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع،1996،بدون مكان
59) مطيع محمد ،المدرسة العمرية بدمشق وفضائل مؤسسها،دار الفكر المعاصر،دمشق،ط1، 2000
60) منذر عبد الكريم ،أحكام الوقف دراسة قانونية فقهية مقارنة بين الشريعة والقانون، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2011م
61) المنوني محمد ، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة،البيضاء،1996
62) الكبيسي محمد عبيد عبد الله ، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، مطبعة الإرشاد ، بغداد،1977
63) كرد علي محمد ،خطط الشام،مكتبة النوري،دمشق، 1983، المجلد3،ج6
64) كوثراني وجيه ،نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط 1 ،2003
65) الكيلاني ماجد عرسان ،الامة المسلمة،مكتبة العصر الحديث للنشر والتوزيع،بيروت،ط2، 1992
66) لوشيوني جزيف، المؤسسات الحبسية في المغرب من النشأة إلى سنة *1956* ، تقديم وترجمة نجيبة أغرَابي، الطبعة الأولى، دار أبي رقراق للطباعة والنشر،بدون تاريخ.
67) الناصري محمد المكي ، الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية ،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1992
68) يكن زهدي :
- الوقف في الشريعة والقانون،دار النهضة العربية ،بيروت،1388.
- المختصر في الوقف،دار الفكر العربي،القاهرة،1981

69) مجموعة من المؤلفين،رسالة جمعية العلماء بدمشق لإبطال فتوى في جواز حل الاوقاف الذرية،مطبعة الترقي،دمشق،1937

**2:الأجنبية:**

70) Gerard Bousson de Janssens."Contribution a l'etude des habous puplics Algériens ".edition Decembre 1950.
71) Monzer Kahf.The Waqf in The Encyclopedia of the Modem Islamic World.Oxford Press.1995.New york.V4
72) O.Pesle. "La Théorie et la pratique des habous dans le rite Malékite" .casablanca.1941.

73) Rabino.H.L."La Réorganisation des habous au maroc.Revue du monde musulman ".tom39 .1920.edition Ernest Leriux.Paris.

**رابعا:الدوريات:**

74) ابو زهرة محمد،"مشروع تنظيم الاوقاف"،مجلة القانون والاقتصاد، العدد6، 1943.
75) بارطو لويس (Louis Bartho)،اليوطي – المغرب،تعريب وتقديم احمد العلوي،جريدة العلم(المغربية)،الحلقة 13 ،بتاريخ 27يوليوز2004
76) بن عبد الله محمد ،"ناظر الوقف -2 -"،مجلة دعوة الحق، العدد 239،غشت1984
77) البيومي غانم ابراهيم ،"نحو تفعيل دور نظام الوقف في توثيق علاقة المجتمع بالدولة"،نشر المستقبل العربي،بيروت ،العدد266 ،2001
78) حجي محمد ،"المؤسسات الدينية في القرنين16 و17م"،مجلة المناهل،العدد 18،1980 .
79) زنيبر محمد ،"الحبس كمظهر من مظاهر السياسة الاجتماعية في تاريخ المغرب"،منشور ضمن اعمال ندوة مؤسسة الاوقاف في العالم العربي والاسلامي،بغداد ،1983.
80) الدسوقي محمد،" الوقف ودوره في تنمية المجتمع الإسلامي"، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،عدد 64، القاهرة، 2000،
81) ربحي مصطفى عليان،"الوقف في الحضارة العربية الاسلامية"،مجلة الامن والحياة ،العدد238،السنة21، 2002.
82) الزحيلي محمد،"الوقف الذري"،مجلة الشريعة والقانون،جامعات الامارات العربية المتحدة،العدد27،جمادى الثانية 1327هـ/2000م
83) الزريقي جمعة محمود :"الوقف الاهلي بين الالغاء والابقاء"،مجلة اوقاف،العدد3،السنة الثانية،رمضان 1423هـ/نونبر2002
84) السبهاني عبد الجبار ،"دور الوقف في التنمية"،مجلة الشريعة والقانون،العدد44،ذو القعدة1431هـ /اكتوبر 2010
85) الصبيحي عبد الرزاق ،"التجربة المغربية في مجال الاوقاف من خلال اسئلة المشروعية والجدوى والملائمة"،سلسلة(الانظمة والمنازعات العقارية)،منشورات مجلة الحقوق،العدد8
86) الضيقة حسن ،"الملكية والنظم الضريبية في الدولة العثمانية" ،مجلة اجتهاد،بيروت،العدد36، 1997
87) طارق عبد الله ،"المجتمع المدني ونظام الوقف بين المرجعية الاسلامية وازمة العلوم الاجتماعية"، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، عدد 21،2001.
88) عمارة محمد ،"الاوقاف والتنمية"،مجلة المستقبل العربية،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، العدد235 ،1998
89) عارف محمد،"البناء المؤسسة للوقف في بلدان وادي النيل"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2003.
90) العثمان عبد المحسن ،"الوقف احد الصيغ التنموية الفاعلة في الإسلام"،ضمن اعمال الندوة الفقهية العاشرة لمجمع الفقه الاسلامي في الهند،نشر دار الكتب العلمية، بيروت،ط 1،2001
91) مشهور نعمت عبد اللطيف،" أثر الوقف في تنمية ا المجتمع"، مجلة الاقتصاد الإسلامي، دبي،العدد224، 2000.
92) منذر قحف،"الوقف"،دائرة معارف العالم الاسلامي الحديث، أكسفورد،1995، ج4.

# منطقة سوس قبل الحماية السلطة والمجال
## ﴿ملاحظات أولية حول تصور الإدارة﴾

د.ة فاطمة أوعسو
باحثة في تاريخ الجنوب المغربي

**مقدمة:**

تعد الإدارة المحلية/الجهوية تجل لحضور الدولة، وفرضها لسلطة المراقبة والمتابعة عبر ما تعينه من ممثلين لتنفيذ سياستها بجهات البلاد. ويتيح رصد تطور الإدارة في منطقة سوس خلال فترة اشتداد التنافس الامبريالي حول العالم، استجلاء تاريخ العلاقة بين المنطقة والسلطة المركزية وتتبعها. وتوجزها هذه المساهمة في ثلاث محطات أساسية، تجاذب خلالها المنطقة اتجاهان، يعكس الأول طموح القبائل الى التحرر من الواجبات المالية الضرورية لسير الجهاز الإداري للمخزن، والاكتفاء بالولاء الروحي للسلطان. فيما ينزع الاتجاه الثاني لفرض سلطة الدولة الكاملة على البلاد، عبر إطار إداري يتأسس على مفهوم السيادة الترابية.

**1-النموذج الإداري بسوس قبل سنة 1882م.**

ينبني النموذج الإداري الذي عرفته منطقة سوس قبل الإصلاح الإداري للسلطان الحسن الأول على أسس ومرتكزات.

**1-1-المرتكزات /المرجعيات.**

أ-الموروث الديني السياسي.

يستمد النظام السياسي والإداري المغربي أسسه من الموروث السياسي الإسلامي الموسوم بالدولة السلطانية1، وهي تطور في نظام الحكم من نظام الخلافة إلى الحكم الوراثي الذي اقترن على عهد الأمويين بأخذ البيعات من الناس2. وعلى الرغم من استقلال المغرب عن الخلافة الإسلامية المشرقية، فقد استلهم نظام الحكم المشرقي، من حيث طابعه الإمبراطوري وأساسه الديني3، ومفصحا من حيث المضمون عن ما أشار إليه ابن خلدون"**خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا**"4، إذ كان يتيح لقب أمير المؤمنين الإشراف على الشؤون الدينية ومباشرة الشؤون الدنيوية5، وسمح الامساك بالوظيفتين بتقديم صورة عن وحدة المسلمين 6.

فيما يرى محمد الحبابي، تقيد صلاحيات السلطان الدينية والتشريعية باستشارة العلماء، إذ لا يتخذ قرارات دون موافقتهم7. وربط البعض الآخر، تبوأ الفقهاء مكانة رائدة في السلطة، بالدول التي قامت على أساس قبلي(المرابطين-الموحدين- المرينيين)، وقتئذ امتلك السلاطين سلطة زمنية، وكان الفقهاء مرجعا لقراراتهم في الحكم، وذلك قبل ظهور مؤسسة السلطان الشريف8 التي جمع

فيها السلاطين السعديين والعلويين بين الوظيفتين بشكل غير قابل للتجزيء9.

ب-الإرث التاريخي.

تتجلى الخلفية التاريخية للنظام الإداري في الأوضاع التي عرفها المغرب مع بداية العصور الحديثة؛ فقد سادت التجزئة السياسية في ظل الحكم الوطاسي، وتراجع الوضع الاقتصادي بفعل اضطراب أحوال التجارة الصحراوية بعد استقرار الإبريين بسواحل افريقيا الغربية، وتوالي سلسلة من الكوارث الطبيعية. وأمام نقص الموارد للنهوض بشؤون الحكم، قامت الدولة بمضاعفة الضرائب التي عجز السكان عن أدائها10.غير أن أبرز تحدي عجل بانهيار حكم الوطاسيين، كان وقوفهم مكتوفي الأيدي أمام التحرشات الإبيرية إذ "**كان المسيحيون يتوغلون داخل البلاد[...]ويجلبون خراج الأقاليم[ ...]والذين يمتنعون عن الأداء ينهبون ويساقون أسرى**"11.

وجدير بالقول، أن هذه الأوضاع أنضجت الظروف لانتعاش حركة التصوف، وسرعان ما انتقلت الزوايا من الدور الديني إلى بث الحماسة والحمية الوطنية لمواجهة المحتلين الإبيريين12، فاستطاعت بذلك ملأ الفراغ الروحي بتوفيرها الأمن والحماية13، والفراغ السياسي بتعبئة الناس لمواجهة الخطر الأجنبي. وبعد تحالفها مع الشرفاء السعديين الذين عانوا بدورهم من التهميش سيما على عهد المرينيين14، تحقق مشروع الدولة "الشرفوية" التي تجمع بين المفهوم السني للحكم أي الخلافة15، ومعطى النسب الشريف الذي اعتبر أداة لتعاليها على الصراعات16، فتحولت بذلك الدولة من الطابع القبلي والتجزيئي للكيان الاجتماعي، إلى إطار جديد رمى إلى توحيد المغاربة تحت السلطة السياسية والدينية للسلطان، وقد واكبه إعادة ترتيب العلاقات مع القوى الدينية(الفقهاء والزوايا) التي اصبحت خاضعة أكثر للدولة، وأبعدت أو تقلص نفوذ الاتجاهات الممانعة17.

## 1-2-عناصر الجهاز الإداري.

غني عن البيان، أن اللبنات الأولى للجهاز الإداري أرسيت على العهد السعدي، واستمرت في تطورها إلى أن استقرت على الصيغة التي وجدت عليها في القرن التاسع عشر. وتضم إدارة مركزية يرأسها السلطان، ويباشر مهام تسيير البلاد من إقرار الأمن، وإخضاع القبائل، ونشر سلطة المخزن18، بمساعدة موظفين كالحاجب، والكاتب، ورؤساء الجيش، والأمناء والمحتسب19.

وعلى المستوى الجهوي، قسم المجال المغربي إلى أقاليم، واختلف عددها حسب الفترات التاريخية، إلى أن انتهت إلى خمسة أقاليم، وهي: فاس، ومكناس، ومراكش، وجدة، وتارودانت. وقد أشرف عليها جهاز ترتب من خليفة السلطان الذي تولى تسيير الناحية سياسيا وعسكريا وإداريا، وجسد وجوده الروحي والرمزي20، فالباشا أو العامل أو القائد 21.

**فما هو المجال الحقيقي للنفوذ السياسي للسلطان؟**

لامندوحة أن علاقة الجهاز المخزني بالمناطق النائية، قد استحوذ على اهتمام الدارسين الأجانب، خلال مرحلة بحثهم على تعميق معارفهم بالشعوب غير الأوربية. وقد انطلق جزء من هذه الأبحاث من الكتابات التراثية(ابن خلدون)، ومن التسميات التي اعتاد المخزن إطلاقها على القبائل غير الخاضعة(السائبة)، ونقل عنه ذلك الكتاب الإخباريون لتشكيل صورة عن العلاقة المفترضة ما بين الدولة والقبائل. وقد انتهت تلك الدراسات إلى خلاصات كان أبرزها سيادة طابع التنافر والتصادم22 المستمرين بين المخزن والقبائل المستعصية.

والحاصل أن الإنتاجات الأجنبية عكست جزءا من حقيقة علاقة منطقة سوس بالسلطة المركزية،كما أفصحت عن ذلك لاحقا الدراسات المغربية التي تناولت مكونات الجهاز الإداري وخصائصه؛ إذ أفادت أن المنطقة تتبع لخليفة السلطان بمراكش، وعامل قاعدة تارودانت الذي يتبع له شيوخ على القبائل الموالية، دون أن تكون للمخزن تمثيلية شاملة في كل ربوع سوس.

و يفيد نص للمختار السوسي أنه" **لما كانت(سوس)بعيدة عن مركز الحكومة، فقد كان أراء أوامرها على صنفين من قديم ، فالجبال لا تزيد دائما في اعترافها بالملك على التلفظ بالبيعة له، ذكره في صلوات الجمعة واعتباره الاعتبار الشرعي، ثم لا تقبل أي تسلسل لقواده ولا إتاواتهم، التي كان من المعتاد أن تتوالى على الرعية، أما السهول فإنها في الأرجوحة ، فمتى تقوى جانب الحكومة، فإنها تنقاد لقوادها ثم سرعان ما تنتفض..**" 23.

يميز المختار السوسي بين مجالين جغرافيين بناء عليه تتأسس علاقة منطقة سوس بالسلطة المركزية، فالأول ونظرا لوعورته، وقلة إمكانية المخزن، اكتفى بالصيغة التي قدمها الكاتب، في حين ظل المجال السهلي سهل الاختراق حتى في فترات الأزمات السياسية للدولة.

نحن، إذن، أمام تصورين لسلطة الدولة؛ تمثل الأول بعض الكتابات الأجنبية التي تحصرها في بلاد المخزن، وهو منظور ينطلق من التجربة التاريخية الأوربية لقيام الدول، ولذلك فإنه لا يتصور الدولة إلا كجهاز مركزي له شبكة إدارية فوق تراب له حدود معينة24. فيما ينفي التصور الثاني الذي عبرت عنه الكتابات المغربية، أن يستبطن مفهوم السيبة حقيقة علاقة القبائل بالمخزن، لأن السيادة وفق تجربة الحكم في التاريخ الإسلامي تتجاوز البعد الترابي25، لتحمل دلالات تحيل على مفهوم الحضور الرمزي للحاكم، وتستدل على ما ذهبت إليه بأمثلة من تاريخ المغرب، لعل أبرزها بيعة أهل تلمسان للسلطان المولى سليمان تعبيرا عن رفضهم للحكم العثماني.

الثابت أن محورية الموروث الثقافي الديني في علاقة السلطان بالقبائل أمر راسخ، حتى وإن حمل بعضها على رفض أداء الواجبات المالية التي تتوقف عليها استمرارية الدولة وأدائها لوظائفها26، والتي يقول عنها جرمان عياش أنها وظائف وطنية واجتماعية لازمة لحياة البلاد27.كما أنها سمحت بتدخل السلطان لممارسة التحكيم، مستفيدا من عجز القبائل على تكوين معارضة موحدة، بسبب صراعاتها الداخلية (اللفوف) **28.**

لقد كانت القاعدة في علاقة منطقة سوس بالسلطة المركزية خلال هذه المرحلة هي التبعية الروحية، في حين اقتصر نفوذها الفعلي في فترات قوتها على المجال السهلي، وذلك لاعتبارات عديدة مالية وجغرافية...وقد اعتمد السلطان على جهازه الإداري، وعلى الزعامات الدينية (الزوايا)، والدور التجارية (إليغ-بيروك)، للحفاظ على التواصل مع ربوع سوس، وذلك عبر رسائل تبتث وشائج الانتماء إلى سلطة مسلمة تقف في وجه العدو الخارجي، فكان ذلك مصدر تبعيتها المفترضة 29 .

## 2-من التبعية الروحية إلى ممارسة السلطة على أساس إداري- ترابي.

دفعت التحديات التي واجهها المغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر السلاطين العلويين (محمد بن عبد الرحمان-الحسن الأول)، إلى نهج إصلاحات للخروج من الأزمة المالية والاقتصادية التي ولدتها الضغوطات الاستعمارية. وقد كان المجال الإداري أحد أبرز واجهات الإصلاح على عهد السلطان الحسن الأول .

### 2-1-متغيرات التحول في النهج الإداري.

مثل احتلال الجزائر بداية لخضوع المغرب للتحرشات الأجنبية من الأطراف الشرقية والجنوبية، إذ أضحت، في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، محطة للتنافس الحاد بين القوى الاستعمارية، نظرا لموقعها الاستراتيجي المجاور للمحاور الكبرى للتجارة الصحراوية، وللوضع الإداري الذي كانت تتبع له منطقة سوس خاصة30، وذلك لأن الأجانب كانوا يتشوفون للقضاء على احتكار المخزن للمبادلات التجارية والتعامل مع الخارج، مستفيدين من استعداد "**كبار الأعيان للدخول في علاقات تجارية مع مؤسسات أوربية، للاستغناء بالمراسي المحلية عن الوساطة التي ما فتئت الصويرة تنهض بها في مجال تصريف منتجات إفريقيا السوداء واستيراد المنتوجات الأوربية**"31.

البين أن تسلط الأجنبي على أطراف البلاد، قد امسى خطرا على إحدى مقومات مشروعية الدولة الشريفة وهي

السيادة الترابية، بيد أنها وقفت عاجزة عن النهوض بأعباء الجهاد، لكون الهزائم العسكرية، والديون الثقيلة 32، والغرامات المالية، والكوارث، أتت على إمكانيات البلاد المالية، فكان الإقدام على تنفيذ إصلاح شامل، محاولة لاستجماع القوى لاستعادة قوة الدولة وهيبتها.

### 2-2-تجليات التوجه الإداري الجديد بسوس.

استهدفت حركتي الحسن الأول إلى منطقة سوس سنوات 1882م و1886م،إعادة ترتيب الأوضاع الإدارية، مشمولة بالاستجابة لرغبة أهل سوس في اختيار أعوان للمخزن من أبناء المنطقة، كما كشفت عن ذلك رسالة السلطان إلى باشا مكناس:"**وبعد استقامتهم وترتيب مراتبهم، طلبوا منا التجديد على مراتبهم بإقرارهم على عوائدهم وحملهم على أعرافهم**"33 .

ومن جانب آخر، رمى الإصلاح إلى تكريس مركزية الدولة داخل المجال القبلي، بتقسيمه إلى وحدات إدارية34 عبر تعيين واحد وأربعين قائدا خاضعين مباشرة للسلطان، إلى جانب طاقم إداري مكون من الأشياخ والقضاة، تختارهم أيضا قبائلهم، ويتولى السلطان إصدار ظهائر التعيين التي تتضمن التزاماتهم تجاه الدولة35. ولضمان المراقبة الترابية للمنطقة، أضيفت إلى قاعدة تارودانت قاعدة تزنيت التي أصبحت تفرض سلطتها على مجال سوس الأقصى. وبإدماج الدور الكبرى في الاصطلاح الإداري، تحقق هدف المخزن في إنجاز الوحدة السياسية والإدارية لمنطقة سوس.

### 2-3-خلفيات التوجه الإداري الجديد.

سبقت الإشارة إلى أن التنافس الاستعماري حول السواحل الجنوبية، قد احتد بفعل طموحات الزعامات المحلية لتطوير مصالحها المادية، ردا على إصرار المخزن على احتكار ومركزة النشاط التجاري بميناء الصويرة، وهوما انتبه إليه السلطان كما تشير إلى ذلك الرسالة التالية"**فمن جملة المقصود لدينا بوجهتنا السعيدة لهذه الناحية فتح مرسى بوادي نون في حدود بلاد تكنة وآيت باعمران ...ليسهل بقربها على تلك القبيلتين البيع والشراء**"36.

لكن المشروع ظل حبيس الورق لتردد المخزن في تفعيله، لأن الهاجس الذي كان متحكما في مشاريع الإصلاح بالجنوب هو تأكيد حضور الدولة الفعلي، بعد أن تمكنت القوى الاستعمارية من استمالة بعض الزعامات لتثبيت وجودها الاقتصادي بالمنطقة، وما إنشاء حاميات عسكرية للمراقبة بكل من آيت باعمران وطرفاية، سوى إشارة لتأكيد السيادة الترابية للسلطان بالجنوب.

لقد سمحت الإجراءات السالفة، بامتداد سلطة السلطان جنوبا، وبموجبها دخلت منطقة سوس عهدا جديدا من التدبير وفق تصور إداري لتنظيم المجال السياسي، استند إلى أساس إداري- ترابي أدمج الزعامات المحلية في السلطة 37. وشكل تعديد القيادات ترجمة لسعي السلطان لمراقبة المجال، والمتابعة المباشرة لمتغيراته وللمسؤولين عن تنفيذ السياسة المخزنية. وعلاوة على ذلك ساهم التواجد الفعلي للدولة في التخفيف من الضغط الأوربي على السواحل.

## 3-أثار أزمة المشروعية السياسية والدينية على علاقة المخزن بمنطقة سوس.

يتناول هذا المحور، علاقة سوس بالسلطة المركزية قبل توقيع معاهدة الحماية، حيث عاشت البلاد أزمة عميقة، إثر تعرض مشروعية السلاطين السياسية (بيعة المولى عبد العزيز وهيمنة الوزير أحمد بن موسى على الحكم)، والدينية (تعطيل مبدأ الجهاد ) لهزة قوية، فتحكمت هذه المتغيرات في نسج خيوط هذه العلاقة.

### 3-1 - سوس بعد وفاة السلطان المولى الحسن الأول 1894م.

بعد إعلان وفاة السلطان الحسن الأول ثارت القبائل ضد رموز السلطة المحليين؛ خاصة قبائل هوارة ورأس الوادي وهشتوكة38، بل امتدت الاضطرابات إلى جنوب تانسفيت، وحوصرت القصبات المخزنية، وتم السطو على منازل القواد39.

فكيف يمكن قراءة هذا الحدث؟

يفهم من النص التالي للمختار السوسي "**لم يبق في سوس قاطبة من له جاه أو رياسة أو ذكر كيفما كان إلا مثل بين يديه**"40، الإقبال الواسع على حركتي السلطان الحسن الأول واستحسان الإجراءات الإدارية التي سايرت رغبة السكان. لكن النهوض الواسع للقبائل وثورتها على قواد المخزن من أبناء المنطقة، كان محطة نقاش كبير تضاربت حوله الآراء؛ فهذا المختار السوسي يرجع الأمر إلى أن ضعف السلطة المركزية يكون محفزا للقبائل للتملص من التزاماتها لمالية. فيما ربط روبير مونطاني هذه الثورة بخصائص التنظيمات القبلية ("الجمهوريات المستقلة") التي تبحث عن الاستقلال عن المخزن 41. وقد شكل تعيين القواد عاملا مساهما في تراجع دور المؤسسة القبلية لصالح مؤسسة القيادة، وتبعها فرض التزامات مالية ثقيلة على السكان42، ما لبثت أن استفحلت في العهد العزيزي43. وقد ساهمت هذه الأوضاع في انبعاث الشعور بالانتماء القبلي44، **و**عودة صراع اللفوف القبلية من جديد الذي وظفه المخزن لفرض سلطته على المنطقة.

### 3-2-سياسة القوة لضبط منطقة سوس.

يوضح النص التالي للمختار السوسي مدى السخط الذي كان يحمله أهل سوس لقواد المخزن، فحين بعث إليهم الوزير أحمد بن موسى لجنة لتقصي حقائق ثورة القبائل، كان رد أحدهم "**إننا لا نريد القواد ،ولكن السلطان إن أرسل إلينا حتى أمة من عنده فإننا نقبلها**"45. وقد خلصت اللجنة إلى مسؤولية القواد في الاضطرابات التي عمت المنطقة، ولذلك كان اعتقال عشرين قائدا من الذين توجهوا لمبايعة السلطان المولى عبد العزيز46، **و**تغيير النظام الإداري المتبع بسوس، بتعيين آخرين وضعوا جميعا تحت امرة العامل الباشا حمو (تارودانت) والقائد سعيد الگيلولي(مجموع منطقة سوس).

الظاهر أن استيفاء الواجبات المالية وإقرار الأمن وفض النزاعات كان أبرز المهام الموكولة لممثلي المخزن. لكن القائدان وجدا صعوبة كبيرة في انجازها، فقاما بتفعيل توجيه أحمد بن موسى لهما أن" **اعملا كل ما ظهر لكما من التولية والعزل وعليكما بجمع الدراهم بكل حيلة وبكل وجه**"47، وهو ما يعني إطلاق يد القائدين في استعمال القوة والعنف لتطويع القبائل، كما نستشف ذلك من النص التالي "**ولاتزال الضفر أخذة بمخانقهم وسيوف سطوة الله فوق أعناقهم ، وجميع قبائل تلك الناحية جادة في أداء ما بقي عليهم من الواجبات، مستبرئين لأعراضهم ونفوسهم**"48. فشكل فرض ضرائب ثقيلة على السكان، بعد أن استنزف الضغط الأوربي الموارد المالية للبلاد49، عاملا أساسيا لحدوث الأزمة الثانية بين القواد وقبائل منطقة سوس.

أفضى فشل القائد أحمد أنفلوس(خلف القائد سعيد الگيلولي على سوس) في تهدئة الأوضاع، نظرا لافتقاره للإمكانات المالية وافتقاده إلى السند البشري، إثر مغادرة القوات التي كانت بتزنيت إلى شرق المغرب للمشاركة في مواجهة ثورة بوحمارة، إلى انسحابه من سوس فاسحا المجال للقائد مبارك الگيلولي لتولي أمور المنطقة، وقد ساند حركة المولى عبد الحفيظ وبايعه بمراكش في سنة 1908م50. غير أن السلطان الجديد عجز عن الالتزام بشروط البيعة51، بعد تخليه عن الجهاد بالشاوية واختياره أسلوب التفاوض52مع الأجانب. وسرعان ما توسعت وتقوت المعارضة القبلية فحاصرت فاس سنة1911م، فطلب السلطان دعم القوات الفرنسية التي مكنته من فك الحصار ودخول المدينة53.

لاغروة أن تطور الأوضاع الوطنية، قد أوجد تربة خصبة بسوس لنشاط الزاوية المعينية التي كانت إحدى أدوات المخزن العزيزي لمراقبة الأوضاع بالسواحل الجنوبية. فتوطدت علاقة السلطان بالشيخ ماء العينين54، وأمده بالسلاح لتنظيم المقاومة ضد التوسع الأوربي55. بيد أن عجز المخزن الحفيظي عن وقف التدخل الأجنبي ورضوخه لتوقيع معاهدة الحماية، فسح المجال للزاوية المعينية لتوظيف خطاب الجهاد لاستمالة قبائل سوس التي هبت لنصرة الشيخ. وبعد وفاته في سنة 1910م، تولى أحمد

الهيبة شؤون الزاوية، وأعلن نفسه أميرا للجهاد 56 في3ماي 1912م.

وقد تمكن أحمد الهيبة استمالة قواد فقهاء وأعيان قبائل سوس، وعبر هذه النخبة السياسية والدينية فرض سلطته على المنطقة الممتدة من وادي نون إلى سفوح الأطلس الكبير57، ليتحول بفضل الزخم والتعبئة التي خلقتها حركته بالجنوب(الصحراء وسوس) إلى "بديل سياسي وروحي"، على الأقل قبل هزيمته في معركة سيدي بوعثمان في 5شتنبر1912 58. فقد شرع في ممارسة صلاحياته الدينية والسياسية، كإمامة صلاة الجمعة في حفل رسمي حسب التقاليد السلطانية، وتعين قواد جدد، وإسقاط جميع الضرائب باستثناء العشور والزكاة59.

وبالرغم من الأعداد المهمة التي رافقت أحمد الهيبة في رحلته إلى مراكش 60، فلم يستطع الصمود طويلا أمام الآلية العسكري الفرنسية التي أجبرته على الانسحاب إلى ما وراء الأطلس الكبير. ومن جانب أخر سارع من ناصره من قواد وفقهاء وأعيان سوس إلى سحب ثقتهم؛ إذ انفضوا من حوله وأعلنوا ولائهم للسلطان المولى يوسف/سلطات الحماية.

ولم تحل الهزيمة الثقيلة التي مني بها أحمد الهيبة، دون استمرار حركته في ممارسة تأثيرها في قبائل جبال الأطلس الصغير والصحراء. فيما دخلت المناطق السهلية وجزء من الجبل تحت حكم السلطان المولى يوسف/الحماية. فأمسى الانقسام بين السلطتين(حركة المقاومة-المخزن/الحماية)الخاصية التي طبعت منطقة سوس حتى خضوعها النهائي للاستعمار سنة 1934م.

**خاتمة**:

يقدم الواقع الإداري لمنطقة سوس صورة مصغرة عن علاقة الدولة ما قبل الاستعمار بالمناطق النائية من البلاد، ذلك أنها تأسست على مفاهيم تستقي أصولها من الموروث التاريخي، ومن ضرورات الجغرافية، وإكراهات الضغط الأجنبي.

وتفتح العودة إلى التاريخ أفاقا للكشف عن الجوانب الخفية التي تحكمت في رسم تاريخ علاقة المنطقة بالسلطة المركزية، سيما في مرحلة أكملت فيها الدولة السلطانية دورتها، فجاء الاستعمار ليقدم نفسه بديلا لسلطة منهارة، وساعيا من خلال فكرة الرسالة الحضارية، إلى إعادة بناء الدولة على أسس جديدة، تنفلت من كل السلبيات التي وسمت الجهاز المخزني.

## الهوامش

1-المستف (صالح)، **التطور الإداري في أفق الجهوية(من المركزية إلى اللامركزية)**،[ دكتوراه السلك الثالث]، الدار البيضاء: جامعة الحسن الثاني كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ص.7.

[2]-عبد الجميلي (رشيد)، **دراسات في تاريخ الخلافة العباسي**، الدار البيضاء: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1984م، ص.22.

[3]-شقير (محمد)، **تطور الدولة في المغرب إشكالية التكوين والتمركز والهيمنة من القرن الثالث ق.م.إلى القرن العشرين**، الدار البيضاء: مطبعة إفريقيا الشرق، 2006م، ص. 146.

[4]-ابن خلدون (عبد الرحمان)، **المقدمة**، بيروت: دار الكتاب العلمية،1987م، ص.190.

[5]-أكنوش (عبد اللطيف)، **تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية**، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ص.34.

[6]-نفسه.

[7]-Lahbabi (Mohamed)**, Le Gouvernement Marocain A l'Aube du 20 Siècle,** Rabat: Editions techniques Nord Africaines, 1958, p.34.

[8]-شقير (محمد)، **تطور الدولة في المغرب** ،م.س.ص.233.

[9] -Julien (Charles-André), **Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956**, Paris: Editions J.A., 1978, p.95.

[10]-الوزان (الحسن)، **وصف إفريقيا**، بيروت-الرباط: دار الغرب الإسلامي بيروت و الشركة المغربية للناشرين المتحدين الرباط، ط 2، 1983م، ج 1، ص.223.

[11]- دي طريس (دييكو)، **تاريخ الشرفاء**، ترجمة محمد حجي ومحمدا لأخضر، 1988م، ص.18.

[12]- حجي (محمد)، **الحركة الفكرية في العهد السعدي**، الدار البيضاء: منشورات دار المعارف للتأليف والترجمة والنشر، 1976م، ج1، ص.41 .

[13]- ضريف (محمد)، **مؤسسة الزوايا بالمغرب**، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، الطبعة الأولى، 1992م، ص. 20.

[14]- شقير (محمد)، **تطور الدولة في المغرب** ،م. س.ص.232.

[15]-أكنوش (عبد اللطيف)، **تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية**، م. س. ص. 34.

[16]- شقير (محمد)، **تطور الدولة في المغرب**، م .س.ص. 228.

[17]-نفسه، ص. ص.235-236

[18]-أشركي (محمد)، "هيكلة الدولة المغربية السلطان والحكومة"، **مجلة الجامعة الصيفية**، المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912، المحمدية: ج الأول ، 1987م، ص.145.

[19]-افا (عمر)، **التجارة المغربية في القرن التاسع عشر البنيات والتحولات 1830-1912**، الرباط: دار الأمان، 2006م، ص.109.

[20]-أكنوش (عبد اللطيف)، **تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية** ،م .س .ص. 123 .

[21]-العسري (عمر)، " التنظيمات الإدارية الإقليمية في المغرب خلال القرن التاسع عشر"، **ضمن مجلة الجامعة الصيفية**، 1987،ص.167.

[22]-Montagne (Robert), **Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc**, Casa: Edition Afrique Orient,1930, p.8.

[23]- السوسي (محمد المختار)، **المعسول** ،ج 15، الدار البيضاء: مطبعة النجاح، 1960م، ص.111.

[24]-بورقية (رحمة)، **الدولة والسلطة والمجتمع دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب**، بيروت: دار الطليعة، 1991م، ص. ص.24-25.

[25] - Julien (Charles-André), **Le Maroc face,** op.cit,p.99.

[26]-أكنوش (عبد اللطيف)، **تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية**، م. س.ص. 125.

[27]-جرمان (عياش)، "حول تكوين وحدة الشعب المغربي"، **المجلة المغربية للاقتصاد والمجتمع** ،العدد4، السنة 1978م، ص.240.

[28] - Julien (Charles-André), **Le Maroc face,** op.cit, p.98.
[29] –Ibid.
[30]-المحمدي (علي)، **مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر المجتمع الباعمراني وعلاقته بالمخزن 1786 -1894م**،[بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ إشراف جرمان عياش]، الرباط: جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،1985م، ص. 293.
[31]-نفسه، ص .294.
[32]- التوزاني هراج (نعيمة)، **الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن ( 1290- 1311ه/ 1873- 1899م)**، الرباط: منشورات جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة 2، مطبعة فضالة، 1997م، ص.38.
[33]-رسالة موجهة من السلطان الحسن الأول إلى باشا مكناس حم بن الجيلالي بتاريخ 1299ه،نقلا عن بن زيدان عبد الرحمان، **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس**،ج2، الرباط: المطبعة الوطنية،1991م، ص. ص. 213-215.
[34]-شقير (محمد) **تطور الدولة في المغرب**،م .س.ص. 261.
[35]- المحمدي (علي)، **مساهمة في دراسة المجتمع المغربي**، م .س. ص.298.
[36]-الرسالة موجهة من السلطان الحسن الأول إلى باشا مكناس حم بن الجيلالي بتاريخ 1299ه، نقلا عن بن زيدان عبد الرحمان، م .س، ص. ص. 213-215.
[37]-بورقية (رحمة)، **الدولة والسلطة والمجتمع** ،م. س.ص. 27.
[38]- بن الطالب (علي)، **أثار الضغط الجبائي في تطور العلاقات بين المخزن والقبائل 1894-1912م**،[ أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، إشراف علال الخديمي ومحمد الأمين البزاز]، الرباط جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2003-2004م، ص.229.
[39] -Montagne (Robert), **Les Berbères et le Makhzen,** op.cit ,p.386.

[40]- السوسي (محمد المختار)، **إليغ قديما وحديثا**، الرباط: المطبعة الملكية 1386ه/1966م، ص.277.

[41]-Montagne (Robert), **Regarde sur le Maroc**, Paris: le Centre des Hautes Etudes sur l'Afrique et l' Asie Modernes, 1986, p.64.
[42]-Ibid,p.72.
[43]- البزاز الأمين (محمد)، **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، الرباط: منشورات جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة 18، 1992م، ص.340.
[44]-بورقية (رحمة)، **الدولة والسلطة والمجتمع**، م .س.ص.27.
[45]-السوسي (محمد المختار)، تطوان: **خلال جزولة**،ج4، ص.154.

[46]-افا (عمر)، **مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس1822-1912م)**، الرباط: دار الأمان، 2006م، ص. 118.
[47]- الرسموكي (سيدي الحسين بن الحسن)، **كراسة تقييد عن تاريخ سوس**، ص.10.
[48]- بن الطالب (علي)، **أثار الضغط الجبائي**، م. س .ص. 144.
[49]-نفسه، ص. 24.
[50]-السوسي (محمد المختار)، **المعسول**،ج 14، ص.153.

[51]-بياض (الطيب)، **المخزن والضريبة والاستعمار ضريبة الترتيب1880-1915**، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق،2011م، ص. 119.
[52]- Laroui (Abdallah), **Les origines sociales et culturelles du nationalisme Marocain 1830 – 1912**, Casa: Centre Culture Arabe, p. 344.
[53]- أكنينح (العربي)، **أثار التدخل الأجنبي في المغرب على علاقات المخزن بالقبائل في القرن التاسع عشر نموذج قبيلة بن مطير**، مطبعة أنفو، فاس: 2004، ص.21.

[54]- بن زيدان (عبد الرحمان)، **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس**،ج2، م. س.ص.380.
[55]-السوسي (محمد المختار)، المعسول، ج 4، ص. 143.
[56] - العروي (عبد الله)، **مذكرات من الثرات المغربي**، ج 4، يشرف عليها العربي الصقلي، ص.112.

[57] - Dartois (Marie – France), **Agadir et le sud Marocain à la recherche du temps passé des origines au tremblement du terre du 29 Février 1960**, Courcelles Puplishing, p. 466.
[58]-Lugan (Bernard), **Histoire du Maroc des origines à nos jours** Perrin / Critérion, 1987, p.234.
[59]-العروي (عبد الله)، مذكرات.....،ص. 113.
[60]- ضمت حوالي 200محارب من قبائل تكنة، و600 محارب من قبيلة الركيبات، و1100من قبيلة آيت باعمران، و1200 محارب من آيت برايم، و 1400محارب من قبيلة اشتوكة، انظر:

- Dartois Marie – France, **Agadir et le sud,** op.cit,p.468.

# سلاطين خطاطون من المغرب الإسلامي



عبدالحكيم خلفي
باحث في الدراسات الإسلامية
والتراث العربي الإسلامي-المغرب

## مقدمـــة:

يعد الخط العربي من الفنون التي نالت عناية بالغة من طرف المسلمين في المشرق كما في المغرب، ولأنه به كتب كلام الله عز وجل، فإننا نجد الكُتّاب وهم يخطون الحروف والكلمات،لم يعتبروها مجرد قالب حامل للمعاني أو ناقل للعلم والمعرفة فقط، بل نظروا إليها نظرة إجلال وإكبار، الأمر الذي جعلهم يجودون رسمها ويفرعون أنواعها، ويبدعون في أشكالها، ويضبطون نسبتها، ويعددون أقلامها، مما أضفى على النصوص المقدسة بهاء وجمالا وجلالا، لينتقل الخط العربي من مجرد حروف تكتب على الصحف والرقاق إلى حروف تنحت وتنقش وتزين بها المساجد والصوامع والقباب والجدران، والأواني والنقود..[1]

ومن الأمور التي أسهمت في انتشار الخط العربي وتنوعه ورقيه توسع دولة الإسلام، فجعل كل قطر من أقطاره يبدع في كتابة حروفه، ويمتاز ببصمته عن غيره، فظهر من الخطوط: الكوفي، والثلث،والنسخ،والفارسي، والديواني، والرقعة، والمغربي، والأندلسي، إضافة إلى تفريعات هذه الخطوط، كما برز أعلام أسسوا وقعّدوا لكل نوع منها، كابن مقلة (ت 328هـ) ويوسف الشجري، وحسن الفارسي (ت ق 4هـ) وإبراهيم منيف (ت 860هـ) وغيرهم.

وكما برعت اليد المشرقية في الكتابة بهذا الحرف، برعت أناملأهل الغرب الإسلامي كذلك، فمنذ دخول الإسلام إلى هذه الربوع بادروا إلى تعلمه، باعتباره وسيلة تعلم القرآن الكريم، وأحكام الشريعة الإسلامية، فحاولوا ضبط حروفه وإتقان رسمه وتجويده،ليمر بمراحل متعددة عرف فيها تطورا ورُقيا حتى صار على الشكل المعروف لهذا العصر، فمن الخط الكوفي ذو الطابع المشرقي في عهد الأدارسة، إلى غلبة الخط الأندلسي في العهد المرابطي والموحدي، وفي العهد المريني تميز عن الأندلسي وأخذ شكله النهائي، وتقدم في رقيه في العهد السعدي، لتستمر أنواع الخط المغربي في العهد العلوي مع تفاوت في الجودة،[2] وقد برزت أسماء خطاطين متقنين لأنواع الخط المغربي بلغوا فيه الغاية في كل عصر من هذه العصور.[3]

---

[1] - انظر مقالنا: **فن الخط العربي، رحلة حروف من المشرق إلى المغرب**، جريدة المحجة العدد 453، 23 جمادى الأولى 1437هـ/03 مارس 2016م.

[2] - انظر عمر أفا ومحمد المغراوي،**الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق**،منشوراتوزارةالأوقافوالشؤونالإسلامية - المغرب،مطبعةالنجاحالجديدة، الدار البيضاء،الطبعة 2، 1434/2007. ص: 39-40.

[3] - يمكن الرجوع إلى أسماء هؤلاء الخطاطين إلى كتاب محمد المنوني: **تاريخ الوراقة المغربية**،منشورات كلية الآداب

ونجد من الذين اهتموا من حيث الممارسة بالخط العربي في هذا القطر الإسلاميأبناء السلاطين الذين كانوا يتعلمون الخط من مؤدبين يُنتقون من طرف السلطان، حرصا منهم على أن يتعلم أبناؤهم أصول ومبادئ الخط، سواء المشرقي منه أو المغربي، وقد كان لعبد المومن الموحدي (ت 558ه)[1] ثلاثة عشر[2] ابنا كلهم خطاطون،[3] إضافة إلى الأمراء والأشراف الذينعرف عنهم اشتغالهم بالكتابة وقيامهم بانتساخ عدة منتسخات،كالمهدي بن تومرت (ت 524ه)[4]صاحب الدعوة الموحدية، والذي نسخ بخطه مصحفا محلى بفضة مموهة بالذهب، وكان يتقدمه مصحف عثمان في المواكب الموحدية.[5]وأبو زيد بن عمر المرتضالموحدي(ت بعد 712ه) الذي كان يعيش من النسخ،[6] ومحمد بن محمد بن زيان الوطاسي، (ت ق 9ه) من عائلة الوزراء الوطاسيين، الذي نسخ كتاب الشفا وكتاب صحيح البخاري،[7]و أبو عبد الملك محمد بن زيدان (ت 1317ه) الذي كان له خط بارع ومعرفة بالرسم والتجويد،[8] وغيرهم.

ومن اللافت أن نجد ممارسة الكتابة والنسخ حتى في السجون، حيث كان من الأشراف العلويين السجلماسيين وهم في سجن المنصور السعدي بمراكش ينسخون الكتب، وكانت النساخة من موارد عيشهم مدة سجنهم، وعددهم أربعون مات جلهم بالسجن.[9]

ونجد على رأس من مارس الكتابة والنسخ،سلاطين المغرب الإسلامي الذين عرفوا بإجادتهم واتقانهم لمجموعة من الخطوط العربية، وما زالت كتب التاريخ والتراجم تحفظ لنا صورا من اهتمامهم بهذا الفن، رغم قلة ما ورد من معلومات في هذا الشأن، إذ الغالب على

---

والعلوم الإنسانية،جامعة محمد الخامس بالرباط،الطبعة الأولى 1991/1412.

- [1]هو عبد المومن بن علي الكومي، مؤسس الدولة الموحدية في المغرب وإفريقية وتونس، تولى الحكم بعد المهدي بن تومرت سنة 524ه. انظر عبد الواحد المراكشي،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، مطبعة بريل، ليدن، سنة 1881م. ص: 141. **وجذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينةفاس**،دار المنصور للطباعة والوراقة-الرباط، 1973م. 446/2. وأبو عبد الله محمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**،تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط،الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة الثالثة، 1985/1405. 366/20.

- [2]يذكر من ترجم لعبد المومن الموحدي ستة عشر ذكرا. انظر **المراجع السابقة**.

- [3]انظر محمد المنوني،**تاريخ الوراقة المغربية**،ص: 27-28. ومحمد المنوني، **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**،مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،الرباط، الطبعة الثانية، 1977/1397. ص: 271.

- [4]أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري، الملقب بالمهديّ، واضع أسس الدولة المومنية الكومية، كان يطلب العلم في أول أمره، واتخذ أنصارا بعد عودته من المشرق، ورحل بهم إلى مراكش مع عبد المومن بن علي الكومي وتقوى بهم، وسماهم الموحدين، وجهز جيشا لفتح مراكش، لكن حضرته الوفاة قبل ذلك. ومن كتبه التي صنفها: "أعز ما يطلب" و "كنز العلوم" و "عقائد في أصول الدين". انظر أبو عبد الله الذهبي، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**،تحقيق: بشار عوّادمعروف،دار الغربالإسلامي،الطبعةالأولى، 2003م. 408/11. وشمس الدين أحمد بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة 1، 1994م، 45/5. وأحمد ابن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس**205/1. والمراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،ص: 132 وما بعدها.

- [5]انظر أحمد بن محمد المقري التلمساني،**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر– بيروت. 615/1. والمراكشي،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص: 182. والمنوني، **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**، ص: 270. والمنوني، **قبس من عطاء المخطوط المغربي**، دارالغربالإسلامي،الطبعةالأولى 1999م. 12/1.

- [6]انظر ابن عذارى المراكشي،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد زنيبر، ومحمد بن تاويت، وعبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ودار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، ط 1، 1985/1406. قسم الموحدين، ص: 447. والمنوني، **تاريخ الوراقة المغربية**، ص: 59.

- [7]نسخ كتاب الشفا للقاضي عياض في ثلاثين جزء، فرغ منه سنة 855ه، ونسخ كتاب صحيح البخاري في أربعين جزء، فرغ منه سنة 861ه، انظر المنوني،**تاريخ الوراقة المغربية**، ص: 66.

- [8]انظر عبد الرحمن ابن زيدان السجلماسي، **إتحاف أعلام الناس بجم الأخبار حاضرة مكناس**،تحقيق: علي عمر،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،الطبعة الأولى 2008/1429. 342/4.

- [9]انظر المنوني، **تاريخ الوراقة المغربية**، ص: 82.

تراجم السلاطي نذكر الأمور المتعلقة بالسياسية، والسلم والحرب، والصراع حول السلطة، ومواجهة الثورات.. وإضافة إلشح المعلومة وصعوبة الوصول إليها، فإننا لا نجد -حسب علمي- من أفرد تأليفا مستقلا عن الخطاطين من سلاطين المغرب الإسلامي، فكان هذا باعثا على البحث في هذا الموضوع، بتتبع تراجم ثلة من هؤلاء السلاطين،لتسليط الضوء على هذا الجانب المهمل من حياتهم، ولإبراز ذلك الحس الفني والجمالي من شخصياتهم، مستهلا بذكر نبذة يسيرة من ترجمتهم، ثم الحديث عن خطهم ومنتسخاتهم التي قاموابنسخها، وقد أتيت بهم مرتبين زمنيا حسب تاريخ وفاتهم.

## -السلطان عمر المرتضى الموحدي ( ت 665هـ ):[1]

هو السلطان أبو حفص عمربن أبي إبراهيم إسحاق بن يوسف بن عبد المومن الكومي الموحدي، الملقب بالمرتضى، بويع بمراكش بعد المعتضد بالله علي بن إدريس، ودام له الأمر لمدة ثمان عشرة سنة، من عام 646 هـ إلى أن توفي قتيلا بآزمور عام 665 هـ بعدما فر هاربا من مراكش حين دخلها ابن عمه الواثق بالله أبو العلاء إدريس الملقب بأبي دبوس (ت 668 هـ)، فظفر به عامله فكتب إلى أبي دبوس فأمر بقتله فقتله.

**<u>في ذكر خطه ومنتسخاته:</u>**

يصف من ترجم لهذا السلطان أنه كان ذا حظ وافر من براعة الخط، إضافة إلى ما عرف عنه من العلم والأدب،[2]ولعل هذه البراعة تتجلى في أنه كان يتقن الكتابة المصحفية كما يتقن كتابة غيرها من المنتسخات،وهو ما أشار إليه الأستاذ محمد المنوني عندما ذكر له أثران جليلان:

**الأثر الأول:**[3]ربعة قرآنيةنسخها بيده عام 654هـ، وكانت توجد تامة بمكتبة جامع ابن يوسف بمراكش إلى عام 1149هـ وفي عام 1352 هـ بقي منها أربع مجلدات، ولا يعرف منها الآن سوى تسعة، بين أجزاء كاملة وأبعاض.

وقد كتب المرتضى هذه الربعة في عشر أجزاء، جعل في كل جزء منه ستة أحزاب، وجعل مسطرة كل جزء 9، ومقياسه 220/290. وهي مكتوبة على ورق وُصف بالجيد، وبقلم غليظ.

**الخطوط المستعملة:**لقد نوع المرتضى من الخطوط التي كتب بها الربعة القرآنية، فنجد أنه استعمل خطا مغربيا مبسوطا يميل للأندلسي، وجعل عناوين السور وعناوين التجزئات القرآنية المختلفة، بالنسبة للأخماس والأعشار : (كل خمس أو عشر آيات)، وبالنسبة للأحزاب وأجزائها والسجدات، بالخط الكوفي، كما جعل في آخر كل جزء كلمة ختامية بخط شرقي ثلثي،إضافة إلى كتابة توقيعات وقفها بخط شرقي نسخي على جامع علي بن يوسف بمراكش.

**الألوان المستعملة:** تنوعت الألوان المستعملة في هذه الربعة، فنجد أن الحبر المتخذ للكتابة يضرب لونه للسواد، وجعل مداد اللك[4]للضمات والفتحات والكسرات والمدات، والخضرة الباهتة للشدّات والسكون ونقط ألفات الوصل، والصفرة الباهتة أيضا للهمزات القطعية وغيرها، أما إطار عناوين السور فتم زخرفته بمحلول

---

- [1]أحمد الذهبي،**تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، 119/15. ومؤلّف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري،**الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**،تحقيق: سهيلزكار،وعبدالقادرزمامة،دارالرشادالحديثة،الدارالبيضاء،الطبعةالأولى 1399هـ-1979م. ص: 168-169. وابن القاضي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، 492/2-493.

- [2]مؤلف أندلسي، **الحلل الموشية**، ص: 168. والعباسبن إبراهيم السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**،راجعه عبد الوهاب ابن منصور،المطبعة الملكية-الرباط،الطبعة الثانية، 1413/1993. 285/9-287.

- [3]انظر محمد المنوني،**العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**، ص: 171. و ص: 287-288. والمنوني، **تاريخ الوراقة المغربية**، ص: 36. والمنوني، **قبس من عطاء المخطوط المغربي**، 29/1-30 و 42/1-43-44-45.

- [4]اللك: صبغ أَحْمَر تفرزه بعض الحشرات على بعض الْأَشْجَار فِي جزر الْهِنْد الشرقية يذاب فِي الكحول فَيكون مِنْهُ دهان للخشب. مجمع اللغة العربية بالقاهرة،**المعجم الوسيط**، باب اللام، 837/2.

الذهب المرسوم بالمداد والملون بالأحمر، وقد طوقت هوامش الكتابة بتراجم مذهبة ملونة ومتنوعة الأشكال، وكتبت الكلمة الختامية في آخر كل جزء بالذهب المصور بالمداد، ومجدول بزخرفة ذهبية مصورة بالمداد أيضا.

ووضعت هذه الربعة بعد تسفيرها بالجلد المزخرف بالذهب في تابوتأبنوس[1] بحلية نحاس مذهبة، طوله ثلاثة أذرع، وله مقابض: واحد في أعلاه، واثنان في عرضيه، وأركانه معقودة في نحو الحلية، ومغلقة كذلك من نحو الحلية المذكورة أيضا، وعلى التابوت غشاء جلد مغالقه كلها فضة منيلة.[2]

**الأثر الثاني:**[3]ويتعلق الأمربنسخة من كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس،انتسخه المرتضى بخطه في سفرين من أصل عتيق مقروء على المشيخة، ونقل حواشيه إليهما مستوفاة، مع المبالغة في تصحيحهما.

يتبين لنا من خلال هذين المنتسخين أن السلطان عمر المرتضى الموحدي، كان كما وُصف، ذو حظ وافر من براعة الخط، فإضافة إلى إتقانه وضبطه للكتابة المصحفية، فإنه كان يتقن الكتابة بالخطوط المشرقية والمغربية معا، ومن هذه الخطوط التي أفصحت عنها الربعة القرآنية: خط المبسوط المغربي، والخط الكوفي،وخط الثلث، وخط النسخ، ومن الواضح أيضا أنه كان مطلعا على كيفية استعمال وتنويع ألوان الأمدة والتذهيب والتنسيق فيما بينها،وعلى اتخاذ الأشكال والزخارف.

## السلطان أبو الحسن علي المريني ( ت 752هـ ):[4]

هو السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، المريني، الملقب بالمنصور بالله، ولد سنة 697 هـ، وبويع بفاس بعد أبيه في ذي القعدة من سنة 731 هـ، ودامت دولته عشرين سنة إلى أن توفي سنة 752 هـ، وعمره ستون سنة، ودفن بشالة.

اتسع سلطانه على بلاد المغرب، فملك تلمسان ومدينة تونس وسائر بلاد افريقية، وكانأضخم ملوك بني مرين ملكا، وأكثرهم آثارا بالمغربين والأندلس، هذا إضافة إلى ما عرف عنه من اشتغاله بالأدب وقول الشعر،وإجادة الإنشاء.

**في ذكر خطه ومنتسخاته:**

يكشف لنا ابن مرزوق في "المسند الصحيح" عن إجادة السلطان حسن المريني للخط المصحفي، الذي أخذ مبادئه وأصوله عن الكاتب المجود لهذا الخط في عصره النجللي رحمه الله الذي بلغ فيه الغاية، حتى صار خطه يختلط بخطه، وذكر أنه كان في النظر لوضعه الخط جمال لمبصره.[5]

وعرف عن هذا السلطان تقسيم زمانه بين مباشرة أمور السياسة والحكم والجهاد، وبين اشتغاله بنسخ كتاب اللهوقت فراغه،وهو ما أشار إليه ابن الخطيب في أرجوزته حين قال:

**أو نسخ قرآن وعرض حزب أو عدة معـــــدة للحـرب**[6]

ويذكر لنا المقري أن عدد المصاحف التي نسخها أبو الحسن المريني بيده بلغت ثلاثة مصاحف،وهي التي أرسلها إلى المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، وأنه

---

- [1]الآبنوس: شجر يثبت فِي الْحَبَشَة والهند خشبه أسود صلب ويصنع مِنْهُ بعض الأدوات والأواني والأثاث. **المعجم الوسيط**، باب الهمزة، 1/1.
- [2]أنال المَعْدن: أصيب فِيهِ أو مِنْهُ شَيْء. **المعجم الوسيط**، باب النون، 964/2،
- [3]انظر المنوني، **تاريخ الوراقة المغربية**، ص: 36-38.
- [4]أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر، **روضة النسرين في دولة بني مرين**،المطبعةالملكية-الرباط، 1962/1382. ص: 25-26. وأحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**،تحقيقوتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري،دارالكتاب الدارالبيضاء 1997/1418. 118/3.
وخير الدين محمود الزركلي،**الأعلام**،دارالعلم للملايين،الطبعة 15، 2002م. 311/4.
- [5]انظر محمد ابن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**،دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1981/1401. ص: 474.
- [6]انظر أبا عبد الله بن الخطيب السلماني،**رقم الحلل في نظم الدول**،المطبعة العمومية-تونس، 1316هـ. ص: 81 وشرحه للبيت، ص: 91.

رأى الربعة التي أرسلها السلطان إلى بيت المقدس، ووصفها أنها في غاية الصنع،[1] غير أن ابن مرزوق يكشف لنا عن خمس ربعات قرآنية؛ ربعة نسخها وحبسها بشالة ابتداء، ثم نسخ ربعة ثانية برسم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أكملها في شهر ربيع الأول من سنة أربعين، ثم نسخ ربعة ثالثة برسم المسجد الحرام بمكة المكرمة، سنة اثنين وأربعين وسبعمائة، ثم نسخ ربعة رابعة برسم المسجد الأقصى، سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وجل هذه الربعة ما زال موجودا، ثم شرع في نسخ ربعة برسم الخليل ولم يتممها، واشتغل على إتمامها ابناهأبو عنان وأبو فارس.[2]

**وصف لهذه المصاحف:**

يصف لنا ابن خلدون المصحف الذي أرسله إلى الحرم الشريف،فيقول: **(فانتسخها وجمع الوراقين لمعاناة تذهيبها وتنميقها، والقراء لضبطها وتهذيبها، حتى اكتمل شأنها، وصنع لها وعاء مؤلفا من خشب الأبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشي بصفائح الذهب، ونظم بالجوهر والياقوت، واتخذ له أصونة الجلد المحكمة الصناعة، المرقوم أديمها بخطوط الذهب من فوقها غلاف الحرير والديباج وأغشية الكتان)**[3] إلى أن يقول: **(ثم انتسخ السلطان نسخة أخرى من المصحف الكريم على القانون الاول ووقفها على القراءة بالمدينة وبعث بها من تخيره لذلك العهد من أهل دولته سنة أربعين وسبعمائة، وفعل مثل ذلك بحرم بيت المقدس).**[4]

نلاحظ أن ابن خلدون قدم المصحف الذي بعث به أبو الحسن المريني إلى الحرم المكي على المصحف الذي نسخه برسم المدينة المنورة، خلافا لما أورده ابن مرزوق الذي أرخ لربعة المدينة بسنة أربعين وسبعمائة، وربعة الحرم المكي بسنة اثنين وأربعين وسبعمائة، كما نلاحظ أن النسخ التي بعث بها إلى المساجد الثلاثة كانت على قانون واحد من جودة الخط والضبط والصنعة. وقد نظم أبو الحجاج يوسف الطرطوشي أبياتا نقل منها ابن مرزوق بيتان في مدح الربعة التي أرسلت إلى المدينة:

**يا مصحفا ما رأى الراؤون في زمـن شبها له**
**مصحفا من نســـخ سلطـــــان**
**فضيلة مثلها فـــي الدهر ما عرفــت مــن عهد**
**عثمـــان إلا لابــن عثمـان**[5]

يذكر الأستاذ محمد المنوني أن لم يبق معروفا من هذه الربعات التي نسخها السلطان علي المريني سوى ربعة بالمتحف الإسلامي بالقدس الشريف، كتبت في ثلاثين جزءا،ويعود تاريخ كتابتها إلى عام 745هـ،ثم ضاع منها خمسة أجزاء تم تعويضها بأخرى بخط مغربي عام 1221هـ ليبقى بخطها الأصلي خمسة وعشرون جزءا. مكتوبة على الورق بخط مغربي جميل عريض، في مسطرة 5، كل سطر مؤلف من بضع كلمات، ومداده من فتيت المسك وعطر الورد، وربما أضيف إليهما في بعض الأحايين الزعفران الشعري، لأن الخلط يشتد سواده وإشراقه في بعض الصفحات، ويصفر في البعض الآخر، وفي بعضها يكون قليل السواد.[6]

كان السلطان أبو الحسن علي المريني مجيدا للكتابة المصحفية وضابطا لها،لكن هذا لم يمنعه أن يعرض ربعاته على الفقهاء لقراءتها وتهذيبها وتفقد ما تعذر من ضبطها،[7]كما أنه كان متقنا للخط المغربي، وملما بأنواع الأمدة وطريقة اعدادها، وقد استعان بالوراقين لتنميقها

- [1]انظر **نفح الطيب**، 4/399-400.
- [2]انظر ابن مرزوق،**المسند الصحيح الحسن**، ص: 475-478.والمنوني، **قبس من عطاء المخطوط المغربي**، 1/31، وعبد الرحمن ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**،ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة،مراجعة: سهيلز كار،دار الفكر،بيروت لبنان، 1421/2000. 7/352.
- [3]ابن خلدون،**ديوان المبتدأ والخبر**، 7/351. والناصري، الاستقصا، 3/127.
- [4]ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر**، 7/352. والناصري، الاستقصا 3/131.
- [5]ابن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن**، ص: 476.
- [6]المنوني، **قبس من عطاء المخطوط المغربي**، 1/50.
- [7]ابن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن**، ص: 475.

وتذهيبها، مستعملين في ذلك مجموعة من المواد؛ كالذهب، والجوهر والياقوت، والحرير، والديباج، والأبنوس والعاج، وغيرها...

## السلطان أبو عنان فارس بن علي المريني ( ت 759 ه ):[1]

هو السلطان فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، المكنى بأبيعنان، والملقب بالمتوكل على الله، ولد بفاس الجديد سنة 729 هـ، ولاه أبوه إمارة تلمسان، ثم ثار على أبيه، وبويع في حياته سنة 749 هـ، ودامت دولته تسعة أعوام وتسعة أشهر، ويذكر أنه قتل خنقا على يد وزيره الحسن بن عمر الفودودي سنة 759 هـ وعمره ثلاثون سنة.

عرف أبو عنان -إضافة إلى حنكته السياسية والحربية- بقرض الشعر ونقد الأدب ومناظرة العلماء، مع معرفة بالمنطق وأصول الدين والعربية والحساب، وكان حافظا للقرآن عارفا بناسخه ومنسوخه، حافظا للحديث عارفا برجاله.

**في ذكر خطه ومنتسخاته:**

يذكرمن ترجم لأبي عنان المرينيتمكنه من مجموعة من العلوم والفنون،ومن بين الفنون التي أتقنها وأجادها فن الكتابة والخط، وقد وُصفبأنه كان فصيح القلم، وكاتبا بليغا حسن التوقيع،[2]ووصف ابن جزي الرسالة والقصيدة اللتان أرسلهما إلى روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريفة، فيقول: **(وكتبهما بخط يده الذي يخجل الروض حسنا. وذلك شيء لم يتعاط أحد من ملوك الزمان إنشاءه، ولا رام إدراكه).**[3]وقد اشتهرت هذه الرسالة، وذكرها صاحب كشف الظنون باسم: الدرة السنية والوسيلة النبوية.[4]

وقد خط أبو عنان بيده على مجموعة من المصاحف الحسنة الخطوط البهية الجميلة السنية التي أوقفها على جامع القرويين بفاس، وجعلها في خزانتها لمن أراد القراءة فيها،وكتب على كل جزء منها بخط يده بتوقيفها مدى الأعوام والليالي والأيام.[5]

ومن المنتسخات التي كتبها ما ذكرناه من اتمامه لكتابة الربعة القرآنية الشريفة برسم المقام الخليلي التي بدأها السلطان أبو الحسن علي المريني، فاستخلص منها ما استخلص وتمم ما تمم، وهو ما يدل على أن أبا عنان كان يجيد الكتابة بالخط المصحفي كما والده.[6]

## السلطان أبو فارس عبد العزيز بن علي المريني ( ت 774هـ ):[7]

هو السلطان عبد العزيز بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، المكنى بأبي فارس، بويع في ذي الحجة من سنة 767 هـ، ودامت دولته ستة أعوام وأربعة أشهر، وتوفي بتلمسان سنة 774 هـ، وعمره أربع وعشرون سنة، وسيق إلى فاس فدفن بجامع قصره.

---

- [1]انظر اسماعيل ابن الأحمر، **روضة النسرين**، ص: 27-28. وابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، 508/2-510. والناصري،**الاستقصا**، 181/3-208. ومؤلف أندلسي، **الحلل الموشية**، ص: 179.وعبد الوهاب بن منصور،**أعلام المغرب العربي**، المطبعة الملكية الرباط، 1399هـ-1979م، 97/2 وما بعدها.

- [2]ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، 508/2. والناصري، **الاستقصا** 206/3. وعبد الوهاب بن منصور، **أعلام المغرب العربي**، 97/2-98.

- [3]ابن بطوطة،**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**،تحقيق: محمدعبدالمنعمالعريان،مراجعةمصطفىالقصاص،دار إحياءالعلوم،بيروت،الطبعةالأولى 1407هـ. 674/2. ومحمد المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، منشوراتكليةالآدابوالعلومالإنسانيةبالرباط،مطبعةالنجاح-الدار البيضاء،الطبعةالثالثة 1420هـ. ص: 220.

- [4]مصطفى حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**،الناشر: مكتبةالمثنى – بغداد، 1941م. 740/1.

- [5]انظر علي الجزنائي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**،تحقيق: عبد الوهاب بنمنصور،المطبعة الملكية-الرباط،الطبعة الثانية 1411هـ، 1991م. ص: 76.

- [6]انظر ابن مرزوق،**المسند الصحيح الحسن**، ص: 478. والمنوني، **قبس من عطاء المخطوط المغربي**، 31/1

- [7]انظر ابن الأحمر،**روضة النسرين**، ص: 33. وابن القاضي، **جذوة الاقتباس** 449/2-450. والناصري، **الاستقصا** 52/4-59.

ورغم صغر سنه وقصر عمر دولته إلا أن هذا لم يمنعه من أن ينعش دولة بني مرين بعد تلاشيها، ويعيد إليها شبابها بعد هرمها وتقاضيها، وكان دَيّنا خيّرا من صالحي الملوك.

**في ذكر خطه ومنتسخاته:**

اهتم السلطان أبو فارس المريني بالكتابة والنسخ كما أسلافه، فكان حسن الخط، مجيدا للكتابةالمصحفية، ومن المنتسخات التي عرفت عنه:اشتغاله بتكملة مصحف والده السلطان أبي الحسن المريني، الذي نسخه برسم المقام الخليلي بالقدس،[1]حيث خصص وقتا مهما من أجل اتمام نسخه وضبطه، الأمر الذي أشار إليه ابن الخطيب بقوله:

**وفي اكتتاب سور الكتاب وحفظ ما للدين من أداب**[2]

وعلق على هذا البيت قائلا:(**قسم زمانه بين انتساخ القرآن ودرسه ومطالعة الرقاع..**).[3]

ومن المنتسخات التي عرفت عنه أيضا: رسالة أرسلها إلى المقام النبوي الكريم، كما فعل السلطان أبو عنان،يقول محمد المنوني عن هذه الرسالة: (**وكصنيع أبي عنان، فإن عبد العزيز الأول بعث -هو الآخر- برسالة إلى المقام النبوي الكريم، وقد تحدث عنها ابن حجلة في "منطق الطير"، الذي ضمنه تقريضا ضافيا -منثورا ومنظوما- وصف في ثناياه الرسالة الفارسية، وبين أنها مفتتحة بأبيات دالية، ومكتوبة بخط أبي فارس، ومما جاء في هذا التقريظ:**

**[... فقد وقف المملوك ... على الرسالة الملكية السلطانية الفارسية العزيزية، المجهزة إلى الحضرة النبوية، المفتتحة بالأبيات الدالية... وانتهى إلى ما أنجز في ذيلها من الضراعة والظمأ إلى صاحب الحوض والشفاعة.. فقد بلغ برسالته التي قرئت بحضرة الرسول وهبت عليها نسمة القبول.. ثم وصف خطها في هذه القطعة:**

**فكم همزة تبدو على «ألِفٍ»بها**
**كساجعة من فوق غصنٍ تغردُ**
**أغازل منها كل «عينٍ» كأنما**
**يلوح بها من أسوَد النقشِ إثْمِدُ**
**وانظر من نفْث القوافي بطرسِها**
**مَحارب «دالات» بها السحر يسجدُ])**[4]

## السلطان أبو زيان محمد الثاني بن أبي حمو ( ت نحو 802 ه )[5]

هو السلطان محمد بن أبي حمو موسىبن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان، أبو زيان، بويع بتلمسان سنة 796 هـ ودامت إمارته إلى أن خلعه أخوه عبد الله في عام 802 هـ حيث أتاه بجيش بني مرين من فاس فكانت الغلبة لبني مرين، وفر أبو زيان ثم قتل وحمل رأسه إلى فاس.

عرف عنه تفوقه في العلم والأدب ونظم الشعر، وكان حافظا للقرآن، وله كتاب سماه "الإشارة في الحكم بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة" وقد امتاز عهده بنشاط الحركة العلمية.

**في ذكر خطه ومنتسخاته:**

يصرح أبو عبد الله التنسي في "تاريخ أبي زيان ملوك تلمسان" أن السلطان محمد بن أبي حمو نسخ بيده أكثر من نسخة من القرآن الكريم، لم يحدد عددها، وأنه حبسها بالخزانة التي أسسها بالجامع الأعظم من تلمسان المحروسة، كما نسخ نسخة من كتاب صحيح

---

- [1]انظر ابن مرزوق،**المسند الصحيح الحسن**، ص: 478. والمنوني، **قبس من عطاء المخطوط المغربي**، 31/1
- [2]ابن الخطيب، **رقم الحلل في نظم الدول**، ص: 86.
- [3]ابن الخطيب، **رقم الحلل في نظم الدول**، ص: 107.
- [4]محمد المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، ص: 221.
- [5]انظر ابن الأحمر، **روضة النسرين**، ص: 59-60. ومحمد بن عبد الله التنسي،**تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**،تحقيق وتعليق: محمد آغابو عياد،موفم للنشر الجزائر 2011م، ص: 210. وعادل نويهض،**ومُعجَمُ أعلام الجزائر مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر،بيروت–لبنان،الطبعة الثانية، 1980/1400.ص: 171-172.

البخاري، وعدة نسخ من كتاب الشفا لأبي الفضل عياض اليحصبي، حبسها كلها بخزانة الجامع المذكور.[1]

وتوجد نسخة من النصف الأول لأحد هذه المصاحف التي نسخها هذا السلطان بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم: (D 1330)، مكتوب بخط مغربي جميل على رق غزال ومحلى بالذهب عند أول كل سورة، وعلى رأس كل آية، وجميع ما فيه من أسماء الله الحسنى مكتوب بالذهب، كتبه السلطان المذكور بحاضرة تلمسان سنة 801هـ. عدد أوراقه 112، سطوره 13، مقياسه 200/165.[2]

ورغم شح المعلومات عن هذه النسخة وانعدامها بالنسبة للنسخ الأخرى، إلا أنه يمكن أن نستشف مما سبق أن السلطان أبا زيان كان مجيدا للخط المغربي، ومتقنا للكتابة المصحفية، وضابطا لما يكتب، وذو اطلاع على كيفية إعداد الأمدة..وهو الأمر الذي أسعفه لكي يخط بيده أكثر من مصحف، وينسخ أكثر من كتاب، وهي أمور تدل على إلمامه بفن النساخة عموما.

## السلطان أحمد بن محمدالوطاسي ( ت نحو960هـ ):[3]

هو السلطان أبو العباس أحمد بن محمد البرتغالي بن محمد الشيخ بن يحيى بن زيان الوطاسي، رابع ملوك بني وطاس في فاس، بويع بعدما خلع عمه أبا حسون آخر ذي الحجة سنة 932 هـ، وعقد صلحا بينه وبين السعديين في حدود سنة 940 هـ ليعودوا إلى القتال سنة 942 هـ حيث انهزم فيها الوطاسيون، وعقد صلحا مع برتغال مدينة آسفي، ليتفرغ لقتال السعديين، وفي سنة 956 ه دخل السعديون فاس بعد حصار دام سنة تقريبا، وأسروا سلطانها أبا العباس الوطاسي وبقي معتقلا بسجن مراكش إلى أن شاع خبر موتهنحو سنة 960هـ.

عرف عنه رغبته في الجهاد، وحبه للعلم والعلماء،فلا يبت في أمرحتى يستشير الفقيه عبد الواحد الونشريسي ويرى رأيه، كما كان كثير الاعتقاد في الصالحين.

**في ذكر خطه ومنتسخاته:**

عرف عن هذا السلطان أنه كان حسن الخط، بارع الكتابة، حتى شُبِّه خطه بخط ابن مقلة شيخ الخطاطين في زمنه بالمشرق، وإلى هذا يشير صاحب عروسة المسائل في أرجوزته قائلا:

**الخـط كابن مقلـة في وقتـهِ والعلـم والحلم يُرى من سمتـهِ.**[4]

ومن المنتسخات التي كتبها بخطه: ربعة قرآنية كريمة، في ثلاثين جزءا، أتم نسخها يوم الخميس 17 رمضان عام 946هـ، وقام بإرسالها إلى المدينة المنورة، ولا تزال غير معروفة، ويذكر المنوني أن أبا حامد الفاسي قد جلى خبرها فيما شرحه من دلائل الخيرات، فقال: **(رأيت بخط الشيخ الإمام مفتي فاس وقاضي الجماعة بها، أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ الإمام أبي العباس الونشريسي رحمه الله ما نصه: ومما قلته يوم ختْم السلطان أبي العباس أحمد بن السلطان أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي عبد الله الشيخ الوطاسي أيده الله للربعة الكريمة التي كتبها بخطه، وذلك يوم الخميس السابع عشر من رمضان عام ستة وأربعين وتسعمائة:**

---

[1] - انظر التنسي، **تاريخ بني زيان**، ص: 211. وأبازكرياء يحيى بن موسى المازوني،**الدرر المكنونة في نوازل مازونة**،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط،تخصص المخطوط العربي،دراسة وتحقيق،من إعداد: بركات إسماعيل. 1430-1431هـ.الجزء الأول، ص: 104.

[2] - انظر **فهرس المخطوطات العربية، المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط**،اعتنىبتأليفه: ي.س. علوش،وعبدالله الرجراجي،منشورات الخزانة العامة،الطبعة الثانية 1421-2001،القسم الثاني (1921-1953)، 2/1.

[3] - انظر ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، 114/1. والناصري، **الاستقصا**، 149/4-159. وعبد الوهاب بن منصور، **أعلام المغرب العربي**، 169/5-170.

[4] - أبو عبد الله محمد الكراسي التطواني،**عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الوسائل**،تقديموإعداد: الأستاذعبد الوهاب المنصور المطبعة الملكية بالرباط، 1383هـ/1963م. ص: 28.

**يا أيها الملك الهمام الأسعـــد الأمجد**
**البطل الهمام الأوحد**
**خطت أناملك الكريمة مصحفا فله**
**المصاحف بالبراعة تشهد**
**أخلصْتَ فيه لوجه ربك نيّـــة فيها لك**
**الذخـــــر الذي يتأبد**
**وجعلت في شهر الصيام تمامه فثوابـــه**
**متضاعف متـــأكـد**
**وإلى الثلاثين انتهتأجـــزاؤه عـددا يديم**
**جزاءكم ويخلد)**[1]

فهذه شهادة أخرى من الإمام عبد الواحدالونشريسي على براعة السلطان أحمد الوطاسي في كتابة الربعة القرآنية، وهو وصف يطلق ليشمل الخط والضبط، كما يدل الوصفأيضا على اتقانه وتمكنه من الكتابة المصحفية.

## السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي ( ت 1012هـ )[2]

هو السلطان أبو العباس أحمد المنصور بالله بن أبي عبد الله الشيخ، السعدي الذهبي، رابع سلاطين الدولة السعدية، ولد بفاس سنة 956 هـ استخلفه أخوه عبد الملك على فاس وولاه قيادة الجيوش، ثم انتهت إليه الإمرة وكانت بيعته بعد فراغه من قتال النصارى بوادي المخازن، سنة 986 ه بعد وفاة أخيه، عرف بسياسته الحكيمة وشجاعته وحزمه،وتوسعت دولته لتشمل تيكورارين، وتوات، والسودان،وكان معدودا من العلماء، متضلعا بالفنون، له تآليف منها كتاب في السياسة سماه "المعارف في كل ما تحتاج إليه الخلائف"، وكتاب في الأدعية والأذكار سماه "العود أحمد"،توفي بفاس سنة 1012 هـ ونقل إلى مراكش ودفن بمقابر السعديين.

**<u>في ذكر خطه ومنتسخاته:</u>**

عُرف هذا السلطان ببراعة خطه وتميزه وتنوعه، فكان يتقن الكتابة بالخط المغربي والخط المشرقي، ويصف العباس بن إبراهيم السملالي خطه فيقول: **(وقد وقفت على خطه رحمه الله وهو جميل، فقد كتب على الجزء الأول النصف من شرح الدلجي على "الشفا" بخط مشرقي في إلحاقه بحبس والدته على جامع الحرة ونصه: الوقف صحيح، وكتبه بخطه عبد الله ووليه أحمد المنصور بالله أمير المؤمنين بن مولانا أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الشريف الحسني خار الله له بمنه).**[3]

أما في وصف كتابه "العود أحمد" فيقول صاحب روضة الآس: **(وقد رأيت هذا التأليف بخط تأنق فيه صاحبه إلى الغاية عن أمر هذا الخليفة، وتخيل لي أنه لا يمكن أن يوجد له نظير في مضمنه وخطه)**[4]ولم يكن خطه المشرقي أقل جودةمن خطه المغربي، حيث كان يكاتب علماء المشرق كأحسن ما يمكن أن يكتبوا، ومما يذكر في هذا أنه بعث بطاقة بخط يده كتبها بالخط المشرقي لكاتبه أبي عبد الله ابن عيسى يريد كتابا، فبعثه إليه وبعث معه هذين البيتين:

**سقتني كـؤس السـرور دهاقـا خـطـوط أتتني فـي مهرق**

---

- [1]محمد المنوني، **قبس من عطاء المخطوط المغربي**، 32/1 و 51/1.
- [2]أحمد ابن القاضي، **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، دراسةوتحقيق: محمدرزوق،مكتبةالمعارفللنشروالتوزيع-الرباط، 1986هـ. 242/1 وما بعدها. والناصري، **الاستقصا**، 89/5 وما بعدها.ومحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني،**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني،وحمزة بنمحمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بنعلي الكتاني،دار الثقافة للنشروالتوزيع،مطبعة النجاح-الدار البيضاء. 280/3. وأحمد بن محمد المقري، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**،المطبعة الملكية-الرباط،الطبعة الثانية 1983/1403. ص: 57-58. وابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، 114/1-116.
- [3]السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، 272/2-273.
- [4]المقري، **روضة الآس العاطرة الأنفاس**، ص: 58.

**رأت كف أحمد في الغرب بحـرا فجـاءت إليـه مـن المشـرق**[1]

كما وصف قاضي القضاة المالكية بالديار المصرية بدر الدين القرافي خطه في إجازته له فقال: (**..حسبما نطق به مرسومه العلي وأبانه مكتوبه الجلي بعبارات جليلة النظم، بديعة الرسم فاخرة..**)[2]

ومن اللافت للانتباه أن نجد هذا السلطان إضافة إلى اتقانه للخطين المغربي والمشرقي قد اخترع خطا للتراسل السري، ذا أشكال بعدد حروف المعجم سمي (الزمام)، مزج فيه الخط المتعارف،حتى إذا سقط في يد عدو لميعرف مضمونه لغموضه، وقد علمه بعض أولادهوجماعة من رجال دولته الذين يثق بهم، فتراسلوا بهذا الخط معهمن مختلف الأقاليم ومن الخارج أيضا.[3]

**خـــاتمـــــة:**

لقد تعرفنا من خلال ما أوردناه من اشتغال سلاطين المغرب بممارسة الخط والكتابة والنسخ، على نشاط من أنشطة حياتهم التي لم يسلَّط عليها كثير من الضوء،فرغم انشغالهم بأمور الحكم السياسية والحرب، إلا أن ذلك لم يكن مانعا لهم من أن يجدوالأنفسهم أوقاتالكتابة الربعات القرآنية، ونسخ الكتب الحديثية، وتأليف الكتب ونسخها، إضافة إلى المكاتبات والمراسلات التي كانوا يخطونهابأناملهم، كما تبين لنا إجادتهم لأنواع من الخطوط العربية، سواء المغربية منها أو المشرقية، وضبطهم للكتابة المصحفية، ومعرفتهم بأنواع الأمدة وطريقة إعدادها، وغيرها من الإشارات الدالة على إتقانهم لفن الخط العربي.

وإذ نصل إلى الخاتمة، فلا شك أن سلاطين المغرب الذين عرفوا بحسن الخط وجماله أكثر مما أثبتناه في هذه السطور، لذا وجب لفت انتباه الباحثين في التاريخ والتراث المغربي عموما، والمهتمين بفن الخط العربي على وجه الخصوص، إلى مزيد من البحث عن دور سلاطين المغرب في الرقي بالخط العربي، إن على مستوى الممارسة أو على مستوى العناية والاهتمام بهذا الف

---

[1] - الناصري، **الاستقصا**، 5/188-189. وانظر محمد الصغير المراكشي،**نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**،تصحيح: هوداس،مطبعة بوردين وشركاؤه بمدينة انجي، 1888م. ص: 119. ومحمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**،منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،مطبعة فضالة 1978م. 2/387

[2] - أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، دراسة وتحقيق: عبد الكريم كريم،مطبوعات وزارةالأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية. ص: 273.

[3] - الناصري، **الاستقصا**، 5/188. ومحمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، 2/387-388.

# بعثة خوليو ثيربيرا بابييرا الاستكشافية إلى الصحراء المغربية سنة ١٨٨٦م: قراءة في الدوافع والسياق التاريخي



عادل جاهل
باحث في تاريخ الجنوب المغرب

**مقدمة عامة:**

تهدف هذه الورقة إلى تسليط الضوء على جانب من الرحلات الاستكشافية الإسبانية إلى دواخل الصحراء الغربية المغربية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، من خلال نموذج بعثة المهندس والضابط الإسباني خوليو ثيربيرا بابييرا (Julio Cervera Baviera) تحت إشراف ودعمالجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية بمدريد (la sociedad española de geografía comercial).

وتشتمل هذه الورقة، على مجموعة من المباحث، حاولنا من خلالها، التعريف بهذه البعثة، وأعضائها، وسياقها التاريخي، وأهم الأهداف التي جاءت من أجلهاإلى الصحراء، ثم أهم الدراسات التي أنتجتها خلال مقامها هناك.

تلكم إذن، هي أهم المحاور التي سنتطرق إليها في قادم سطور هذه الدراسة.

**1) ـ تعريف البعثة:**

تكونت بعثة خوليو ثيربيرا بابييرا (Julio Cervera Baviera) من ثلاثة أفراد من جنسية إسبانية، فبالإضافة إلى رئيس البعثة خوليو ثيربيرا بابييرا السابق الذكر، نجد كل من: الجيولوجي فرانسيسكو كيروغا إي رودريغيث (Francisco Quiroga y Rodríguez) والقنصل والمستعرب فيليبي ريثو راميريث (Felipe Rizzo Ramírez)، كما رافق البعثة جنديين مغربيين من منطقة الريف أحدهما اسمه "**الحاج عبد القادر**"[1] الملقب بـ "الأخضر"، إضافة إلى مترجمين وأدلاء من الصحراء، وتحديدا من قبيلة أولاد أبي السباع، وهم: سيدي البشير وعبد الودود.

ومن الواجب الإشارة في هذا السياق، إلى أن رحلة خوليو ثيربيرا بابييرا وأعضاء بعثته إلى دواخل الصحراء في صيف 1886م تم تنظيمها بدعم وطلب من الجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية بمدريد (la sociedadespañola de geografíacomercial).

**2) ـ أهداف البعثة:**

أما أهداف البعثة فهي لا تخرج على ثلاثة أهداف رئيسة، وهي:

[1] - Manuel (Fernández Rodríguez), **España y Marruecos en los primeros Años de la Restauración (1875-1894)**, Madrid: Consejo Superior de Investigaciones científicas, Centro de Estudios Históricos, 1985, p.187.

-**أهداف علمية**:غايتها القيام بمجموعة من الأبحاث والدراسات الجغرافية حول المنطقة الواقعة بين الرأس الأبيض (Cabo Blanco) ورأس بوجدور (Cabo Bojador) بما في ذلك منطقة أدرار التمر(Adrar-Ettmar)[1].

-**أهداف تجارية**:غايتها إبرام اتفاقيات تجارية مع شيوخ وزعامات المنطقة.

-**أهداف سياسية**:غايتها الحصول على اعتراف من شيوخ القبائل الصحراوية على إسبانية الأراضي **"الواقعة بين الرأس الأبيض (Cabo Blanco) ورأس بوجدور (Cabo Bojador)، ومن المحيط الأطلسي إلى سبخة أجل (...) ومنطقة أدرار التمر"**[2]. وهو ما تم فعلا.

**3) ـ التعريف بأعضاء البعثة:**

**3-1) ـ خوليو ثيربيرا بابييرا (Julio Cervera Baviera)**

ولد البروفيسور والمهندس والضابط الإسباني خوليو ثيربيرابابيِّيرا (Julio CerveraBaviera) في 26 يناير 1854م ببلدة سيغوربي (Segorbe) احدى بلدات مقاطعة كاستيُّون (Castillon) الواقعة في مدينة بلنسية (Valencia) شرق إسبانيا. والده هو الصيدلي الدُّون ميغيل ثيربيراإيرناندیث (D. Miguel Hernández)، أما والدته فهي الدُّونة خوسيفابابيِّيرامانييس (D. JosefaBavieraMañes)[3].

تلقى خوليو ثيربيرا تعليمه الأولي والاعدادي في مسقط رأسه (بلدة سيغوربي)، وبعد إتمام دراسته فيها بنجاح وتفوق سيغادرها في خريف 1871م نحو مدينة بلنسية لاستكمال دراسته الجامعية في جامعة بلنسية (Universidad de Valencia)، حيث سيختار شعبة العلوم الفيزيائية والطبيعية[4]، وذلك لتميزه وعشقه لها. ورغم التفوق الذي أظهره خوليو ثيربيرا بابييرا أثناء دراسته الجامعية، والتي حصل خلالها على أفضل الدرجات العلمية. بيد أنه سيغادرها في 01 يوليوز 1874م أي بعد سنتين من التكوين رغبة منه في الالتحاق بأكاديمية الخيالة (La Academia De Caballería)[5] بمدينة بلد الوليد. وفي نونبر 1875م سيتخرج خوليو ثيربيرا منها برتبة ملازم (teniente) والأول في دفعته.

ومن جانب آخر، ستقوم الحكومة الإسبانية في عام 1877م بتكليف خوليو ثيربيرا بالقيام برحلة استكشافية إلى المغرب، خلالها سيتمكن من زيارة عدة مدن كفاس والعرائش، وأثناء المدة التي قضاها في المغرب التي تربوا على الشهرين سيجمع خوليو ثيربيرا على إثرها ثروة هائلة من المعلومات والمعطيات التي تهم مختلف الجوانب التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والبشرية للمغرب، ونظرا إلى أهمية هذه المعلومات ستقوم مجموعة من المؤسسات العلمية ودور النشر بنشرها وطبعها، هكذا، سيقوم خوليو ثيربيرا بنشر تقييداته ومشاهداته في فاس والعرائش في مؤلف جامع تحت عنوان: "رحلة إلى داخل المغرب"(Expedición al interior de Marruecos). وقد تولت طبعه ونشره مطبعة ميرابيت (ImprentaMirabet) ببلنسية في سنة 1884. وفي نفس السنة ستقوم "المجلة العلمية العسكرية ببرشلونة" (RevistaCientífico-Militar) بطبع مؤلفه الموسوم بـ "الجغرافيا العسكرية للمغرب" (Geografíamilitar de Marruecos). كذلك

---

[1]- Julio (CerveraBaviera),**Viaje De Exploración Por El Sahara Occidental: EstudiosGeográficos**, Madrid: Boletín De La SociedadGeografía De Madrid, T.XXII, 1887, p.11.

[2]- Ibid.

[3]- Elena (Martínez Oyarzabal),"Vida Militar de Julio Cervera", Artículo en: **Julio Cervera y Telegrafía Sin Hilos**, Madrid: Imprenta Ministerio de Defensa, Abril 2015, p.36.

[4]- Ibid. p.37.

[5]- Pablo (Ignacío de Dalmases y de Olabarría), **"El Sáhara Occidental En El BibliografíaEspañola y El Discurso Colonial"**, [Tesis Doctoral Sin publicar], Barcelona: Universidad Autónoma de Barcelona, Departamento de Historia Moderna y Contemporánea, 2012-2013, p.174.

ستقوم نفس المجلة بطبع دراسة ثانية له سنة 1885م تحت عنوان: "رحلة جغرافية عسكرية إلى دواخل المغرب وسواحله" (Expedición geográfico-militar al interior y costas de Marruecos). ورغم أهمية هذا الكتاب من الناحية العسكرية والجغرافية نجد أنه **"لا يتفق مع المهمة التي طلبها المبعوث العسكري"**[1] من خوليو ثيربيرا على حد تعبير الباحث خورخي بينا (Jorge Pina).

وفي عام 1878م، سيلتحق خوليو ثيربيرابابييرا بأكاديمية الهندسة العسكرية (La Academia De Ingenieros Del Ejército) بمدينة غوادالاخارا (Guadalajara) التابعة لمقاطعة كاستيا لا مانتشا (Castilla La Mancha)، حيث سيتخرج منها بعد أربعة سنوات من التكوين المستمر برتبة ملازم (teniente) في 19 يوليوز 1882م.

وإلى جانب ما سبق، سيغادر خوليو ثيربيرا بابييرا إسبانيا مجددا في غشت 1884م نحو المغرب للقيام برحلة استكشافية سرية ثانية بطلب من الجيش الإسباني (El EjércitoEspañol)[2]، وعلى إثرها سيتمكن من زيارة مجموعة من المدن الساحلية كسبتة وتطوان وطنجة والقصر الكبير والعرائش وأصيلا منتحلا صفة طبيب، ومتنكرا في زي عربي مسلم قادم من تونس، كما أطلق على نفسه اسم عمر الشريف (Omar Scherif)[3]. خلالها تمكن من جمع جملة من المعلومات الثمينة عن الجيش المغربي من حيث بنيته وتركيبته ونقاط قوته وضعفه. ونظرا لأهمية هذه المعلومات الاستخباراتية ستعمل المجلة العلمية العسكرية ببرشلونة (Revista Científico-Militar) ـ كما رأينا ذلك سابقا ـ إلى طبع تقييداته وملاحظاته في كتاب يحمل عنوان: "رحلة جغرافية عسكرية إلى دواخل المغرب وسواحله" (Expedición geográfico-militar al interior y Costas de Marruecos). بل أكثر من ذلك نجده يدعو الحكومة الإسبانية إلى احتلال المغرب خاصة بعد التمردات الخطيرة التي عرفها الأخير في عهد السلطان مولاي الحسن الأول (1873-1894م).

وفي عام 1886م، سيترك ثيربيرا **"العمل العسكري [للاشتغال] في مجال الطباعة في برشلونة"**[4]، وفي هذه المدة، سيتوصل خوليو ثيربيرا بدعوة من طرف الجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية بمدريد (la sociedadespañola de geografíacomercial) للقيام برحلة استكشافية عاجلة إلى الصحراء الأطلنتية بغية عقد اتفاقيات تجارية مع ساكنة المنطقة وشيوخها لضمان **"الامتيازات التجارية لإسبانيا"**[5] على حد تعبير رئيس الجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية فرانسيسكو كوييُّو(Francisco Coello)، خاصة بعد تنامي مشاريع البريطاني دونالد ماكينزي (Donald Mackenzie) صاحب الوكالة التجارية (Port Victoria) في ساحل طرفاية، والتي اعتبرتها الجمعية التجارية الإسبانية خطرا على إسبانيا وعلى مصالحها الحيوية في المنطقة. لذلك ستعلن إسبانيا بسرعة في 26 دجنبر 1884م فرض **"حمايتها على السواحل الجنوبية الواقعة بين رأس بوجدور في الشمال والرأس الأبيض في الجنوب"**[6].

وفور عودة خوليو ثيربيرا من رحلته إلى دواخل الصحراء الأطلنتية وبعد تأدية مهمته الدقيقة بنجاح، سيتم مكافأته بتعيينه ملحقا عسكريا بالمفوضية الإسبانية بطنجة (AgregadoMilitar en Legación de España en

---

[1]- Jorge (Pina), "Julio Cervera Baviera: Apuntes biográficos", Artículo en: **Conmemoración de la expedición científica de Cervera-Quiroga-Rizzo al Sáhara Occidental en 1886**, [ed. José Antonio Rodríguez Esteban], Madrid: Consejo Superior de Investigaciones Científicas, 2008, p.177.

[2]- José (Antonio Rodríguez Esteban), "julio cervera: la visión africana de un explorador del desierto", Artículo en: **Julio Cervera y Telegrafía Sin Hilos**, Op.Cit. p.18.

[3]- Ibid.

[4]- محمد (سبى)، **الصحراء بعيون إسبانية: رحلات واستكشافات 1864-1914**، الرباط: مطابع الرباط نت، ط.1، 2017، ص.57.

[5]- Julio (Cervera Baviera), Op.Cit. p.02.

[6]- بلحداد، م.س. ص.ص.46-47.

Tánger)[1]. بيد أنه في سنة 1890م سيتم إقالته من منصبه إثر تصريحاته اللاذعة في حق وزير الدولة الإسباني آنذاك أثناء المحاضرة التي ألقاها في المركز العسكري بمدريد تحت عنوان: "الديبلوماسية والحرب في المغرب" (La diplomacia y la guerra en Marruecos)[2]، ونتيجة لانتقاداته المستمرة والمتكررة لسياسة حكومة مدريد في المغرب[3]. ستقوم هذه الأخيرة بإصدار أمر اعتقاله، وهكذا، سيتم سجنه في يناير 1891م **"ستة أشهر بسجن سانتا بربارا (el Castillo de Santa Bárbara)"**[4] بمدينة أليكانتي (Alicante) شرق إسبانيا.

وفي عام 1893م، سيتم تعيين خوليو ثيربيرا مساعدا للجنرال ماثياسكاسادو (el General MacíasCasado) في كل من **"مليلية وجزر الكناري وبلد الوليد وبويرتو ريكو"**[5]. كما شارك مع نفس الجنرال في الحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1898م، وبعد انقضاء الحرب أصبح خوليو ثيربيرا مشهورا خاصة عندما نشر كُتيبا بعنوان "الدفاع عن بورتوريكو"( La defensa de Puerto Rico)،الذي هاجم فيه المتطوعين البورتوريكيين (los VoluntariosPuertorriqueños) الموالين للجيش الأمريكي آنذاك، رغبة منه في الحصول على حظوة عند الجنرال السابق الذكر، وهو ما حصل فعلا.

بالرغم من كل هذا، سيتخلى خوليو ثيربيرا عن وظيفته العسكرية رغم دربته ودرايته الواسعة بها؛ حيث سيكرس كل وقته وجهده لمجال الاختراع والابتكار والتدريس والتأليف، لكل ذلك، سيفتح خوليو ثيربيرا**"أكاديمية للدراسات التقنية ببلنسية، والتي ستنشر الموسوعة العلمية لهندسة الميكانيك الكهربائية ثم مجلة الكهرباء والميكانيكا"**[6]، ثم بعد ذلك سيتوج مساره الطويل ببراءات اختراع في منتهى الأهمية خاصة في مجال التلغراف اللاسلكي (Telegrafía sin hilos)، وكذلك في مجال الإذاعة، وبفعل هذه الانجازات، سيتمكن خلالها ثيربيرا من تحقيق شعبية كبيرة في المجتمع الإسباني، وعلى إثرها **"انتخب نائبا في الكورطيس سنة 1908"**[7].

توفي خوليو ثيربيرا بابيِّيرا في 24 يونيو 1927 بالعاصمة الإسبانية مدريد بعد عمر مديد ـ تجاوز ثلاثة وسبعين سنة ـ قضى جله في البحث والمغامرة والحروب خدمة للتاج الإسباني ومصالح إسبانيا العليا.

**3-2) ـ فرانسيسكو كيروغا إي رودريغيث ( Francisco Quiroga y Rodríguez)**

ولد العالم والجيولوجي الإسباني فرانسيسكو كيروغا إي رودريغيث (Francisco Quiroga y Rodríguez) في سنة 1853 بمدينة آرانخويث (Aranjuez) الواقعة في الجزء الجنوبي من العاصمة مدريد.

ينتمي فرانسيسكو كيروغا إلى عائلة ميسورة، تتبوأ مكانة اجتماعية وعلمية هامة ومرموقة. والده كان بيطريا وأستاذا في علم التشريح بالمدرسة البيطرية لمدريد (Escuela de Veterinaria de Madrid la)[8]. وبإيعاز من والده سيلتحق كيروغا بكلية العلوم بالجامعة المركزية لمدريد سنة 1868-1869م لدراسة الصيدلة والعلوم الطبيعية **"تخصص البتروغرافيا [علم الصخور] وعلم**

---

[1]- Pablo (Ignacío de Dalmases y de Olabarría), Op.Cit. p.175.

[2]- José (Antonio Rodríguez Esteban), Op.Cit. p.31.

[3]- Pablo (Ignacío de Dalmases y de Olabarría), Op.Cit. p.175.

[4]- Ibid.

[5]- Ibid.

[6]- Ibid.

[7]- إبراهيم (بوطالب)، مادة "خوليو ثربيرا بابييرا"، ضمن **معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى**، الرباط: منشورات دار الأمان والجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط.1، 1435-2014، ج.26، مل.3، ص.215.

[8]- José (Luis Barrera Morate), "Francisco Quiroga Rodríguez (1853-1894)", **Artículo en: Conmemoración de la expedición científica de Cervera-Quiroga-Rizzo al Sáhara Occidental en 1886**, Op.Cit. p.153.

**المعادن"**[1]، ويخبرنا الباحث خوسي لويس بارِّيراموراتي بأن فرانسيسكو كيروغا سيتأثر بدروس أستاذه العالم الجيولوجي المعروف خوسي ماكفيرسون (José Macpherson) ثم بدرجة أقل البروفيسور سلبادوركالديرون أرانا (Salvador Calderón Arana)، والبروفيسور أغوستوغونثاليث دي لينياريس (Augusto González de Linares)[2].

وفي عامي 1878-1879م، سيتحصل كيروغا على التوالي على شهادة الدكتوراه في التخصصات السابقة، الشيء الذي أهله للتوظيف في متحف التاريخ الطبيعي لمدريد (el Museo de Historia Natural de Madrid)[3]، حيث أوكلت له مهمة التدريس فيه ثم دراسة وتصنيف المعادن والصخور التي جلبتها آنذاك بعثة إسبانية من المحيط الهادي (la Expedición del Pacífico) سنة 1862م.

وفي سنة 1886م، سيتوصل فرانسيسكو كيروغا بدعوة من طرف الجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية بمدريد (la sociedadespañola de geografíacomercial) للمشاركة في البعثة العلمية الاستكشافية المزمع إرسالها إلى الصحراء المغربية وتحديدا منطقتي وادي الذهب والساقية الحمراء. وبعد قبوله المشاركة في هذه المغامرة المحفوفة بالمخاطر رفقة المهندس والضابط خوليو ثيربيرا بابيِّرا (رئيس البعثة) والقنصل والمستعرب فيليبي ريثو راميريث، حيث سَتُوكِلُ له الجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية مهمة مفادها **"دراسة مفصلة لكل المعطيات المتعلقة بالتضاريس والغطاء النباتي والحيواني، وكل ما يتعلق بالمناخ، وما تنتجه المنطقة"**[4]؛ أي كل ما له صلة بمجال تخصصه في العلوم الطبيعية والجيولوجية.

وهكذا، أنجز فرانسيسكو كيروغا جملة من الدراسات والأبحاث العلمية الرصينة والقيمة في كافة التخصصات العلمية التي أوكلت له، وهي دراسات تتميز بالدقة العالية، أظهر خلالها كيروغا كفاءاته العلمية المتميزة، حيث تمكن من تصحيح جملة من الأخطاء التي سقط فيها عدد من الرحالة والمستكشفين الذين زاروا الصحراء قبله، رغم الظروف السيئة والقاسية التي عانها هو ورفاقه في فيافي الصحراء المخيفة، لدرجة أصيب هناك في منطقة تيرس بمرض خطير كاد أن ينهي حياته.

وبعد أن أنهى كيروغا مهمته بنجاح في الصحراء، قفل راجعا إلى بلده إسبانيا مزهوا بالنتائج التي حققها هناك هو وأفراد بعثته، حيث وقعوا في 12 يوليوز 1886م على اتفاقيات ومعاهدات عديدة لعل أبرزها مع سلطان أدرار أحمد بن محمد ولد عايدة غايتها **"تسهيل المبادلات التجارية ما بين أدرار والشاطئ الأطلسي"**[5].

وإلى جانب ما سبق، سيترك فرانسيسكو كيروغا المغامرات والرحلات نحو التركيز على الأبحاث وتأليف الدراسات، وعلى إثرها، سيحقق الكثير من النجاحات، حيث يعتبر أول من استعمل الميكروسكوب في **"دراسة البنية البلورية للمعادن"**[6]، وبهذا، حظي كيروغا بشعبية كبيرة وبمكانة رفيعة بين أترابه من الباحثين والعلماء في كل بقاع أوربا الغربية، ليتجه بعد ذلك إلى إنشاء أول قسم أوروبي في علم البلورات في جامعة مدريد المركزية (la Universidad Central de Madrid)، ونتيجة لذلك، انتخب في سنة 1889م عضوا مؤسسا وفاعلا في الجمعية الإسبانية للتاريخ الطبيعي (la Sociedad Española de

---

[1]- Pablo (Ignacío de Dalmases y de Olabarría), Op.Cit. p.175.

[2]- José (Luis Barrera Morate), Op.Cit. p.157.

[3]- Pablo (Ignacío de Dalmases y de Olabarría), Op.Cit. p.175.

[4]- Julio (Cervera Baviera), Op.Cit. p.02.

[5]- محمد (دحمان)، مادة "فرانسيسكو كيروكا"، ضمن **معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى**، الرباط: منشورات دار الأمان والجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط.1، 1435-2014، ج.27، مل.4، ص.552.

[6]- سبى، م.س. ص.59.

Historia Natural)، وقد استمر في منصبه هذا إلى غاية وفاته سنة 1894م[1].

### 3-3) ـ فيليبي ريثو راميريث (Felipe Rizzo Ramírez)

ولد القنصل والمترجم والمستعرب الإسباني فيليبي ريثو راميريث (Felipe Rizzo Ramírez) في 11 مارس 1823م بالعاصمة الليبية طرابلس، فهو ينتمي إلى عائلة مختلطة إثنيا، وذات مكانة اجتماعية محترمة. والده هو خوان باوتيستاريثوسباتارو (Juan Bautista Rizzo Spataro)، وهو من أصول مالطية إيطالية، أما والدته فهي ماريا بالينتينارامريثأورتيز دي ثوغاستي (María Valentina Ramírez Ortiz de Zugasti)، وهي إسبانية من مدريد[2]. كان والده يعمل نائب قنصل (el Vicecónsul) إسبانيا لدى باشا طرابلس.

وقد مكنت إقامة فيليبي ريثو في طرابلس لمدة طويلة من معرفة **"لغة العرب وعاداتهم وفن التعامل والتفاوض معهم"**[3]، الشيء الذي مكنه سنة 1841م من الالتحاق بالسلك الدبلوماسي الإسباني بتونس، حيث سَيُعَيَّن وهو في سن تسعة عشرة سنة نائبا للقنصل الإسباني[4]. ونظير كفاءته الإدارية التي أبان عليها طيلة المدة التي قضاها نائبا للقنصل سيتم ترقيته وتعيينه في منصب وازن هو القنصل العام الإسباني (Cónsul General) بتونس مكلفا بالتفاوض أمام الباي التونسي أحمد الأول[5]، وقد استمر فيليبي ريثو في منصبه إلى غاية حرب تطوان (1859-1860)، حيث تم استدعائه من طرف الحكومة الإسبانية لتجربته وحنكته الديبلوماسية للمشاركة في المفاوضات المغربية الإسبانية عقب الحرب السالفة الذكر.

وفي سنة 1862م، سَيُعَيَّن فيليبي ريثو قنصلا في المفوضية الإسبانية بطنجة بيد أنه سرعان ما سيتم إقالته من منصبه سنة 1866م بسبب **"حادثة اختلاس عرفتها هذه التمثيلية الإسبانية بالمغرب، حيث تمت سرقة مبالغ مالية من الغرامة الحربية المتعلقة بحرب تطوان والتي كانت السلطات القنصلية الإسبانية في طنجة قد استخلصتها من المغرب وعهد بها لفيليبيريثو"**[6]، في هذه المدة ستعرف حياة ريثو تقلبات عدة عانى خلالها الأمرين هو وعائلته، فرغم تبرئة القضاء الإسباني فيليبي ريثو من تهمة الاختلاس والسرقة كل ذلك لم يشفع له في العودة إلى منصبه مرة أخرى، الشيء الذي جعله يغادر طنجة مع عائلته نحو سبتة التي مكث فيها ست سنوات كاملة عاش خلالها أزمة عصبية لدرجة لم يعد لديه ما ينفق على أسرته.

وفي سنة 1886م، سيتم دعوة فيليبي ريثو راميريث للمشاركة في الرحلة الاستكشافية المنظمة من طرف الجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية بمدريد (la sociedadespañola de geografíacomercial) إلى الصحراء المغربية رفقة المهندس خوليو ثيربيرا والجيولوجي فرانسيسكو كيروغا، وقد أوكلت له الجمعية السالفة الذكر مهمة الترجمة لأعضاء البعثة مع ساكنة الصحراء وزعاماتها المحلية. وبعد نجاح مهمة فيليبي ريثو في الصحراء ستوكل له الجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية مهمة أخرى مفادها ترجمة كل نصوص المعاهدات والأوفاق التي تم توقيعها مع شيوخ القبائل الصحراوية، لعل أبرزها الاتفاقية التي وقعها القنصل خوسي ألباريثبيريث (José Álvarez Pérez) في 10 ماي 1886م ثم اتفاقية خوليو ثيربيرا مع شيوخ أدرار التمر المعروفة بـ "معاهدة إيجل".

ونظير هذه الأعمال المهمة التي قام بها فيليبي ريثو أثناء الرحلة وبعدها، ستكافئه الحكومة الإسبانية وبتوسط من الجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية في شخص عضوها الفاعل خوليو ثيربيرا بتعيينه سنة 1888م قنصلا عاما **"من**

---

[1]- Pablo (Ignacío de Dalmases y de Olabarría), Op.Cit. p.176.

[2]- Jorge (Pina), "Felipe Rizzo Ramírez: Apuntes Biográficos", Artículo en: **Conmemoración de la expedición científica de Cervera-Quiroga-Rizzo al Sáhara Occidental en 1886**, Op.Cit. p.207.

[3]- Pablo (Ignacío de Dalmases y de Olabarría), Op.Cit. p.176.

[4]- Jorge (Pina), Op.Cit. p.209.

[5]- Ibid.

[6]- سبق، م.س. ص.60.

**الدرجة الأولى بمدينة أرليانش الجديدة ( Nueva Orleans) بالولايات المتحدة الأمريكية"**[1]، بيد أنه سرعان ما سيغادر منصبه بعد سنة ونصف من تعيينه، حيث سيحال على التقاعد، وفي المدة ما بين 1888 و1898م سيشتغل فيليبي في عدة مناصب منها وكيل أمريكا والبرتغال في مدينة فاس، حيث سيستمر في وظائفه هاته إلى غاية اندلاع الحرب الإسبانية الأمريكية في عام 1898[2]. ونتيجة هذه الحرب سيغادر فيليبي ريثو فاس نحو سبتة، حيث بقي فيها إلى غاية وفاته في 12 دجنبر 1908م عن عمر يناهز 85 سنة[3].

## 4) ـ ظروف رحلة بعثة خوليو ثيربيرا بابييرا إلى الصحراء المغربية:

لا مراء في أن رحلة بعثة خوليو ثيربيرا بابييرا إلى الصحراء المغربية رفقة الجيولوجي فرانسيسكو كيروغا والمستعرب فيليبي ريثو راميريث لم يكن غرضها الأساسي دراسة المنطقة دراسة علمية وجغرافية كما ادعى ذلك خوليو ثيربيرا رئيس البعثة[4]، وإنما كان هدفها الأول والأخير هو **"ضمان الامتيازات التجارية لإسبانيا"**[5] على حد تعبير رئيس الجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية فرانسيسكو كوييو (Francisco Coello)[6]. وذلك عبر الدخول في اتفاقيات ومعاهدات تجارية مع شيوخ القبائل الصحراوية.

ولتحقيق هذه الأغراض الاستعمارية وغيرها، ستقوم الجمعية السالفة الذكر بدعم من الحكومة الإسبانية في مدريد بتنظيم رحلة استكشافية إلى الصحراء المغربية وتحديدا منطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، وقد أوكلت مهمة ترأسها إلى الضابط والمهندس خوليو ثيربيرا، وقد خصصت الجمعية لذلك ميزانية مهمة في سبيل تحقيق ما كانت تخطط له. وهو بسط نفوذ إسبانيا في سواحل الأقاليم الجنوبية.

كما أشرنا سابقا، سيترأس وفد هذه البعثة المهندس خوليو ثيربيرا بابييرا، وعن ظروف قبوله هذه المهمة، قوله في المحاضرة التي ألقاها في رحاب الجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية بمدريد أثناء انعقاد دورتها العادية في 02 نونبر 1886م ما يلي: **"كنت أعمل في برشلونة بهدوء، وأنا أقوم بإدارة بعض أوراش التصوير والطباعة إلى أن فوجئت برسالة هامة، وهذه بعض الفقرات منها، سأسمح لنفسي بقراءتها: السيد الدون خوليو ثيربيرا بابييرا، سيدي العزيز:ترغب الجمعية التجارية التي أترأسها بدعم من الحكومة الإسبانية، في القيام برحلة استكشافية إلى الصحراء المغربية، وإذا كان ذلك ممكنا فهي ستكون في شهري مارس وأبريل المقبلين.ووفقا لخطتي، سيتكلف رئيس البعثة بالجانب الطبوغرافي وتحديد بعض النقاط والإحداثيات الفلكية بشكل دقيق ومفصل، بالإضافة إلى ذلك، سيقوم بجمع كل الأخبار والبيانات عن تلك المنطقة مع القيام بالدخول في اتفاقيات مع الأهالي، وذلك من أجل ضمان الامتيازات التجارية لإسبانيا.وإذا كان ذلك ممكنا، سوف يصاحبه أستاذ في العلوم الطبيعية للقيام بدراسة مفصلة عن كل المعطيات المتعلقة بالتضاريس والغطاء النباتي والحيواني والمناخ، وكل ما تنتجه المنطقة، وغيرها من الأمور.على أي حال، سيكون هناك شخص آخر**

---

[1] - نفسه، ص.61.

[2] - الحرب الأمريكية الإسبانية (la Guerra hispano-estadounidense): هي حرب خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد إسبانيا في عام 1898م لمناصرة الثوار الكوبيين الراغبين في التحرر من نير الاحتلال الإسباني، هذه الحرب أسفرت عن هزيمة الإسبان وتحرر كوبا، كما أسفرت أيضا عن فقدان إسبانيا مجمل مستعمراتها في أمريكا اللاتينية وأوقيانوسيا وآسيا.

[3] - Jorge (Pina), Op.Cit. p.207.

[4] - Julio (Cervera Baviera), Op.Cit. p.11.

[5] - Ibid. p.02.

[6] -ولد فرانسيسكو كوييو (Francisco Coello) في 26 أبريل 1822م بمدينة خاين (Jaén)، وتوفي في 30 شتنبر 1898م بمدريد (Madrid). يُعتبر كوييو وبشهادة مؤرخي القرن التاسع عشر من أبرز رسامي الخرائط الجغرافيةوالطبوغرافيةالذين أنجبتهم إسبانيا خلال ذلك القرن. ونظرا لذلك، سينتخب كوييو رئيسا للجمعية الملكية الإسبانية للجغرافيا (la Real Sociedad Geográfica) بين عامي 1876 و1878م. للمزيد من التفاصيل حول هذه الشخصية، ينظر:

Manuel (Silva Suárez) y otros, **Técnica e Ingeniería en España: El ochocientos profesiones e instituciones civiles**, Zaragoza: Prensas Universitarias de Zaragoza, Real Academia de Ingeniería, Institución Fernando el Católico, p.641.

**يجيد اللغة العربية كتابة وقراءة، والذي يمكن أن يكون أوروبيا أو أحدا من أهالي المنطقة شريطة تمكنه من اللغة الإسبانية.سوف تبدأ الرحلة من وادي الذهب في اتجاه سبخة إيجل، إذا كنت تجرأ على الذهاب أنا ألتمس منكم إجابتي في أقرب وقت ممكن، وإخباري بكل صدق وصراحة إذا كنتم ترغبون في القيام بهذه الرحلة، وهذا أمر ملح وضروري لتطوير تجارتنا. على أي حال، اغتنم هذه الفرصة بأكبر قدر ممكن.**

**فرانسيسكو كوييو (Francisco Coello)"**[1].

ونتيجة هذه الرسالة واحتراما لشخص فرانسيسكو كوييو رئيس الجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية بمدريد سيقبل ثيربيرا المشاركة في هذه الرحلة العلمية رغم قَسَمِهِ بعدم قبول أي وظيفة في المغرب، في هذا الصدد يقول: **"أقسمت بعدم تولي أي أعمال أخرى في إفريقيا [يقصد المغرب] لكن تقديرا للسيد كوييو الذي يعد بحق شخصية محترمة (...) أغلقت ورشتي في مجال التصوير، واستقليت القطار، ووصلت إلى مدريد (...) امتثالا لأوامر[ه]"**[2].

وهكذا، وفور وصول خوليو ثيربيرا إلى مقر الجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية بمدريد، سيعقد رئيس الجمعية فرانسيسكو كوييو اجتماعا عاجلا بمنزله حضره ثلة من الشخصيات السياسية والعلمية الوازنة بهدف الاستشارة معهم قبل الشروع في الإبحار نحو الصحراء المغربية نظرا **"لمعرفتها العلمية والجغرافية"**[3] المتميزة على حد تعبير خوليو ثيربيرا. وأثناء الاجتماع صدرت آراء عديدة ومتباينة بين مرحب بالفكرة ومتشائم ومترقب لها، في هذا الصدد يقول ثيربيرا: **"كان هناك من أعداء المشروع من تنبأ بنهاية مميتة للبعثة"**[4]، ومن بين الأسباب التي جعلت هؤلاء يُصدرون هذا النوع من الأحكام المسبقة هو إطلاعهم على مجموعة من التقارير التي تفيد بأن المنطقة خطيرة وغير آمنة بسبب كثرة اللصوص وقطاع الطرق وتوحش أهاليها وكراهيتهم للأجنبي ولكل غريب مسيحي، إضافة إلى أخطار الطريق وطول مدة الرحلة وأهوال المناخ وقساوة الطبيعة التي لا تطاق. لكن خوليو ثيربيرا لم يأبه لهذه المخاطر والتحذيرات، حيث يقول: **"بالنسبة للمخاطر التي تمثلها أهوال المناخ (...) فإني لم أعطي لها أية أهمية خاصة ونحن في حاجة ماسة تقريبا إلى دراسة المنطقة رغم التوقيت الصعب والظروف السيئة للغاية (...) فجيراردورولفز[5] ودوفيغيي[6] وبارت[7] وريتشاردسون[8] ولينز[9]، والعديد من المغامرين الآخرين الذين ولدوا في بلدان عرضية، حيث نجدهم لم يتراجعوا بسبب قساوة المناخ أو مشقته. نحن الإسبان الذين حاربنا وكافحنا في جبال البيريني الجليدية في شمال أوروبا، وكذلك في المكسيك والبيرو، وفي السهول غير الصحية في جزر الأنتيل الساخنة**

---

[1]- Ibid. pp.01-02.
[2]- Ibid. p.03.
[3]- Ibid.
[4]- Ibid.

[5]- ولد جيرارد رولفز (Gerard Rohlfs) في 14 أبريل 1831م في مدينة بريمن (Bremen)، وهو جغرافي ومستكشف، وكاتب ورحالة ألماني له عدة مؤلفات دون فيها مختلف الرحلات التي قام بها إلى المغرب والجزائر. توفي في 02 يونيو سنة 1896م، من أبرز مؤلفاته كتابه الموسوم بـ "تافيلالت". للمزيد حول هذه الشخصية، ينظر: محمد (أبيهي)، **الأطماع الاستعمارية الألمانية في المغرب 1871-1918م**، سلا: مطبعة بني يزناسن، منشورات الزمن، الرباط، سلسلة شرفات، العدد 87، ماي 2017، ص.41.

[6]- ولد هنري دوفيغيي (Henri Duveyrier) في 28 فبراير 1840م بباريس، هو رحالة ومستكشف فرنسي للصحراء الكبرى، اهتم خصوصا بالطوارق، من مؤلفاته البارزة كتابه المعنون بـ "طوارق الشمال". دوفيغيي مات منتحرا في سنة 1892م في غابة قريبة من منزله في سيفر (Sèvres). للمزيد حول هذه الشخصية، ينظر: =
عبد الرحمن (بدوي)،**موسوعة المستشرقين**، بيروت: دار العلم = للملايين، ط.3، 1993، ص.264.

[7]- ولد هاينرش بارت (Heinrich Barth) في 16 فبراير 1821م بهامبورغ، هو رحالة وجغرافي ألماني، زار المغرب ما بين سنة 1845 و1847م بمساعدة من القنصل البريطاني آنذاك دراموندهاي، رحلات عبر بلدان البحر الأبيض المتوسط " :له كتاب تحت عنوان توفي بارت في 25 نونبر ."في السنوات 1845 و1846 و1847 1865م ببرلين.

[8]- ولد الرحالة والمستكشف البريطاني جيمس ريتشاردسون (James Richardson) في 03 نونبر 1809م ببوسطون (Boston على ) الساحل الشرقي من إنجلترا، وتوفي في 04 مارس 1851م بنيجيريا، يعتبر ريتشاردسون من المستكشفين الأوائل للصحراء الكبرى، من مؤلفاته البارزة كتابه الموسوم بـ "رحلة إلى الصحراء الكبرى".

[9]- ولد الرحالة والجيولوجي الألماني أوسكار لينز (Oscar Linz) في 13 أبريل 1848م بلايبزيغ (Leipzig) وتوفي في 01 مارس 1925م بصوب (Sooß) النمساوية. يعتبر لينز أول رحالة أوربي يزور مدينة تندوف المغربية سنة 1880م.

**والحارة، كما هو الحال في السواحل البعيدة من الكونتشينتشينا، وفي المغرب (...) وفي فيرناندو بُو، وفي أمريكا الوسطى، وهي كلها مناطق معروفة بعدم أمنها واستقرارها، إننا لن نعترف أبدا بالأخطار أو المتاعب ثم لنأتي ونتكلم عن الخوف وأن نخشى ما لا يخشاه الفرنسيون والإنجليز والألمان؟ صحيح لقد عانينا من قسوة المناخ الشديد والحار للغاية، كما شربنا أيضا المياه الموحلة والملوثة ثم كافحنا الجوع والعطش وكذا العناصر المتعصبة والعنيفة، ولكننا، ها نحن نعود لتأكيد آرائي الصادرة في الاجتماع الذي عقدناه في منزل السيد كوييو، والتي دفعنا عنها بشدة"**[1].

وبالرغم من كل هذا، انطلقت رحلة البعثة في 10 أبريل 1886م من ميناء مدينة قادس (Cádiz) جنوب إسبانيا حيث كانت الوجهة لاس بالماس (Las Palmas) احدى مدن جزيرة كناريا الكبرى (Gran Canaria)، قبل الوصول إلى هذه المدينة تم التوقف في سبتة بغية اصطحاب المترجم فيليبي ريثو وبعض الجنود المغاربة الموالين للجيش الإسباني في منطقة الريف.

في 07 ماي 1886م، ستصل البعثة للاس بالماس حيث ستقضي فيها بعض الوقت، وفيها سيتم اصطحاب الفرد الثالث في البعثة العالم الجيولوجي فرانسيسكو كيروغا، وفي 12 ماي 1886م ستغادر البعثة لاس بالماس على متن السفينة وادي الذهب (Río de Oro) في اتجاه شبه جزيرة الداخلة (Villa Cisneros)، ويخبرنا الباحث الإسباني بابلو إيغناسيو دي أولاباريًّا في دراسته المتميزة أن أعضاء البعثة شحنوا السفينة قبل إبحارها نحو الداخلة بعدة مواد استهلاكية وأخرى عبارة عن معدات علمية منها: **"مزواة[2]، بوصلتين، كرونومتر، مسدس[3]، بارومتر، ميكروسكوب، عداد الخطى، ترمومتر، وغيرها من الأجهزة"**[4]. وبعد الوصول إلى الداخلة ستقوم البعثة بالتحضير للرحلة الكبرى مدة شهر، خلالها سينجز أفراد البعثة مجموعة من الدراسات والأبحاث الميدانية حول المنطقة.

ومن الواجب الإشارة في هذا السياق، إلى أن أفراد البعثة لقوا جملة من الصعوبات في مختلف المناطق التي حلوا بها لعل أخطرها في دوار الدميسات حيث تعرضوا لمحاولة الاختطاف، يقول ثيربيرا في هذا الشأن: **"في هذا الدوار تعرضنا لمحاولة اختطاف، كما تمت سرقة الطعام والأقمشة والهدايا التي حملناها في أمتعتنا الضخمة على ظهور الجمال"**[5] نفس الشيء سيتعرضون له عند مرورهم على قبيلة أولاد بنسبع، في هذا يقول ثيربيرا: **"في دوار بنسبع اختطفنا وبقينا ستة أيام نكافح بشكل مستمر من أجل السماح لنا بالخروج للسير نحو دواخل الصحراء"**[6]. لكن هذه المدة التي قضوها في الأسر، ستشكل لهم **"فرصة سانحة لدراسة عادات العرب الرحل..."**[7]، إضافة إلى الأسر، واجهت البعثة متاعب ومشاكل أخرى، في هذا العنصر يقول ثيربيرا: **"هناك حيث كان علينا أن نتحمل بصبر وأناة جميع سكان تلك القرية التي تتكون من 22 خيمة، ولا سيما النساء اللواتي شكلن دائرة ضيقة حول خيمتنا مما جعلنا نتعذب بأسئلتهم البسيطة والحمقاء مع مطالبهن وشتائمهن وعاداتهن السيئة، دون أن يسمحوا لنا بأخذ قسط من الراحة خلال الساعات القليلة التي يتركنا فيها الرجال أحرارا"**[8].

وبعد أن حقق أفراد البعثة الأهداف التي جاؤوا من أجلها، غادروا بسرعة نحو الساحل وتحديدا جنوب أوسرد**"في محاولة لتوسيع مجال الدراسة وجمع أكبر كمية من المعطيات"**[9]، وقد وجدوا في **"العبد الأسود معطى الله**

[1]- Julio (Cervera Baviera), Op.Cit. p.03.
[2]- تسمى أيضا بالتيودوليت (théodolite)، وهي آلة تستعمل لقياس الزوايا العمودية والأفقية.
[3]- السدس (Sextant) هي آلة فلكية تستعمل لقياس الزوايا وفي قياس المسافة بين القمر والأجرام السماوية.

[4]- Pablo (Ignacío de Dalmases y de Olabarría), Op.Cit. p.178.
[5]- Ibid. p.05.
[6]- Ibid. p.10.
[7]- Ibid.
[8]- Ibid.
[9]- سبى، م.س. ص.74.

**أحد عبيد العرب"**[1]الذين انضموا إلى قافلة البعثة في دوار الدميسات أفضل مرشد وأفضل مخبر، خاصة وأن الأخير كان مصدر مجموعة من المعلومات والمعطيات التي اعتمد عليها أفراد البعثة العلمية لدرجة قال خوليو ثيربيرا في حقه: **"كان أستاذي المفضل (MiProfesorPredilecto) وبياناته ومعلوماته تستحق الائتمان"**[2].

في 15 غشت 1886م، سيغادر أفراد البعثة العلمية دواخل الصحراء المغربية مزهوين بالنتائج التي حققوها هناك، سالكين في ذلك مسارات ومحطات مختلفة، وهي: الداخلة، جزر الكناري، ميناء قادس، مدريد.

ومن المفيد أن نختم حديثنا عن بعثة خوليو ثيربيرا بطرح سؤال جوهري: هل فعلا حققت هذه البعثة أهدافها التي جاءت من أجلها؟

يقول الأستاذ نور الدين بلحداد الباحث المتخصص في تاريخ الصحراء: **"اعتقد أعضاء الجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية والاستعمارية أنهم قدموا هدية ثمينة إلى حكومتهم في إطار تنافس الدول الأوربية على احتلال سواحل الصحراء المغربية، لكن رئيس الحكومة الإسبانية (Sagasta) كان له رأي مخالف، إذ رفض الإعلان بصورة رسمية عن فرض الحماية الإسبانية على بلاد أدرار"**[3].

**5) ـ قائمة الدراسات والبحوث التي أنجزها أعضاء البعثة حول الصحراء الغربيةالمغربية**

**5-1) ـ خوليو ثيربيرا بابييرا (Julio Cervera Baviera)**

-بعثة إلى الصحراء من وادي الذهب إلى إيجل

(Expedición al Sáhara de Río de Oro á Iyil)

**5-2) ـ فرانسيسكو كيروغا إي رودريغيث ( Francisco Quiroga y Rodríguez)**

-وادي الذهب، هيكل شبه جزيرة وادي الذهب

Río de Oro, Estructura de la Península de )

(Río de Oro

-جيولوجيا وجغرافيا

(Geología y Geografía)

-الصحراء المغربية وسكانها

-مجموعات من الصحراء والكناري: المعادن والصخور والحفريات

Colecciones del Sáhara y de Canarias: )

(Minerales, Rocas, Fósiles

**5-3) ـ فيليبي ريثو راميريث (Felipe Rizzo Ramírez)**

-الصحراء المغربية، إلحاق وحماية

(Sáhara Occidental, Anexión y Protectorado)

**6) ـ قراءة نقدية لنص "رحلة استكشافية عبر الصحراء الغربية" لخوليو ثيربيرا**

إن رحلة خوليو ثيربيرا بابييرا، الذي هو في الأصل محاضرة ألقاها في رحاب الجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية بمدريد أثناء انعقاد دورتها العادية في 02 نونبر 1886م من النصوص الإسبانية التاريخية المهمة عن منطقة الصحراء المغربية، كما أنه يشكل مرجعا ومصدرا لا يستغني عنه أي باحث في تاريخ وثقافة الصحراء المغربية في القرن التاسع عشر الميلادي، رغم طابعه الاستعلائي وخلفياته الكولونيالية المشبوهة.

يتكون كتاب خوليو ثيربيرا السالف الذكر من ثلاثة عشرة صفحة، فرغم صغر حجمه، فهو يحتوي على خلاصات واستنباطات علمية في غاية الأهمية، وهي عبارة عن مشاهدات ومعاينات وتحريات استقاها مباشرة من الميدان وأحيانا أخرى من أفواه الرجال.

استهل ثيربيرا كتابه بفقرة يبرز فيها دواعي إلقاء محاضرته بالقول: **"إن الجمعية الجغرافية في مدريد تَوَدُّ أن أقدم بعض الدراسات الجغرافية التي أجريت خلال**

---

[1]- Julio (Cervera Baviera), Op.Cit. p.12.

[2]- Ibid.

[3]- نور الدين (بلحداد)، **السلطان مولاي الحسن الأول والسيادة المغربية على الأقاليم الجنوبية 1873-1894م**، [تقديم مصطفى الكثيري]، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ط.2، 2016، ص.90.

**رحلتنا الاستكشافية في الصحراء المغربية (...) أود [من خلالها] أن أقدم لكم صورة جميلة مسلية ومفيدة"**[1].

خصص خوليو ثيربيرا الصفحات الأولى من كتابه (ص.ص. 01-04) للحديث عن ظروف مشاركته في البعثة الاستكشافية التي ترأسها إلى الصحراء المغربية في 10 أبريل 1886م برعاية ودعم من الحكومة الإسبانية والجمعية الإسبانية للجغرافيا التجارية بمدريد مبرزا خلالها الصعوبات والمشاكل التي واجهتهم في المناطق التي حلوا بها.

في حين تناول ثيربيرا في بقية الصفحات (ص.ص. 04-13) جوانب من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والديني والسياسي والثقافي للصحراء المغربية، ناهيك عن بعض الإشارات المتعلقة بجغرافية المنطقة، وما تزخر به من إمكانيات اقتصادية وبشرية مهمة.

رغم فوائد الكتاب المتعددة، فهو لا يخلو من تلك النظرة الاستعلائية الكولونيالية، حيث جاء الكتاب بمجموعة من الأحكام المسبقة البعيدة كل البعد عن الموضوعية والعلمية.

**خاتمة عامة:**

من حصيلة ما سبق، يمكن القول أنه، وبغض النظر عن هذا النوع من الكتابة الكولونيالية، فهي تختزن معطيات وإشارات تاريخية واقتصادية واجتماعية هامة ونفيسة ونادرة، خاصة إذا قرئت قراءة علمية ونقدية رصينة وهادئة ومتزنة وبعيدة عن أي خلفية وسلطة إيديولوجية، ونصوص هذه البعثة العلمية لا تخرج عن هذا السياق.

وهكذا، يبدو من الضروري التعريف بهذه الكتابات الأجنبية وتحديدا الإسبانية منها، لكونها أضحت اليوم عملية إيجابية يقتضيها البحث التاريخي الجاد، نظرا لما تحتوي عليه من مساهمات علمية وشهادات تاريخية لا يمكن للمؤرخ المغربي أن يغض الطرف عنها، لا من حيث الحصيلة ولا من حيث القيمة على حد تعبير الأستاذ محمد المنصور[2]. بل أكثر من هذا، نجد أن هذه النوعية من الكتابات، قد أسهمت مساهمة فعالة في بلورة إشكاليات بحثية جديدة لدراسة تاريخ المغرب، وطرح مقاربات تواكب المستحدثات المنهجية والمعرفية[3].

[1]- Julio (Cervera Baviera), Op.Cit. p.01.

[2]- محمد (المنصور)، "الكتابة التاريخية بالمغرب خلال ثلاثين سنة (1956-1986): ملاحظات عامة"، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان: **البحث في تاريخ المغرب: حصيلة وتقويم**، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 14، ط.1، 1989، ص.12.

[3]- محمد (المازوني)، **من قضايا البحث التاريخي: مقدمات أولية**، أكادير: طباعة ونشر سوس، منشورات جامعة ابن زهر، ط.1، 2006، ص.79.

# الرحلة المغربية إلى أوروبا في القرن العشرين: رحلة محمد بن عبد السلام السايح "أسبوع في باريس 1922م" نموذجا



عز الدين شعوب
طالب باحث في
تاريخ المغرب

**مـــقـــــدمـــة:**

تعتبر الرحلات من المصادر اللاإرادية ذات أهمية كبيرة لدى المؤرخين، نظرا لما تتضمنه من معلومات متنوعة ومختلفة، إلا أن الاشتغال على الرحلة تم الاقتصار فيه على توظيف نصوصها كمكمل للمصادر الاصلية، دون تعميق البحث في مضامينها، وربط هذه المضامين بالسياقات التاريخية التي أفرزتها[1]، خاصة أن السياقات كانت محددا أساسيا في إنتاج خطاب الرحالات بشكل عام، والرحلات التي زار مدونوها أوروبا وكتبوا مشاهداتهم وتمثلاتهم حولها بشكل أخص. وبالتالي شكلت هذه الرحلات نافذة مهمة للاطلاع والتعرف على مجريات الاحداث وجديد المستحدثات بأوروبا في نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م. وفي هذا الاطار تندرج رحلة محمد بن عبد السلام السايح الذي زار أوروبا سنة 1922م، ودون مجريات رحلته في تقييد سماه «أسبوع في باريز».

تميزت هذه الرحلة، عن سابقاتها من الرحلات المغربية، التي توجهت الى أوروبا، في القرن 19م وبداية القرن 20م. سواء من حيث السياق التاريخي الذي يؤطرها، أو من حيث شخصية التي انتجتها، وكذلك من حيث مضامينها المتنوعة. إذ قدمت الرحلة، المدنية الأوروبية ومنجزاتها في ميدان الحضارة بشكل لم يسبق له مثيل. فالإعجاب والانبهار لا يكاد يخلوا من كل صفحات «أسبوع في باريس»[2]، معوضة بذلك الاستهجان والاحتقار للآخر، الذي طبع الرحلات المغربية الى أوروبا خلال القرن 19م.

وقد ساهم السياق التاريخي، الذي أتت فيه رحلة السايح الى فرنسا، في تغير خطاب الرحلة المغربية، من الرفض والانكار للمستحدثات الأوروبية، وتعال للأنا. الى القبول بالتجاوز بعد أن أصبح واقعا مع دخول الاستعمار الفرنسي الى المغرب، وفرض نظام الحماية عليه سنة 1912م. وبالتالي أخذت الذات في القبول بالأمر الواقع، بل والاكثر من ذلك بدأت في التعامل مع المستعمر.

وبالإضافة الى السياق التاريخي ساعدت الخلفية الثقافية للسايح في انتاج خطاب منفتح حول الاخر، حيث يعد السايح من "النخبة المغربية" المتجاوبة مع المستعمر،

---

[1]- عبد المجيد بيهني، «البعد التاريخي في نص رحلة بن جبير: المنهج والتجليات»، ضمن **الابعاد التاريخية والانتروبولوجية في مصنفات الرحلة**، مراجعة وتنسق عبد المجيد بيهني وأحمد مكاوي، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية بالجديدة، دار أبي رقراق، الطبعة الأولى، 2017. صص19-38 (بتصرف)

[2]- محمد بن عبد السلام السايح، **أسبوع في باريس 1922**، تحقيق سليمان القرشي، عن دار السويدي للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 2004.

والتي لم ترى حرجا في التعامل مع فرنسا. كما لم ترى فيها الاستعمار والاحتلال فقط، وإنما فرنسا القيم الحضرية والعلوم، والتكنولوجيا، وقد كان للسياسة التي اتبعها أول مقيم عام بالمغرب «الجنرال ليوطي» - السياسة الاسلامية/الاهلية-، والمصالح الشخصية لبعض "النخب" دور بارز في تكون هذا الانفتاح[1].

فالسايح نفسه يدعوا للاستفادة من العلوم التي أتت بها فرنسا وذلك خلال محاضرة ألقاها بمعهد الدراسات العليا حول اهمية العلم إذ يقول فيها «**هذا وقد انهارت علينا علوم الارض من كل سبب، ونسلت الينا علوم الأولين والاخرين من كل حدب (...) وليست تلك العلوم بدخيل فينا ولا أجنبية عنا لا والله، علوم آبائنا (...) أفلا نسترجع سالف مجدنا وأثار أجدادنا بهمتنا وجدنا**»[2].

ومن المؤشرات الدالة على العلاقة الجيد التي تجمعه بإدارة الحماية ايعاز هذه الاخيرة للسايح مهمة تأليف كتاب خاص بطلبة المدارس الثانوية سماه ب «**المنتخبات العبقرية لطلاب المدارس الثانوية». وذلك بإشارة من المستعرب الاديب الموسيو نيجيل مدير مدرسة الرباط الثانوية الاسلامية**»[3]، وهو تأليف لن يخرج بالضرورة عن تصور الحماية الفرنسية للتعليم بالمغرب.

إن دعوة السايح للأخذ بعلوم فرنسا وآدابها، وعلاقته برجالات الحماية يدفعنا الى التساؤل عن مدى انعكاس هذه المواقف في نص رحلته الى فرنسا؟ وكيف قدمت شخصية من مغرب الحماية بلاد المستعمر وحضارته؟

**أولا:التعريف بالمؤلف وتقديم للمؤلف:**

**1.التعريف بمحمد بن عبد السلام السايح.**

ولد محمد بن عبد السلام السايح بالرباط، سنة 1892/1891م، ينحدر من أسرة ذات أصول أندلسية، لقبت بالسايح نظرا لكون جده انخرط في سلك الجندية العثمانية بالجزائر قبل ان يتوجه إلى استنبول فغاب عن أهله مدة طويلة ولم يعد اليهم الى بعد كبره ومن هنا أخذوا يلقبونه بالسايح[4].

تلقى تكوينه في العديد من العلوم كالفقه والحديث والمنطق والتوقيت والحساب. على يد ثلة من العلماء من أمثال عبد السلام بن محمد كيلطو، و المهدي بن محمد الصحراوي، محمد بن احمد العياشي، محمد بن عبد السلام الرندي، أحمد بن قاسم جسوس، وأحمد بن إبراهيم الجيراري، كما أخد عن أبو شعيب الدكالي وعنه يقول السايح «**لازمته سنين عديدة تلقيت عليه فيها علوما جمة، بل بحارا زاخرة من علوم الحديث والتفسير وغيرها**»[5]. فيما أجيز من أحمد بن محمد البناني الرباطي، أبو حامد البطراوي، وأحمد بن الخياط ومحمد المهدي متجنوس، وعمر حمدان التونسي. في ما تخرج على يديه عدد من الشخصيات التي طبعت اسمها في تاريخ المغرب، مثل عبد الهادي بوطالب وأحمد بن سودة ومحمد المكي الناصري وعبد الهادي التازي ومحمد المنوني ومحمد عزيز الحبابي[6].

ونظرا لتكوينه العلمي المتنوع والمتين بدأ حياته العلمية أستاذا بالمدرسة اليوسفية بالرباط، وذلك قبل ان يصل عشرين سنة من عمره، وحتى يواكب متطلبات عصره، وعلى رأسها التواصل اللغوي مع بعض أفراد الجاليات الأوروبية المقيمة بالمغرب عمد الى تعلم اللغات الأجنبية واستيعابها. وبمعهد الدراسات العليا تعرف على أساتذة غربيين ومستشرقين، واستفاد من تجربتهم وعلومهم، بعد

---

[1] مصطفى الغاشي، «النخبة الغربية وأروبا «رحلة أسبوع في باريز» لمحمد بن عبد السلام السايح 1922» ضمن **انتقال الافكار والتقنيات في المغارب والعالم المتوسطي**، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 160، 2008. صص 179-204.

[2] محمد بن عبد السلام السايح، **أسبوع في باريس 1922**، المصدر السابق. ص 43.

[3] الطيب بياض، **رحالة مغاربة في أوروبا، بين القرنين السابع والعشرين، تمثلات ومواقف**، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية عين الشق، الدار البيضاء، 2006. صص187-188.

[4]- عبد الله الجريري، **الشيخ المبدع محمد تن عبد السلام**، مطبعة النجاح الجديدة، 1979. ص9.

[5]- محمد بن عبد السلام السايح، **لمحة بصر على البلاد المقدسة**، تحقيق محمد قرقزان، الرباط، 1995. صص 65-75.

[6]- مصطفى الغاشي، «النخبة الغربية وأروبا «رحلة أسبوع في باريز» لمحمد بن عبد السلام السايح 1922»، المرجع السابق، الهامش 4، ص182.

ان تعددت لقاءاته بهم ليفي بروفنصال، ووليـــــام مارساي، مما سهل على الرجل الاندماج مع الغير، ويسر اتقانه للغة الفرنسية عملية المثاقفة مع الأخر[1].

إضافة الى مهنة التدريس شغل السايح عدة مناصب مخزنية إذ اشتغل في مجلس استئناف الأحكام الشرعية سنة 1925م، والقضاء بكل من مدينة الجديدة 1929م، وبـــواد زم وخريبكـــة 1931م، وبشرـــاكة وأولاد عيسى ـــ وحجاوة من أحواز فاس سنة 1933م وفي سنة 1936م أسند اليه قضاء بمحكمة الرصيف بفاس . كما تم تكليف السايح في مهمات أخرى مثل تحديد سمت قبلة مجسد باريس موضوع الرحلة، وترأس الوفد المغربي للحج سنة 1947م لما كان قاضيا بمدينة مكناس[2].

توفي محمد بن عبد السلام السايح في 16 شتنبر 1948. لكنه خلف تراثا زاخرا بالأعمال الأدبية والعلمية كثيرة من بينها:

**-الخمار المذهب في أحكام التعامل بين مختلفي المذهب**

**-الشرف المروم بأحاديث فتح الروم**

**-سبك الذهب واللجين في سر افتقار التناسل الى الزوجين**

**-رقة الصبابة فيمن قتل قريبه أو هم به من الصحابة**

**-الغصن المصهور بمدينة المنصور**

**-أسبوع في باريس**

**-الاتصال بالرجال**

**-لمحة بصر على البلاد المقدسة**

**-المنتخبات العبقرية لطلاب المدارس الثانوية**

### 2.تقديم نص الرحلة «أسبوع في باريس».

الرحلة قيد الدرس معنونة بأسبوع في باريس 1922، لصاحبها محمد بن عبد السلام السايح، وهو نص مطبوع حققه وقدم له سليمان القرشي، عن دار السويدي للنشر والتوزيع والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، ضمن سلسلة ارتياد الافاق، الطبعة الأولى 2004. مكونة من 145 صفحة. أما الأصل المخطوط فهو في 70 صفحة من الحجم المتوسط.

يمكن التمييز في الرحلة، بين شقين واضحين، الأول يتعلق مسار السايح في فرنسا، انطلاقا من تكليف السلطان يوسف بن الحسن، للسايح بمهمة تحديد سمت قبلة مسجد باريس، وصولا إلى عودة الوفد بعد تنفيد المهمة التي انيطت به، يمكن وسم هذا الجزء من الرحلة «بالدليل السياحي»، ذلك أن السايح قدم فيه للقارئ أبرز ما تزخر به المدن الفرنسية من معالم حضرية، التي يمكن للسائح إن يراها وهو في فرنسا. إما الشق الثاني فقد طغى عليه الطابع الفقهي، إذ حرص السايح على استعراض طرق استخراج سمت قبلة باريس وذلك وفق الطريقة الإسلامية المتبع لهذا الغرض، معزز تقيده برسوم هندسية توضيحية وعمليات حسابية دقيقة، كما أفتى السايح في مجموعة من النوازل في محاولات منه لملائمة الشريعة الإسلامية مع مشاكل الواقع الجديد. الذي تميز ببداية استقرار المسلمين في أوروبا، (حكم الدجاجة المفتول عنقها، شحم الخنزير، دخول الكافر المسجد، تطيب بعطور الافرنجية).

## ثانيا:السياق الرحلة ومسارها:

### 1.السياق التاريخ للرحلة:

جرت أحداث الرحلة عام 1922، أي عشر سنوات بعد فرض الحماية الفرنسية بالمغرب وأربع سنوات على نهاية الحرب العالمية، التي عرفت مشاركة المغاربة في أطوارها الى جانب فرنسا وقوات الحلفاء.

تميزت هذه المرحلة باتباع فرنسا في لسياسة عرفت بالسياسة الأهلية أو الإسلامية التي نهجها الجنرال هوبير ليوطي، تأسست هذه السياسة على ضرورة احترام المؤسسات التقليدية في المغرب، من المخزن، والشريعة الإسلامية، والنخبة العالمة والطرق الصوفية وغيرها من المؤسسات المحلية. فقد حرص ليوطي على أحاطت

---

[1]- أحمد الازمي، "الانفتاح الثقافي على الآخر بين الاستحسان والاستهجان من خلال رحلة الفقيه محمد بن عبد السلام السايح (ت 1948) الى أروبا: "أسبوع في باريز على عهد السلطان مولاي يوسف"، ضمن **جامعة مولاي الشريف**، الدورة السادسة عشرة، الثقافة والفكر في عهد السلطان مولاي يوسف، الجزء الثاني، أبريل 2011. ص56.

[2]- نفسه، ص57.

السلطان بجملة من البرطوكولات التي كان الهدف منها هو الإبقاء على الطابع التقليدي للدولة المغربية، وقد دافع المقيم العام على هذه السياسة في كثير من المناسبات فكان يقدم نفسه أنه أحد رعايا السلطان المولى يوسف وأحد خدام أعتابه الشريفة، وكان يردد «**إذا مثلت هنا الحكومة الفرنسية، فإني أيضا أتشرف بأن أكون أول خدام سيدنا**»[1].

**2.الهدف من الرحلة:**

يقول السايح إن الهدف من رحلته إلى باريس هو تحديد سمت قبلة مسجد باريس، ذلك انه «**لما همت الجمهورية الإفرنسوية بتشييد المعد الاسلامي بباريز ليكون تذكار لمشاركة المسلمين الإفريقيين لها في الحرب الكبرى رأت ان تسند تعيين سمت القبلة وتخطيط محرابه الى جماعة من علماء الإسلام ممن لهم خبرة بما هنالك**»[2]، وجاء بناء المعهد الإسلامي كتعبير عن شكر فرنسا للمساهمة المغاربية إلى جانبها في الحرب العالمية الأولى سواء على المستوى العسكري أو التمويني والمادي.

يتضح أن الهدف من الرحلة محدد مسبقا ومعلوم إلا أن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن عند الإطلاع على الرحلة وسياقها التاريخي، هو: هل كانت فرنسا تعوزها الحاجة الى علماء مسلمين لتحديد سمت قبلة المسجد في زمن التطور التقني والعلمي الذي كانت عليه فرنسا؟، إذ يظهر من خلال حديث السايح أن الفرنسيين هيئوا للوفود العدة اللازمة «**تقدمنا الى جهة المحراب فألفيناهم قد أحضروا إلينا البوصلة ووضعوها على مائدة خشبية ليس شيء من المعدن، خصصوها لهذا الغرض لئلا تأثر مسامير الحديد على الإبرة**». «**وفي يوم الثلاثاء أممنا ساحة المعهد لاستخراج سمت القبلة به وتخطيط خط المحراب (...) وحضر معنا جماعة من المهندسين الافرنسويين وكنا استخرجنا السمت قبل ذلك (...) ووجدنا المهندسين المذكورين قد استخرجوه أيضا فتوفقت الأعمال (...) وذكر لنا أولئك المهندسون أن سبب الانحراف موضعي، وهو كثرة ما في البلد من الأسلاك الحديدية الجاذبة لها**»[3]. انطلاقا مما سبق نرجح أن الأمر لا يخرج عن كونه سياسة فرنسا اتجاه مستعمراتها الإسلامية، إذ شكلت هذه المناسبة فرصة لفرنسا لتظهر احترامها للإسلام ومؤسساته وعدم تدخلها فيه ولوا تعلق الأمر بمسجد داخل أرضها.

ساعدت مجموعة من العوامل في اختيار محمد بن عبد السلام السايح للقيام بذه المهمة من بينها تكوينه العلمي المتميز في المواقيت والحساب وإتقانه للغة الفرنسية، فجاء اختياره بجانب محمد الهواري القائد السابق لطنجة وذلك بأمر من السلطان وقد قال السايح عن هذا التكليف «**فعين سيدنا الإمام فخر السلاطين العظام (...) مولانا يوسف بن مولانا الحسن (...) لهذا الغرض الفقيه المشارك السيد محمد الهواري قائد الثغر الطنجي السابق وهذا العبد الفقير فلبيت الامر وقلت لي الشرف والفخر**»[4]. ولم يكن الوفد المغربي هو الوحيد الذي أنيطت به هذه المهمة فقد شارك كل من الوفد الجزائري والوفد التونسي في أداء هذه الرسالة العلمية والدينية.

**3.مسار الرحلة:**

يمتد مسار السايح على مستوى المجال على عدد من المدن الفرنسية التي كانت محددة مسبقا من طرف المشرفين على الرحلة (بوردو، باريس، فيرساي، مرسيليا) وعلى مستوى الزمن حددت في أسبوع. ابتدأت الرحلة يوم الاثنين 20 فبراير 1922، حين استقل الصاحب الرحلة الباخرة فوليبليس، من ميناء مدينة الدار البيضاء متجها الى مدينة بوردو الفرنسية.

كان سايح كلما دخل مدينة من المدن الفرنسية إلا وصفها بعبارات دالة عن الإعجاب، أو خصها بمجموعة

---

[1]- مصطفى الغاشي، «**النخبة الغربية وأروبا**"، المرجع السابق، ص 184.

[2]- محمد بن عبد السلام السايح، "**أسبوع في باريس**"، المصدر السابق، ص 27.

[3]- السايح، **أسبوع في باريس** ، ص 63.

[4]- محمد بن عبد السلام السايح،" **أسبوع في باريس**"، صص 27-29.

من أشعار . فعندما وصل بوردو قال عنها «**وفي ليلة الجمعة أشرفنا على مدينة بوردو بعدما عبرنا نهر الجارون المفضي إليها بين شاطئين خلعت عليهما من محاسن الاشجار والنباتات حلل سندسية تلمع خلالها أبنية بيضاء معدة لسكنى الأهالي أيام الصيف.**

**لاحت قراها بين خضرة أيكها**

**كالدر بين زبرجد مكنون**»[1].

أما باريس فأخذت نصيبا وافرا من المدح ضمن تقييد السايح، فهي «**بهجة الدنيا، ومنبت الحضارة، ومهد الرقي ومنبثق العلوم، ميدان سوابق الأفكار وملجئ سوائح الانظار، ديوان المبتدأ والخبر ومرآة ما حضر ـ وما غبر**»[2]، ثم ساق تعريفا مفصلا عن المدينة اقتبسه عن محمد المقداد الورتتاني في رحلته «البرنس في باريس»[3]، ثم عند أحمد زكي في «السفر إلى المؤتمر»[4]. ثم عاد ليصفها في مكان أخر في الرحلة «**وقضينا في هذه العاصمة العصماء أسبوعا شاهدنا فيه من عجائب المخترعات وغرائب المبتكرات** "[5].

بينما قال عن فيرساي إنها «**مدينة بالجنوب الغربي من باريز (...) بها المنتزه العجيب الذي تعجز ألسنة الأقلام عن وصفه، فما شئت من قصور شاهقة وأشجار باسقة، وحياض متدفقة تتدفق من أفواه التماثيل من بين ضفادع وأسماك وأسد وغيرها**»[6].

فيما كانت مرسيليا آخر محطة للسايح قبل العودة إلى الوطن بعدما قضى ـ الوطر، نعتها هي الأخرى بنعوت تظهر قيمتها بين المدن الفرنسية «**مدينة مرسيليا مرسى التجارة العظيمة وذات الدرجة الأولى في الاعتبار التجاري بهذه المملكة، مدينة المعامل والتعامل والروجان والحركة**»[7].

وهذا ولم يفت السايح وهو ينتقل بين المدن الفرنسية من استحضار التاريخ المشترك زمن الفتوحات الإسلامية للأندلس «**ثم كواتيي وهي موضع المعركة التي كانت بين عبد الرحمان الغافقي وشارل مارتل عام 114 هجرية وهي الواقعة الفاصلة بين العرب والافرنج القاضية برجوع العرب الى الاندلس وجعل جبال البيراني حدا فاصلا بين الفريقين ثم مدينة طور على نهر أنوار LOIRE أخر نقطة وصل إليها العرب الفاتحون**»[8].

### 4.المدنية الفرنسية من خلال مشاهدات السايح:

جاءت انطباعات السايح حول ما شاهده في فرنسا مقسما بين الإعجاب بالمنجزات الحضارية. ولحظات عابرة من الامتعاض لم يكن لها أثر قوي في نفسيته أو حالة دون استمتاعه بالرحلة أو اتخاذه موقف سلبي من الآخر.

#### -الإعجاب بالتمدن الفرنسي:

#### أ-الجانب المعماري

تجول الوفد المغربي في المدن الفرنسية وفق برنامج محدد مسبقا من وزارة الخارجة الفرنسية، يشمل استقبال السايح ومن معه، ثم زيارتهم لعدد من المآثر التاريخية والمعالم العمرانية بهذه المدن. ففي بوردو وجدوا شيخ المدينة الذي "هش وبش" لاستقبال الوفد المغربي وكلف من يقوم بمرافقتهم لرؤية مآثر المدينة وآثارها على حد قول السايح. وأول ما زاره السايح هو قنطرة نهر الجارون «**وهي قنطرة رائقة الجمال منصوبة على عدة أقواس غاصة بالمارة والسيارات إذ ليس للمرور غيرها**»[9]، أعجب السايح في هذه القنطرة بطرق الصيد التي يتبعها الفرنسيون مستعينين في ذلك بالتقدم التقني الصناعي. ثم عرج الوفد على الملهى الكبير (كراند تياتر)، بطلب من شيخ المدينة وعن هذا الملهى قال السايح «**وذكروا لنا أنه**

---

[1]- نفسه، ص 31.
[2]- نفسه، ص 37.
[3]- محمد المقداد الورتتاني، **"البرنس في باريز"**، المطبعة الرسمية بتونس، الطبعة الاولى، 1914.
[4]- أحمد زكي في «**السفر الى المؤتمر**»، المطبعة الاميرية، بولاق، الطبعة الاولى، 1893.
[5]- محمد بن عبد السلام السايح، **أسبوع في باريس**، ص 40.
[6]- نفسه، ص 56.
[7]- السايح، **أسبوع في باريس**، ص 65.
[8]- نفسه، ص 37.
[9]- نفسه، ص 32.

**أرقى ملهى في العالم من حيث الإتقان والإجادة، ولا تسل عما صاغته فيه أيدي البنائين، وزخرفته أنامل الرسامين وقاعته محدقة برواشن بارزة يدخل إليها المتفرجون من الخارج»**[1]. وما أثار انتباه السايح في شوارع بوردو كثرة التماثيل المنصوبة في الساحات والميادين وهي «**لأعاظم رجالهم وكبرائهم**»[2]، لم يكتفي هنا بالإشارة إلى وجود التماثيل بل تجاوز ذلك وفسر الغاية منها «**لتصوير بعض الوقائع المهمة كالثورة الإفرنسوية التي أعقبتها الجمهورية بنفس المحل الذي وقعت فيه تخليدا للذكر وحملا على التنافس في خدمة الوطن**»[3].

إما في باريس فقد وقف السايح على أبرز المعالم التي تشتهر بها المدينة، فجاء وصفه لها مطبوع بالإعجاب ويظهر هذا جليا من خلال العنوان الذي خصه لهذه الفقرات من تقييده «**ذكر نبذة من المآثر التي نزهنا الطرف بمحاسنها خلال الإقامة بباريس**». وهذه المآثر هي:

متحف اللوفر قال عنه «**أعظم متاحف باريس، وهو قصر عظيم فسيح مديد، يحتوي على طبقات كثيرة وأقسام عديدة وصور ذهنية وتماثيل ونقوش جميلة وصنايع دقيقة ومصوغات جليلة ثمينة أسس في عهد في عهد فرنسوى الأول سنة 1522 (...) ومن بين أقسام هذا القصر قسم المصوغات النفيسة والأحجار الكريمة وقسم الآثار القبطية وهو مشحون بالاثار التي تقلت من مصر منها صورة عظيمة نقلت من مصر تسمى أبا الهول لها وجه إنسان وأجنحة نسر وقوائم أسد (...) وجثة عرمسيس الثالث احد فراعة مصر(..) إلى غير ذلك من مآثره العتيقة بحيث يمكن الواقف عليها أن يعلم كيف كانت حالتهم ومعيشتهم في ذلك الوقت العريق في القدم. وقسم الآثار السورية وغرفة مخصصة للآثار الفينيقية**»[4].

**INVALIDES ليزانفاليدا: «أسس في عهد لويز الرابع عشر في أواخر القرن السابع عشر. وجدده عدة ملوك وهو ملجأ مشهور مخصص بالعساكر»**[5] لا يكتفي السايح بذكر الشيء والمرور عليه دون ترك انطباعاته حول ما شهده أو المواقف التي وقعت له إذ نجده دخل مع نفسه في سجال حول الدخول لقسم معطوبي الحرب العالمية قبل ان يتخذ قراره بعدم الدخول لما علم بأنهم يتضجرون من الزيارات. كما أشار السايح إلى الكنيسة المخصصة لدفن الماريشلات، والقبة التي دفن بها نابلون بونابرت

**برج ايفل: قال السايح عنه «هو أعلى منارة في العالم يبلغ ارتفاعه 300م وبعده أخر نيورك يبلغ 299م، ابتدئ بتشييده في 28 يناير 1887 وتم في 31 مارس 1889 وثقله 7 ملايين كيلو (...) به ثلاث طبقات يصعد اليها بالآلة الرافعة ويشرف على 90 كلم حواليه»**[6]، استمتع الوفد في برج افيل بالخدمات التي تقدم فيه إذ تناولوا القهوة والحلويات، وزيارة محلات التي تبيع «**أدوات متنوعة كلها لها علاقة ومساس بهذا البرج ككونها على صورته أو بها صورته يشتري منها الزائرون تذكارا للزيارة**»[7]، انتبه السايح إلى كون التجار الأوروبيون قد «**بلغوا من التفنن والاحتيال في الترويج لبضائعهم ومصنوعاتهم والإعلان عليها حدا غريبا مدهشا**»[8]، ورغم انه تهكم على هذه الطريقة البيع إلا انه استدرك لوضح الغاية من هذه الصور والإشكال التي تساعد الزائر من التعرف على مرافق البرج وتعفيه من الاتكال وتحقق له الاستقلال في الزيارة.

---

[1]- نفسه، ص 33.
[2]- نفسه، ص 35.
[3]- نفسه، ص 35.
[4]- السايح، **أسبوع في باريس** ، ص 44.
[5]- نفسه، ص 46.
[6]- نفسه، ص 48.
[7]- نفسه، ص 49
[8]- نفسه، ص 50

**قوس النصر:** قدمه كباقي المعالم الأخرى معطيا تفاصيلا حول مقاييسه وسنة البدء في تشييده وسنة الانتهاء منه، والغاية من ذلك إذ يقول عنه «**أعلى قوس يوجد من هذا الجنس يبلغ علوه 45 متر و33 سنتمتر وعرضه 40 متر و33 سنتمتر، ابتدئ في تأسيسه في عهد نابليون الأول لسنة 1806، لأجل تخليد ذكر فتوحات الجيوش الافرانسوية وإحياء مفاخرها ومآثرها**"[1].

**المسلة المصرية : «هي عمود منحوت من حجر واحد من الصوان وعليه نقوش بقلم الهيروغليف قلم الطير (...) أهداها محمد علي نافخ روح الحياة في القطر المصري انتزعها من موضعها وأهداها إلى لويس فيليب تذكارا لما انعقد بينهما من مودة»**[2]، نقلت المسلة من مصر الى فرنسا تزيين ساحة **la concorde**، الشهيرة بباريس.

أما في بستان النبات فقد تفاعل السايح مع قضيتين بالأساس، فبالإضافة الى التقديم الذي خصه لهذا المرفق العمومي أوقفه وجود الحمار بين جملة الحيوانات المعروضة فقال عنه «**وما يستلفت الأنظار أن من جملة الحيوانات المعروضة هناك للتفرج عليها وشد الرحلة القاصية اليها حمار اهلي، وذلك لندور الجمير بهذه البلدة، وقد أقام هذا اللكع هناك على ما شاء من التبن النقي يوضع بين يديه والمياه الصافية العذبة تساق إليه، فهو يتبختر في قصره من تلك الحديقة كيف شاء لا يعرف إلا الأكل والراحة فيا وللحماريين ويا للمكارين**»[3].

وفيما أعجب أيضا بمحتويات المتحف الطبيعي الذي ضم الصور والمنحوتات للإنسان والحيوانات المنقرضة مثل الدينصور الدبلودكيس الذي قال عنه «**من أعجبها هيكل حوان عظيم قد انقرض من الارض يدعى الدبلودكيس يبلغ طواه خمسة وعشرون مترا**»[4] والاجسام المصبرة والمحفظة كالمومياء التي «**لها اهمية كبرى في إفادة ما كان لقدماء المصريون من البراعة في التصبير لدرجة لم يصل اليها علماء العصر الجديد**»[5]، اما القضية الثانية التي تفاعل معها هي لكن هذا المرة ليس بمنطق الاعجاب أو الانبهار، لكن بمنطق الفقيه اذ لم يحرك ذهن الرجل اثناء رؤيته لما اسماهم بالهول ذلك ان أول ما قدمه هي قضية التوريث، هل يكون لواحد ام لاثنين مستحضرا أفعالا لعلي بن أبي طالب في تحديد ذلك.

وبعد هذه الجولة في معالم باريس توجه الوفد إلى مدينة فيرساي التي توجد بالجنوب الغربي لباريس. لقد وصفها السايح بكثير من الافتتان وما لفت انتباهه بالمدينة هو قصر الزجاج «**وهو قصر عظيم مغشى الحيطان بمرايا كثيرة تتصل ببعضها بواسطة قطع نحاسية مموهة بالذهب لذلك يدعى قصر الزجاج**»[6] لم توان السايح وهو الفقيه والقاضي في الدخول إلى الكنيسة في مشهد دال على انفتاح ذات تجاه الأخر اذ لم يتستر على الأمر أو أعقبه بتحقير للمكان وانما نجده قال «**وفي أثناء تجولي مررت بكنيسة فأغواني حب الوقوف على الاثار بالدخول إليها والتجول فيها**»[7].

**ب.الجانب التقني :**

لم يكن الجانب المعماري وحده موضوع اعجاب لدى السايح اذ شمل ذلك كل ما وقع عليه بصره، وهو في فرنسا ومن تم استأثرت المستحدثات التقنية باهتمامه، فخصص لها وصفا ضمن متن رحلته، خاصة أنه رأى في الدور الذي تلعبه سرا من أسرار قوة وتفوق فرنسا.

فرض الانبهار نفسه على السايح حتى قبل الدخول الى أوروبا، فالمركب التي أقلت الوفد قدمت صورة مصغرة عن أوروبا فهي" **باخرة في غاية النظافة واللطافة وبداعة المنظر، كأنما صيغت من در**»[8]، وفي المدن الفرنسية اكتشف السايح التقدم الذي كانت عليه فرنسا في تلك الفترة وخاصة في وسائل النقل فنقل لنا أهميتها وتنوعها

---

[1]- نفسه، ص 51.
[2]- نسه، ص 52.
[3]- السايح، **أسبوع في باريس** ، ص 54.
[4]- نفسه، ص 55.
[5]- نفسه، ص 56.
[6]- نفسه، ص 58.
[7]- نفسه، ص 59.
[8]- نفسه، ص 29.

خاصة المترو الذي وصفه قائلا «**وهو القطار الذي يمتد تحت ارض باريز ويخترقها اختراقا في أنفاق واسعة (...) ثم ان المترو يحتوي على عشرة خطوط يمتد جلها تحت الارض وكان فتح أول خط منها سنة 1900، وهو احسن وسائل الانتقال بباريز لان أجرته زهيدة ولا يلزم دفعها الا عند المحطة الأولى فحسب بشرط أن لا تظهر على ظهر الارض، ثم انه سريع السير قليل التعرج وما بينك وبين المحطة المقصودة**»[1] اما القطار فقد لاحظ انه سريع وسكته عريضة كما انه مجهز بكل ما قد يحتاجه المسافر «**وجميع بيوته مجهزة بنا يحتاجه المسافر من الضوء الكهربائي وآلة للتدفئة أو التهوية حسب ارادتك (...) وهناك أيضا المطعم والقهوة والمستراح**»[2].

ومن بين المستحدثات التقنية التي وقف عليها باستغراب ودهشة نجد كل من الدرج الكهربائي الذي قال عنه « **ومن غريب ما شاهدته بها [باريس] درج للخروج تستخدم بالكهرباء تدور دورانا دولابيا فما بينك وبين الارتقاء الا ان تضع رجليك معا أسفل الدرج فتجد نفسك أعلاه**»[3]، بالاضافة الى الدرج الكهربائي نجد السايح يستعصى عليه الفهم والتأويل عندما رأى آلات البيع والتي شبهها تارة بالخزائن الصغيرة وتارة اخرى بالدكاكين «**وقد الفينا ببعض السراديب خزائن صغير منصوبة للبيع كأنها دكاكين تلقى به عشر سانتيمات افرنسوية ثم تجدب اليك خرصا بها فتخرج قطع الشكلاط (...) وكتبوا عليها كيفية التعامل وعلى كل نقب ما بداخله وهطا من عجيب ما ترى فقد برعوا في ترويج تجارتهم لدرجة أن استخدموا الجمادات لهذه الغاية**»[4].

حاول السايح تجاوز الوصف والانبهار الى تلمس العوامل الكامنة خلف التمدن الأوروبي فركز على عاملين أساسيين فسر بهما تفوق فرنسا في كل مناحي وهذا العوامل هي:

-**العلم:** حسب السايح مقرون بالمنفعة العامة التي يصل معها المجتمع الى الترقي وهو ما وجده في فرنسا حيث عبر يقول في ذلك «**ورأينا مبلغ ما وصل اليه القوم الذين تفانوا في حب العلم ومنهم من قصر حياته على خدمته وبذلوا النفس والنفيس في اقتنائه وعانوه بكل صبر وجلد وق تجسمت في مخترعاتهم ومصنوعاتهم علومهم الغزيرة المتنوعة وقد تجسما باديا للعيان**»[5]، وقد شكلت اللحظة فرصة للسايح لاعادة ذكر خطبة القاها بمعهد الدراسات العليا بالرباط تحريضا منه على تعليم الاطفال. وابرز ما جاء فيه تمييزه بين نوعين من العلوم «**هذا وليس العلم الذي نعني وحوله ندندن مجرد ألفاظ يتشدق بها، واشعار يترنم بها أو حكايات يحاضر بها أو هو عبارة عن مصافحة الأوراق صباح مساء (...) لا والله العلم هو الغوص على مغازي المعاني ثم النفود منها الى حيز العمل**»[6].

-التنظيم: تكرر عند السايح اكثر من مرة استحسانه للتنظيم بالبلاد الفرنسية فمنذ وصوله لبوردو ايقن بأهمية التنظيم واعتناء الفرنسيين به، وقد عبر عنه هو **بالقوانين المقرر**، وقد تجلى ذلك بالخصوص عند وصوله البر الفرنسي ومشاهدته تقسيم الفرنسيين للعمل بميناء بوردو «**وعند دنونا من حلق النهر استقبلنا رائد خصوصي ليعبر بالسفينة المضيق (...) وعند الدخول الى النهر نظل الأول وصعد آخر ليسلكه بها وعند الدخول الى المرسى ارتقى إليها آخر ليحاذي بها الرصيف، حسب لكل من الخبرة بما أنيط به**»[7]. وقبل مغادرته للميناء وقف السايح على شكل آخر من التنظيم تجلى في تفتيش حقائب المسافرين من قبل مفتشي «الديوانة» بالاستثناء الوفد المغربي الذي اعفي من الامر بسبب رسالة من

---

[1]- نفسه، ص 53.
[2]- نفسه، ص 36.
[3]- السايح، **أسبوع في باريس** ، ص 38.
[4]- نفسه، ص 53.
[5]- نفسه، ص 40.
[6]- نفسه، ص 42.
[7]- نفسه، ص 31.

الاقامة العامة. لاحظ السايح ان الشرطة تلعب دورا محورا في اقرار النظام والسهر على تطبيقه «**ومما استحسناه في بوردو وغيرها من الديار الافرانسوية ترتيب الشرطة حيث يزدحم الناس كالملاهي، فترى رجال الشرطة يتخللون الناس اذا خرجوا للاستراحة عند انتهاء الدور محافظة على تمام الهدو والنظام**»[1].

**5.الاستمتاع بالترفيه الفرنسي:**

تجاوب السايح مع اجواء الاحفاء واللهو بفرنسا بشكل ايجابي فلم نجده كغيره من الرحالة الذين زاروا أوروبا سابقا يذم أو يعرض عن حضور الاحتفالات على العكس من ذلك فقد استمتع الرجل بالأناشيد المغربية عبر الفنوغراف «**ثم ذهبنا لسماع الاغاني والالحان من الفنوغراف، فدخلنا الى قاعة غاصة بالمستمعين وهم مصطفون على الكراسي، وقد أهوى كل واحد بأذنيه الى السماعتين ورؤوسهم مطأطأة كأنهم اسلموها الى الحلاقين، فقدم المكلفون الينا كناشا به أغاني عربية لنقترح منها ما شئنا، وطريق السماع منها لن تلقي في لنقب هناك قدرا من النقود معلوما، ثم ثم تجعل السماعة في أذنك مع رسم نمرة الغناء الذي طلبته، فشنفنا الاسماع بما رق وراق من الانشيد المغربية**»[2]

وبطلب من شيخ المدينة [مدينة بوردو] حضر الوفد المغربي عرضا مسرحيا تفاعل معه السايح بنوع من الدهشة الغرقة في الاعجاب اذ قال «**وألفينا على المسرح عدد كثيرا من الممثلين و الممثلات بأقمشة مزركشة والوان مختلفة قد ضاعفت الاشعة الكهربائية لمعانها، فصارت تعشي البصر وتدهش من حضر ولهم نشيد ورنين، وللموسيقيين تطريب وتلحين، الى مطارحة ذكران ونسوان، وأزياء {ما أنزل الله بها من سلطان} حتى خيل لي لني في عرش بلقيس أو في عالم الاباليس**»[3].

فيما تميز الاحتفال بإنجاز المهمة التي انيطت بالوفود، بإلقاء مجموعة الخطب ألقها كل من عبد القادر بن غبريط وعدد من المسئولين الفرنسيين وذلك بحضور المسلمين وغيره الى ساحة المعهد الاسلامي ومر الاحتفال حسب السايح في "**غاية الرونق والمهابة حضره جم غفير من المسلمين من مغاربة وجزائريين وتونسيين ومصريين وفارسيين وافغانيين غيرهم**"[4].

**6.امتعاض السايح في فرنسا:**

عرف السايح خلال رحلته الى فرنسا لحظات عكرت عليه صفوة هذه الرحلة، لكنها لم تكن قوية ولا كثيرة لتأثر في نفسيته، ولم ترقى الى مستوى يأثر على علاقته بالآخر، اذ لم تكن متولدة عن أفكار مسبقة. جاءت هذه المواقف كالآتي:

-امتعض السايح من ربان السفينة الذي لم يرأف لحال الركاب اثناء الذين اشتد عليهم الحال بسبب السفر في البحر "**بيد انها لما اقلعت وتغلغلت في ذلك المحيط عبثت بها الامواج وتقاذفتها أحشاؤه فأصبحنا في قرار ليس له قرار(...) كل هذا وربان السفينة لا در دره، ولا يلقى ما نلقى من التعب بالا، لا يكف من غلواء سفينته ولا همة له الا في خريطته وابرته يصل ليله بنهاره كالمنهزم الفار ويا ليته قدر المسافة منازل، حتى نستريح بالمحطات والمناهل**"[5].

-أما الموقف الثاني الذي عبر فيه السايح عن غضبه، حصل في لحظة كان فيه الرجل متعطشا لمعرفة المزيد من المعلومات حول المعروضات في متحف اللوفر الا انه اصطدم بدليل يتضح من خلال الوصف الذي اعطاه في حقه انه رجل عجوز لم يقدر على مجاراة سرعة السايح قال عنه "**ولما اتيح لي الدخول اليه انتخبت، لسوء الحظ دليلا أكل الدهر عليه وشرب وباض اقتران الليالي والايام في ثغامة هامته وأفرخ، فكنت أخطو خطوات واسعة بغاية التعطش لاحضى بمشاهدة كثيرة من أقسامه**

---

[1]- نفسه، ص 34.
[2]- السايح، **أسبوع في باريس** ، ص 33.
[3]- نفسه، ص 34.
[4]- نفسه، ص 63.
[5]-نفسه، صص 30/29.

**وطباقته، وهو والله الامر من قبل ومن بعد، لا يزال في مكانه أبطأ من السلحفاة، وان لم أقل إنه يسير إلى الخلف كسرطان البحر"**[1].

-وضع اللباس السايح في عدد من الموافق التي تعامل معها بأشكال مختلفة لكن غلب عليها التفهم ففي سوق بوردو أثار زيه اعجاب سكان المدينة **"وترى اهلها يعجبون بز الغريب بخلاف الباريزيين فقد أنسوا بزي المغاربة، فلا يلتفتون اليه الا قليلا فكنا إذا مشينا كانوا خلفنا وإذا وقفنا أحدقوا بنا، وحلقوا حولنا، وخصوصا السيدات والخرائد والممسودات فإنهن يعجبن بشكلي ويغالبهن الضحك بينما انا أعجب من حسنهن ورقتهن وتثنيهن"**[2]، بيد ان اللحظة الاكثر عمقا في هذا الصدد هي التي وقعت له في الكنيسة حين أُمر بنزع عمامته احتراما للمقام، قال السايح عن هذه الواقعة **"فأغراني حب الوقوف على الاثار بالدخول اليها والتجول فيها، لولا أنه كدر صفوي بها شخص من جملة اللواردين مصفر اللون، قد تقبض جلده وتقنسر، كأنه جسم مصبر"**[3]، اصطدم السايح مع تشدد فرنسي بتقاليد بلده فرض عليه ما لا يطيقه فالعمامة حسب السايح الى خبرة ومساعدة لتسويتها. خرج من الكنيسة غاضبا يردد لرفيقه **"ما لنا ودخول الى هذه الكنائس التي لا تحترم فيها العمائم والقلانس، ويجحد فيها تعب الحجام، فالي الأمام، فالي الأمام"**[4]، وبالرغم شدة الواقعة استدرك السايح الموقف بإبداء ملاحظة هامة حول أهمية رفع القبعة بالنسبة للفرنسيين قائلا **" يعتبر الافرنج رفع القبعة عن الرأس من مظاهر التعظيم بخلاف أعرافنا، فان نزع العمامة بمحضر الملإ ربما عد من خوارم المروءة، ونزعها عن رأس الغير ضرب من المهانة"**[5].

**7.مقارنة الذات بالآخر:**

عقد السايح جملة من المقارنات بين المغرب وفرنسا في عدد من القضايا، التي افرزتها مشاهداته خلال تنقله بين المدن الفرنسية. فعند انتقاله من بوردو الى باريس لاحظ ان الفلاح الفرنسي يستهوه الاهتمام بمنظر حقوله وذلك عبر **"تجنيس النباتات والاشجار، وتدبيج ألوان الأزهار"**[6]، اما نظيره المغربي فلا يغيره غير الانتاج غير آبه بشكلها. كما قارن بشكل ضمني اختلاف الانسان العربي مقارنة مع الفرنسيين أو غيرهم من الاوروبيين فهو حسب السايح "**غريب الوجه واليد واللسان واللباس أيضا**"[7].

فيما شكل التاريخ فرصة للسايح لعقد مقارنة بين الطرفين على مستوى الحفاظ على المآثر التاريخية حيث استحضر رحالتنا منجزات المولى اسماعيل التي اتت عليها يد الجناة بينما حافظ الفرنسيون على مآثر لويس الرابع عشر علما انهما معاصران لبعضهما وكان فيما بينهما تواصل وتعارف. **"وحفظي أن المولى اسماعيل كان أسس مدينة الرياض لمحاكات قصور فرساي وأما الصهريج الذي بمكناس، والبركة التي ببستان فرساي، فلا يبعد فيها أن يكون أحدهما تحدى صاحبه فيه أو هو من باب توافق الخواطر ووقوع الحافر على الحافر. واذا تجولت في أثار السلطانين رأيت ما يدهشك ويبهتك، وان كان ما غاب عنك من آثار المولى اسماعيل اكثر بكثير فغن منها مدينة الرياض زينة مكناس وبهجتها، التي سخرت عليها جيوش الفؤوس عشرة أيام حسوما (...) بخلاف آثار لويس بفرساي وباريس فإنها كلها متعاهدة محفوظة"**[8].

**المسائل الفقهية:**

واجه السايح وهو بفرنسا عدة أسئلة دينية صنفها ضمن المسائل العلمية التي سؤل عنها أو تجاذب فيها أطراف الحديث مع المسلمين المقيمين في باريس وهذه القضايا هي ( حكم الدجاجة المفتول عنقها، تحريم شحم

---

1- نفسه، ص45.
2- السايح، **أسبوع في باريس** ، ص 35.
3- نفسه، ص 59.
4- نفسه، نفس الصفحة.
5- نفسه، ص 60.
6- نفسه، ص 36.
7 نفسه، ص 37.
8- نفسه، ص 61/60.

الخنزير، مسألة انقطاع الاجتهاد، حكم دخول الكافر المسجد، حكم التطيب بالعطور الإفرنجية).

كل هذه المواضيع طرحت تبعا للسياق الذي زار فيه السايح فرنسا، خاصة وبداية استقرار المسلمين في أوروبا على العموم وفرنسا بوجه خاص، هذه الاخيرة التي انشأت المعهد الاسلامي بغرض تسهيل المقام بباريس لمن اراد أن يتعاطى العلوم والصنائع من المسلمين على ارضها وجاء هذا الاخير على الاسلوب العربي.

يتضح من خلال أجوبة السايح على المواضيع السابقة انه حاول التوفيق بين الشريعة الاسلامية والمستجدات التي فرضها الواقع المعيش. ففيما يخص موضوع اكل الدجاج المفتول عنقها أكد انه لا يجوز أكلها بالنسبة للمسلمين، حيث بدأ هذا الامر بنفسه هو أول حيث قال **"كنا بهذه الديار لا نتناول من اللحوم شيئا، فلو رآنا هناك الشيخ أبو العلاء لعطر بالثناء علينا الارجاء، وكثيرا ما كانت تجري بيننا المذاكرات في هذه المسألة، وفي مسألة الدجاجة المفتول عنقها"**[1]، لم يخرج السايح أهل الكتاب عن كونهم كذلك رغم استبدالهم لدينهم أو تركهم له وتفسيره ذلك بكون الله أطلق عليهم أهل الكتاب رغم تحرفهم الكلام عن موضعه. اما ما يتعلق بشحم الخنزير فقد اعتبره حراما وذلك لاجماع الامة على تحريم جميع أجزاء الخنزير. بينما في مسألة الجهاد فأقر مسألة عدم فبح باب الاجتهاد وبالتالي وجوب الرجوع الى اجتهادات السلف الصالح. وفي موضوع دخول الكافر المسجد فإن السايح يجيز ذلك لكن باستثناء المسجد الحرام الذي حسم النص القرآني في هذه المسألة تحريمه عليهم. ويختم بموضوع حكم التطيب بالعطور الافرنجية، وفي هذا الاطار اعتبر بأنها بعيدة عن القذارة التي هي اصل النجاسة وبالتالي لا ضرر في التطيب بها.

**خـــاتـــمـــة:**

اتخذت رحلة محمد بن عبد السلام السايح "أسبوع في باريس" نمطا جديدا في وصفها للتقدم الحضري التي كانت عليه فرنسا، وذلك بشكل مختلف كليا عن سابقاتها من الرحلات التي زارت أوروبا. فقد كان وصفه لفرنسا أكثر انفتاحا وتقبلا للآخر ويرجع ذلك لمجموعة العوامل التي كان لها أثر بالغ في ذهنية الرجل فانعكست على ما دونه في رحلته، وأبرز هذه العوامل نلخصها في السياق التاريخي الذي أتت فيه رحلة السايح، و المسبقات الثقافية للرجل، وغياب الرقابة على التدوين كما كانت سابقا.

هيمن الاعجاب على وصف السايح للمدنية الاوروبية، وقد ساهم المسار الذي حدد للوفد من قبل في اتخاذ هذا الانطباع خاصة أنهم زاروا أبرز ما أبدعته الحضارة الفرنسية( قنطرة نهر الجارون، متحف اللوفر، برج افيل)، وأبرز مدنها( بوردو، باريس، فيرساي، مرسيليا). وأحدث المستحدثات التقنية( المترو، والدرج الكهربائي، الالة الرافعة). فيما دفع قصر مدة الرحلة السايح الى الاستعانة برصيده المعرفي والكتابات السابقة له ، تنوع بين المؤلفات سواء عربية كانت أو أجنبية وذلك لتعزيز ما جاء به من معلومات.

شكلت الرحلة لحظة للتفاعل بين الجديد والقديم على عدة مستويات من بينها المستوى العلمي، بين

جديد مثله مهندسين مسلحين بأحدث ما جاءت به معارف الرصد(البوصلة)، وقديم على رأسه فقهاء ما زالوا يعتمدون على الفلك والحساب لتحديد سمت القبلة.

لم يمر وجود السايح بفرنسا دون يبرز دوره كفقيه عالم بشؤون الدين، اذ صادفت رحلته بداية استقرار المسلمين بدار غير دار الإسلام، وبالتالي بروز نوازل جديدة أعطى فيها السايح رأي الشرع وفق فهمه هو لهذا الأخير.

[1]- نفسه، ص 86.

# القيادات المخزنية بسوس وأثارها على الحال "قيادة سعيد الكلولي الحاحي نموذجا



الحسين نوحي
طالب باحث في
تاريخ الجنوب المغربي

**تقديم عام:**

يعتبر البحث في تاريخ الجنوب المغربي[1]، من القضايا التي لا تزال تستأثر بإهتمام وإنشغال الباحثين، وذلك لكونه مجالا لا يزال بكرا في البحث[2]. فقد ظل هذا المجال الشاسع يعرف دينامية تاريخية لعصور موغلة في الذاكرة المغربية خاصة وذاكرة الشمال الإفريقي بوجه عام، بل أكثر من ذلك فإن البحث في هذا المجال يعد أمرا تعتريه الصعاب والمشقة، خاصة إذا ما تأملنا في شساعة أطرافه، وكذا لغياب وضعف المادة المصدرية عنه، خاصة منها الأرصدة المحلية[3]، بالإضافة كذلك إلى المصادر التاريخية التقليدية[4]، التي وإن توفرت فإنها لا تعطينا صورة واضحة عن المجال، بل تكون هذه الصورة أحيانا متقطعة بين فترات تاريخية محددة. كما أن الإحاطة بتاريخ هذا المجال يقتضي الإنطلاق من جزئيات للوصول إلى الشمولية في بناء تاريخه، ومنه جاءت هذه المحاولة المتواضعة؛ الهادفة لتسليط الضوء على جانب من هذه الجوانب التاريخية لمجال الجنوب المغربي؛ ألا وهو القيادة بمجال سوس[5]، والتي سنحاول الوقوف فيها على نموذج من هذه القيادة أو القيادات الرسمية المخزنية التي أنيطت بها أمور مجال سوس خلال أواخر العهد الحسني[6]، منطلقين بذلك من إشكاليتين رئيستين؛ ما أثار القيادة المخزنية على مجال سوس؟ وكيف تعاملت القبائل المحلية مع هذه القيادات المخزنية؟، وذلك بالوقوف على نموذج شخصية مخزنية عرفها سوس بشكل فريد وإستثنائي؛ شخصية القايد سعيد الكلولي الحاحي، والتي سنركز على جوانب من هذه الشخصية في علاقتها بسوس.أولا: سياق وظروف تولية القائد سعيد الكلولي الحاحي على سوس.

[1] نقصد به سوس ودرعة والصحراء.
[2] أي أن هناك العديد من القضايا لم تدرس بعد بالشكل المطلوب: قضية جيش التحرير بالجنوب، الزواج، البيعة، الأعراف...
[3] نقصد بها: الوثائق المحلية من عقود زواج، عقود البيوع، أعراف، نصوص فقهية نوازلية، مخطوطات...
[4] نقصد بها: كتب الحوليات التاريخية.
[5] سنركز هنا بشكل دقيق على المجال خلال الفترة المعاصرة، والتي حددت فيها حدود المجال بكونه ممتد من ما وراء جبل ذرن إلى ما وراء وادي الغاس إلى الساقية الحمراء.
[6] بعد حركة المولى الحسن الأولى للجنوب 1886م تراجعت قوة المخزن بعد أن ثارت القبائل على قيادها، ومنه حاول المولى الحسن تدارك الأمر بتعيين قياد مخزنيين جدد بسوس لإستتباب الأمن بين القبائل.

كانت الوضعية العامة بالجنوب المغربي خلال القرن التاسع عشر؛ وضعية متسمة بتحولات كبرى وعميقة[1]، ما كان له أثار بليغ على المجال، إذ كل ما أثر هذا التحول على المركز إلا وكانت له إنعكاسات سلبية على الأطراف والهوامش، لاسيما خلال أواخر حكم المولى الحسن الأول، إذ كان مجال سوس يقتصر تدبيره على سواعد أهله، حيث "**من عادة السوس الأقصى من وادي الغاس إلى الساقية الحمراء خلوه من أحكام السلطان، أن يعنوا لمن يباشر أمورهم والفصل بينهم عوارف يسمونهم النفاليس**"[2]، غير أن هذا التدبير المحلي لم يطل بالمنطقة، إذ سرعان ما عاد الإشعاع المخزني للسوس بعد حركتي المولى الحسن للمنطقة سنتي 1886/1882، والتي مكنت المخزن من تثبيت دعائمه بالجنوب، فالمولى الحسن "**جاز بمحاله إلى واد نون، فصام فيه رمضان ذلك العام، ثم رجع فنزل العسكر في خميس أيت بعمران، فذهب إلى أن وصل هوارة، فسيبهم فجعلهم شغر بغر، فحط على إدوتنن المحال من كل جهة حتى أذغنوا**"[3].

عرف سوس خلال أواخر حكم المولى الحسن للمغرب تحولا بارزا على مستوى القيادة المخزنية وحضورها الفعلي بالمجال، خاصة بعد نهاية الحركة الثانية للمنطقة، وهذا ما نستشفه في وصف دقيق للحالة التي كانت عليها القيادة المخزنية بسوس، والتي أوردها المؤرخ الإكراري بقول: "**فلما رجع السلطان المولى الحسن لمقره مراكش، قام أهل سوس من وادي الغاس إلى وادي ماسة، على ساق واحدة، ليمحوا من فيه رائحة المخزن، فهدموا ديار القياد "القواد" بهشتوكة وهوارة ورأس وادي سوس، فجعلت القبائل في الفتن، يأكل الضعيف القوي، لاناه ولا منته، فبقيت الناس فوضى كسكرى، فاشتعل البارود في كل جهة لا يعقل الجدي أمه**"[4]. هذه الردة للقبائل على قيادها بسوس[5]، جعلت القياد يرفعون أمرهم للسلطان "**إذ إتفق رأي القياد فذهبوا لمراكش عند السلطان مولاي عبد العزيز يطلبون منه المدد يسكِن الفتن، فتكفل لهم بالمدد**"[6]، غير أن المخزن لم يكتفي بإفاد القياد بالمدد فقط، وإنما سعى لإعادة قوته وإشعاعه للمنطقة، وذلك عبر إعادة قوة القياد وترسيخ نفوذهم بين القبائل، ومن ذلك إستغلال المخزن لهذه الفتن بين القبائل لتمكين ممثليه بالمنطقة من العودة إليها وبقوة، "(...) **قامت هشتوكة وأل المعدر ورسموكة وماسة فاكلوا المحلة، فبمجرد ذلك أرسل السلطان إليهم القائد سعيدا الجلولي الحاحي، فنزل في أبي الضفادع (بيوكرى) بحركة حاحا(...)**"[7]. وبذلك عاد المخزن وبقوة للمنطقة بعد عهد المولى الحسن، متخدا من قوة القيادات يده الطولى في المنطقة، كما أن المرحلة الحرجة التي كان المخزن يمر بها، من تزايد ضغوطات الإمبريالية الأروبية وحاجة بيت المال لمزيد من الأموال، ساهمت في تزكية وضرورة عودة قوة المخزن للمنطقة[8]، وضمن هذا السياق جاءت تولية القائد سعيد الكلولي على سوس، بإعتبار الفترة ظرفية حرجة وحساسة، تقتضي التحرك والتعجيل بالوجود المخزني بسوس، إذ كما قال الكلولي نفسه الأمر جلل يفرض التعجيل[9].

---

[1] نقصد بها مرحلة شد الطوق الأروبي على المخزن على عدة مستويات: عسكرية، تجارية، دبلوماسية...

[2] محمد بن أحمد الإكراري، **روضة الأفنان في وفيات الأعيان وأخبار العين وتخطيط ما فيها من عجيب البنيان**، تحقيق: حمدي انوش، مطبعة المعارف الجديدة، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1998، ص.119.

[3] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.75.

[4] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.76.

[5] هنا نميز بين أمرين حسب المصادر التاريخية: أن قياد سوس الأدنى (تارودانت ومحيطها) هم من تعرضوا للنهب والتمرد من طرف القبائل، وذلك لكونهم توجهوا لمراكش لحضور جنازة السلطان المولى الحسن، عكس قياد سوس الأقصى الذيم لم يغادروا تزنيت.

[6] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.76.

[7] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.76.

[8] أرفاك شفيق، سلسلة محاضرات وحدة تدبير السلطة بالجنوب المغربي، سلك ماستر تاريخ الجنوب المغربي: السلطة والمجتمع والدين، كلية الاداب، أكادير، 2018.

[9] شفيق أرفاك، سلسلة محاضرات وحدة تدبير السلطة بالجنوب المغربي، م.س.

**ثانيا: شذرات عن الأسرة الكلولية الحاحية.**

***1*: أصول الأسرة الكلولية.**

شكلت الأسرة الكلولية بحاحا[1] ركيزة هامة كغيرها من الأسر المخزنية بالمغرب وبجنوبه بوجه خاص، فهذه الأسرة التي برزت خلال القرن التاسع بمجال حاحا[2]، عرفت إشعاعا كبيرا لنفوذها وقوتها بحاحا بعد إنقراض أسرة أل بيهي أومولود[3]، وذلك بعد مقتل زعيمها القائد عبد الله أوبيهي الحاحي (1870م) بعدما قتل وهو مسموم بداره بحي مواسين في مراكش[4]. وهذه الأسرة الكلولية تنتمي سلالة أجدادها إلى قبيلة أسا، والتي نزلت بمنطقة حاحا وتحديدا بموضع يسمى أيت أسول بقرب من مدشر تامانار عاصمة الحاحيين[5].

***2*: المخزن و إصلاح القيادة بحاحا.**

على إثر الضعف والتراجع الحاصل للقيادة بمنطقة حاحا؛ بعد إنهيار وتراجع قوة دار أل بيهي أمولود، حاول المخزن على عهد المولى محمد بن عبد الرحمن تدارك الأمر، وذلك بتوكيل الأمر للخليفة المولى الحسن بمراكش بهدف إصلاح الدار المخزنية بحاحا وإعادة أمجادها، إذ "**بدأ المولى الحسن يعالج إسترداد ما نهب من الدار، وقد فرق الأعوان في قبائل حاحة على ذلك**"[6]، كما أن وفاة السلطان محمد بن عبد الرحمن شكلت بداية التعجيل بالإصلاح المخزني للأوضاع بحاحا، حيث "**بويع المولى الحسن هناك، فولى القائد الاول من (أل أنفلوس)**"[7]، غير أن ذاك الإصلاح لم يكن سوى مضمضة للجروح، إذ سرعان "**إعتقل القائد سنة 1295هـ/1878م، فوزعت حاحا على قواد شتى منهم أل المحجوب الكلوليون**"[8].

***3*: الأسرة الكلولية وأصولها ألأولى في الرياسة.**

لم يكن من مصلحة المخزن أن يكون هناك فراغ في مجال قبلي تغيب عنه القيادة الرسمية أو غير الرسمية، بل عمد المخزن على الدوام لضمان إستمرار قوة القياد بمجالهم، وذلك لكونهم توجد بين أيديهم صولجان الإدارة وزمام العامة والخاصة[9]، وبنفس السيرورة تعامل المخزن مع منطقة حاحا، إذ بعد ضعف وتهاوي قوة أسرة أل بيهي المخزنية، عمد المخزن لشد عضد الأسرة الجديدة بالمجال، والتي أنيطت لها زمام المبادرة في تدبير مجال حاحا؛ هذه الأسرة الكلولية الحاحية، بدأت غمار الرياسة على يد المحجوب بن أحمد[10] الذي كان في بدايته شيخا تحث يد القائد النفلوسي[11]، قبل أن يتسلق درجات الرياسة "**ويعين 1298هـ/1881 قائدا على إيداوكيلول وأيت تامر**"[12]، وأخبار هذا التعيين كالتالي: "**بعد حركة المولى الحسن للسوس وفي طريق عودته لمراكش، كان يستفسر عن أمور الرعية أي إنسان يصادفه في الطريق، إذ أن الكل يتحدث عن إستبداد القائد مبارك النفلوسي بحاحا،فأراد السلطان تقصي الحقائق، وفي طريقه إلتقى بالمحجوب بن احمد الكلولي الذي كان فقيها يشارط بإحدى مساجد المنطقة، واستفسره السلطان عن أحوال الرعية بالمنطقة، فحدثه المحجوب عن استبداد القائد مبارك انفلوس(...)ولما وصل اليوم المحدد إنتقل المحجوب ليمثل امام السلطان، هذا الاخير إستفسره عن احوال المنطقة مرة أخرى، فكان الجواب نفسه -أستبداد القائد مبارك أنفلوس- فكان ان جزاه السلطان بتعيينه قائدا على بعض قبائل حاحا**"[13].

---

[1] الحاحيون شيعة من قبائل مصمودة كما صنفهم بذلك إبن خلدون.
[2] ينظر بخصوص إمتداد مجال حاحا: إبن خلدون: العبر 229/ الحسن الوزان: وصف إفريقيا 95/ محمد الصديقي: إيقاض السريرة لتاريخ الصويرة 20.
[3] الطيب أيت البيض، الأسر المخزنية بمنطقة حاحا: الأسرة الكلولية نموذجا، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 2066،ص.12.
[4] ينظر حول تفاصيل مقتل عبد الله أوبهي، شذرات من تاريخ سوس لليوبوند جوستينار، ص.ص.102-104.
[5] الطيب أيت البيض، م.س، ص.12.
[6] المختار السوسي، **المعسول**، ج.15، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1963، ص.195.
[7] المختار السوسي، م.س، ص.196.
[8] المختار السوسي، م.س، ص.196.
[9] المختار السوسي، **الرؤساء السوسيون في العهود الأخيرة**، نقلا عن موقع التجديد المنشور بتاريخ 2008/03/31.
[10] إمتدت مدة توليته على للقيادة الحاحية ما بين 1882 إلى 1890.
[11] المختار السوسي، م.س، ص.196.
[12] المختار السوسي، م.س، ص.196.
[13] رواية شفوية نقلا عن الطيب أيت البيض.

**4: المخزن والقيادة الكلولية.**

منذ ظهور إشعاعها بمنطقة حاحا، سعت القيادة الكلولية للحفاظ على قوتها ومكانتها بالمنطقة، إذ تقوت شوكتها منذ بداية مراحلها الأولى على عهد المحجوب بن أحمد الذي لم يقتصر مجال تحركه على حاحا فقط؛ بل كان عين في الجيش المرابط في أيت بعمران[1]، وأكثر ما يدل على قوتها وحفاظها على أمن المسالك بمجالها، هو ماحظيت به من مكانة خاصة لذا المخزن، وذلك ما تبرزه جملة الرسائل السلطانية التي تبادلها المخزن مع القائد المحجوب والتي بلغ عددها 12 رسالة[2]. هذه العلاقة القوية التي حافظت عليها القيادة الكلولية بمجالها، لم تنقطع قط، بل إستمرت خاصة بعد مرحلة ما بعد القائد المحجوب بن أحمد، لتاخد طابعا أخر من التوسع والقوة على عهد القائد سعيد الكلولي.

**5: العلاقة بين حاحا وسوس.**

إرتبطت حاحا بمجال سوس كثيرا، وكانت العلاقة بين المجالين متكاملة وفي دينامية مختلفة، إذ العلاقة بين المجالين يجمعها ماهو سياسي وتجاري[3]، حيث كانت "**الصويرة ميناء سوس وإيليغ مستودع السودان**"[4]، ما جعل العلاقة بين المنطقيتين ترتكز بوجه خاص على التجارة، ومن ذلك تردد الحاحيين على أسواق مواسم تزروالت[5]، ودخولهم في تبادلات تجارية همت العديد من المواد (العنبر، البخور، قماش السوادان، ريش النعام، العبيد...)[6]. بل إن هذه العلاقة بين المجالين السوسي والحاحي كما شبهها جوستينار، بكونها أقرب ما تكون إلى علاقة الفارس بالجواد[7]، وهذا ما جعلهما في فاعلية مشتركة؛ بين التأثير والتأثر. غير أن الحاحيين سيغيروا من هذه المعادلة بحضورهم القوي بسوس زمن القائد الحاحي سعيد الكلولي[8].

**ثالثا: محطات من شخصية القائد سعيد الكلولي الحاحي.**

***1*) تولية القائد سعيد الكلولي على قيادة حاحة.**

تولى القائد سعيد الكلولي[9] أمور القيادة الحاحية، وذلك بعد وفاة اخيه المحجوب بن أحمد. إذ عينه السلطان المولى الحسن قائدا على قبائل إداوكلول وأيداوتغومة وأيت أمر[10]، وذلك بظهير رسمي نورد نصه بالتفصيل: "**خدامنا الأنجاد إداوكلول وإداوتغومة وإداوكازو وأيت أمر من حاحا، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمةالله وبعد، فقد ولينا عليكم خديمنا القائد سعيد بن أحمد الكلولي وأسندنا إليه النظر في أموركم فنأمركم أن تسمعوه وتطيعوه فيما أولياناه من الأمر والنهي من أمور خدمتنا الشريفة أسعدكم الله به وأسعده بكم ووفق اكل لما فيه رضاه والسلام**"[11]. وهذا القائد هو أشد القياد الذين تعاقبوا على حكم هذه القيادة الحاحية، كما أن ميزة عهده هي توسع إيالته حتى بلوغها سوس، ومما يذل على هذه الشذة ما أورده المختار السوسي عنه بقوله "**وهذا هو العفريت النفريت الذي زعزع سوس سنوات**"[12]، إذ إستطاع هذا القائد المخزني أن يضع لنفسه مكانة خاصة عند المخزن، "**إذ استطاع أن يصل ما بينه وبين الوزير الديكتاتور أحمد بن موسى، فجعله أحد قائدين حكوميين بعثهما إلى سوس إثر إستقراره بمحجوبه مع المولى عبد العزيز بمراكش**"[13].

***2*) توسعات سعيد الكلولي نحو إداوتانان واكـادير.**

تعززت قوة القائد سعيد الكلولي بمجال حاحة منذ توليته على رأس القيادة، إذ سعى إلى توسيع نفوذه خارج

---

[1] المختار السوسي، م.س، ص.196.
[2] انظر تفاصيل هذه الرسائل في المعسول، ج.15، 197.
[3] ليوبولد جوستينار، **شذرات من تاريخ سوس الأدبي والسياسي خلال القرن التاسع عشر**، دراسة وتحقيق: محمد الصالحي، ترجمة وتقديم: حسن الطالب، عبد السلام أقلمون، االطبعة الأولى، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2016، ص.102.
[4] ليوبولد جوستينار، م.س، ص.102.
[5] ليوبولد جوستينار، م.س، 102.
[6] ليوبولد جوستينار، م.س، ص.102.
[7] ليوبولد جوستينار، م.س، ص.91.
[8] ليوبولد جوستينار، م.س، ص.105.
[9] إمتدت فترة توليته على القيادة الحاحية ما بين 1890 إلى 1901.
[10] الطيب أيت البيض، م.س، ص.14.
[11] ظهير من السلطان المولى الحسن للقائد سعيد الكلولي المؤرخ في 22 صفر عام 1308هـ/1890م، نقلا عن أيت الطيب البيض.
[12] المختار السوسي، م.س، ص.205.
[13] المختار السوسي، م.س، ص.205.

حاحا، وذلك بإلحاق مجالات أخرى واسعة بها، ومنها بشكل خاص إداوتانان وأكادير، إذ نستشف ذلك هذا المسعى للتمدد الذي سنحت به الفرصة للكلولي لتحقيقه؛ من خلال رسالة مخزنية، تمحورت حول حث الكلولي بالإهتمام الطريق التجارية بين أكادير والصويرة وتفويته أمر ضمان أمنها، وكذا وعد السلطان له بتفويضه تدبير أمور أكادير بشكل كامل؛ ونص الرسالة هو كالأتي: "**خديمنا الأرضى القائد سعيد الكلولي وفقك الله وسلام عليك ورحمته وبعد، وصل كتابك مؤكدا ما قدمت الإعلام به من إستقامة الأحوال، وهناء الطريق، عدا ما رامه مسكينة وإداوتانان من إخراج الخديم الكسيمي من أكادير، وتخبر عن شيوخ الفساد بنواحيه التي من جادة طريق السويرة (الصويرة) وأشرت إلى إسناد النظر فيه إليك لإتصال إيالتك به وأن الخديم الشياظمي لازال مكبلا على ما يشتت القبائل وصار بالبال. أما إضافة أكادير إلى نظرك حتى نكون في الحوز إن شاء الله(...)**"[1].

### 3) القائد سعيد الكلولي الحاحي وسوس

#### أ: أسباب تدخل القائد سعيد الكلولي في سوس.

حاول المخزن خلال القرن التاسع عشر وضع يده على مجال سوس بشكل محكم، وإعطاء إشعاع مخزني رسمي بالمجال، وذلك باللجوء للعديد من الاساليب والوسائل، كان أبرزها القيادة الرسمية، إذ "**إعتمد على تعيين قياد/ قواد خارج المنطقة وخاصة قواد حاحة**"[2]، وخلال العهد الحسني، حاول المخزن مراعاة مبدأ تمكين أهل سوس من تدبير مجالهم بتعيين قياد محليين، إلا أن "**القواد الذين ثم تعيينهم لم يجدوا قوة يستندون إليها ليؤدوا ما كان المخزن ينتظره منهم**"[3]. هذا التردد جعل المخزن يعمد من جديد إلى ذات السياسية القديمة، وهي تمكين القياد الحاحيين من تدبير سوس، وإعطائهم التوكيل لذلك، مما جعل المخزن ينذب ممثله سعيد الكلولي كقائد على مجال سوس بهدف الوصول إليه وإخضاعه[4].

#### ب: حركات القائد سعيد الكلولي بسوس.

لقد شكل الصراع الدائر بين قبيلتي كسيمة برئاسة عبد الرحمان الكسيمي وأسرة أيت اولحيان برئاسة الحاج أحمد بن إبراهيم، فرصة فتحت الباب للقائد سعيد الكلولي للتدخل في سوس، وذلك بنصرته للكسيمي وإقصائه لأسرته أيت أولحيان[5]، ولم يكتفي الكلولي بذلك فقط، بل إن السلطان أرسله بغاية ضبط الأمن وجمع الجبايات بسوس بعدما ثارت القبائل على قيادتها بعد حركة المولى الحسن[6]. وقد تعددت الحراك والمحال التي قادها الكلولي ضد قبائل سوس، والتي إستمرت مدة طويلة، دخل فيها في حروب طاحنة مع هذه القبائل بهدف إخضاعها؛ خاصة منها قبائل الجبل، ومن ذلك المحلة[7] المخزنية التي قاده الكلولي بنفسه في إتجاه هشتوكة بالقرب من تابوحنايكت، والتي إنتهت بالإنقضاض عليها من طرف السكان، حيث كان ما تعرضت له هو "**عملية سطو مثيرة إلى حد سارت بها الألسنة كلها في سوس**"[8]، ما كان سببا في إنقضاض الكلولي على سوس بهدف إسترداد المحلة المنهوبة، وأبان في ذلك عن قوته وسلطته[9]. ونورد هنا بعض من الحركات[10] التي قادها سعيد الكلولي بسوس:

-حركته الأولى على هشتوكة .

-حركته على أهل المعدر ورسموكة.

-حركته على أهل ماسة.

---

[1] رسالة من السلطان المولى الحسن إلى القائد سعيد الكلولي، أوردها المختار السوسي، المعسول، ج.15، ص.225.

[2] الطيب أيت البيض، م.س، ص.15.

[3] المختار السوسي، إليغ قديما وحديثا، مطبعة فضالة، الدار البيضاء، 1963، ص.297.

[4] ليوبولد جوستينار، م.س، ص.105.

[5] الطيب أيت البيض، م.س، ص.15.

[6] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.76.

[7] هي التي يقودها القائد لتمهيد وإخضاع منطقة معينة.

[8] ليوبولد جوستينار، م.س، ص.106.

[9] مما يعبر عن ذلك مثال امازيغي أورده جوستينار : أترزي ن بوطبلاط أكيد إحيان أيا كيلول وتعريبه: إنهزامهم يوم بوطبلاط هو الذي خلد ذكرك أيها الكيلولي.
ثم كذلك: أكيلول أيكان الباز، إنرا كلو الطيور. وتعريبه هو: الكلوي بازي كسر كل طيور سوس.

[10] مفرد حركة. وهي الحملة التي يقودها إما السلطان أو القائد بهدف لإخضاع قبيلة معينة لطاعة المخزن.

-حركته على أهل اكلو والساحل وأيت بعمران.
-حركته على تيزنيت ودخولها سنة 1315هـ/1897م.
-حركته على إفران بتنكرت.
-حركته على ولتيتة (إداولتيت).
-حركته على بعقيلة ورسموكة.

هذه هي بعض الحراك المخزنية التي قادها القائد سعيد الكلولي بسوس، والتي تمكن فيها من إخضاع هذه القبائل بالقوة، ما نتج عنه الخراب والشدة بين الناس، "**فلا تجد دارا في تيغمي ولا إماسين إلا وقد رحل أهلها هاربين بدوابهم**"[1]، حتى صار أهل سوس من الخراب الذي لحقهم من هذا القائد أمرا مألوفا عندهم، فقد كانت شراسته وشدته مع القبائل كبيرة جدا، "**إذ لما نزل في تزنيت نتف القبائل جميعا، فلم يوقر أحادا**"[2]، بل إن المرابطين أنفسهم لم يسلموا من بطشه وبدا بهم وفتك بهم[3]، كما ان هذه الشدة لم تقتصر على القبائل التي عارضته وقاومته، وإنما شملت القبائل التي نصرته و قيادها وديارهم، "**فجاوز في الاحكام، ورجع على القبائل الذين أعانوه حتى حل بتزنيت، فأسر الخزار العبلاوي والشيخ عمر أبلغ (أبلاغ) في أخرين يقربون لمائة(...) ثم هدم دار القائد بهي الأخصاصي بعد ان استعصى منه وارتحل لواد نون فأوقد نار الفتنة**"[4]، ولم يقتصر عمل القائد على تدمير القبائل وتشتيت قيادها المحليين، بل عمد الكلولي إلى القبض عليهم وموافاة السلطان بهم، حيث أوصلهم في السلاسل لمراكش[5]. وقد إستمر هذا الوضع من نزول الكلولي بقاعدة المخزن بتزنيت، ووطد بها أركانه، بالرغم من قساوته على الناس، حيث "**أخد الناس من وادي سوس إلى واد نول بالغرم الشديد، والمؤن التي لا حد لها**"[6]. فضلا كذلك عن أنه "**أقعد على اكل اموال الناس، فدخل الى اموالهم من كل باب وداهمهم بمغارم لا قدرة لهم عليها**"[7]، إلا أن ذلك لم يمنعه من تعزيز نفوذه وقوته، إذ وزع القياد بالمنطقة من إخوانه الكلوليين، ليحاربو ويشيدوا الحاميات ويستخلصوا الضرائب[8]، إذ ذلك هو "**السبيل والطريقة المثلى لإظهار مدى خضوع البلاد لإمرته**"[9]، حيث تمسك بكون القبائل هي الخارجة عن الطاعة، وأن بلاد السوس لم يكن فيها صديق للمركز إلا أهل تيزنيت[10].

بالرغم من هذه الشدة التي تعامل بها الكلولي مع قبائل سوس، فهو لم يجد منها إلا الصمود والقوة، كالإعتراض الذي أبدته بعض القبائل ضده؛ كولتيتة وبعقيلة التي قاومتا غطرسته. فضلا صدامه مع القائد التزروالتي محمد بن الحسين أوهاشم، حيث "**إعترض له على وادي ماسة سيدي محمد بن الحسين أوهاشم الإليغي التزروالتي مع آل المعدر ورسموكة وماسة والساحل**"[11]، وقد كان الإليغي يسعى للحد من قوة الكلولي عبر مجابهته في الميدان، "**إذ الشريف محمد بن الحسين اوهاشم تقدم للميدان، فاجتمعت عليه قبائل ما وراء واد الغاس ليناصر هؤلاء الذين نهبوا تابوحناكت فوقعت وقعة توبوزار 1315هـ/ 1900، فكانت أخر وقعات الحروب التي عاناه الكلولي هناك، فإنهزم فيها سيدي محمد بن الحسين أوهاشم وشيعته**"[12] غير أن هذا الإعتراض لم ينجح ولم يوقف تمدد الكلولي بسوس، "**فهزمهم هزيمة شنيعة بمعونة آل تزنيت وبعقيلة وأولاد جرار والقائد دحمان بن بيروك، والقائد علي السموري(...)، كل قبيلة جائتهم من جهتها، فانفض**

[1] المختار السوسي، المعسول، م.س، 214.
[2] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.77.
[3] كان يقول: إكرامن أسند إحل منرح: ومعناه نبدأ بالمرابطين وقتما أردت شيئا.
[4] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.77.
[5] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.77
[6] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.68.
[7] شفيق أرفاك، قيادة تمنارت بين التزام المحيط القبلي والسلطة المخزنية 1706-1934، أطروحة لنيل شهادة الدوكتوراه، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 2007، ص.449.
[8] ليوبولد جوستينار، م.س، ص.108.
[9] ليوبولد جوستينار، م.س، ص.108
[10] محمد أيت الحسن، "لمحة عن فترة القائد سعيد بن أحمد الكلولي القائد المخزني على السوس ما بين 1896-1900"، مقال، 2018، ص.
[11] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.69.
[12] المختار السوسي، المعسول، ج.14، ص.113.

**جمعهم"**[1]، ولم يكتفي الكلولي بهزيمة هذه القبائل وتفريقهم شذر مذر، بل إنه أخذ بمعاقبتهم "**ففرض عليهم الجلولي عشرة آلاف ريال لكل قبيلة، فاستمر عليهم الوظيف**[2] **إلى إنتصاف عام 1318هـ/1900م"**[3]. وبحكم السياسة التي نهجها الكلولي باستعمال القوة، تدخل التمنارتي[4] بطلب إخوانه المانوزيين لضبط أمور مخزن القبيلة خوفا من بطش الكلولي الذي لن يتردد في استعمال لغة المدفع لاستخلاص الواجب(الوظيف)[5].

### ت: دور القائد سعيد الكلولي في مراقبة سواحل سوس.

بالرغم من كونه إشتغل كثيرا بحروب ضارية مع قبائل سوس، ومسعاه لإخضاعها لاحكامه، فإن الكلولي إهتم كذلكبمراقبة السواحل الأطلنتية الجنوبية للمغرب، حيث سد تغرة للمخزن كانت مصدر قلق له بإستمرار منذ بداية القرن التاسع عشر، فالسلطان دائما يلح على الكلولي عدم الغفلة عن هذا الدور والتركيز على مراقبة تسربات الأروبيون بالسواحل، وكذا الحد من تعامل قبائل المنطقة معهم، ومن ذلك مراسلة مخزنية بهذا الصدد مضمونها: "**خديمنا الأرضى القائد سعيد الكلولي. وفقك الله وبعد، فقد بلغ علمنا الشريف أن نائب الكمبانية النجليزية الذي يروم الخروج بسواحل سوس هيأ بابورا حملوا بالعدة الرومية والقرطاس. وغير ذلك من لوازم الجراحات. وعزم على الورود به للساحل المكور. بقصد النزول هنالك. زاعما أن له إتفاقا مع كبراء القبائل السوسية الخروج ثمه. وعليه فبوصوله إليك نامرك بالقيام على ساق الجد في جعل الأصفاد والعيون بسائر مراسي السواحل المذكورة والتحيل على قبض جميع من نزل من النصارى هنالك. بجميع ما معهم من العدة والقرطاس. وتحصيل الكل على يدك. ومن غير أن تفلت منهم أحدا. وإطلاع علمنا الشريف. واحذر أن تتراخى فيهذا الأمر فإنه هو نتيجة توجهك لهنالك(...)"**[6].

لم يقتصر القائد الكلولي في تنزيل تعليات المخزن في الواقع، إذ تحرك بمجرد ظهرت له إشارات قدوم النصارى للسواحل السوسية، تحرك لتنفيذ الأمر المخزني، خاصة بعد أن "**ظهرت من ناحية إصبويا من بعمرانة سفينة للنصارى خرجوا في أساكا -موضع هناك- بمشاورة بعض البعمرانيين"**[7]، إذ عجل بذلك حيث "**نهض إليها بجيوشه فقبض على أولئك النصارى وأصحابهم من البعمرانيين فدخل تزنيت فرحا ظافرا"**[8]، بل أكثر من ذلك فالقائد الكلولي لم عمد القائد لخطوة قاسية ضد تلك القبائل المتعاملة مع النصارى، وذلك في مسعى منه لذرء تعاملها مستقبلا مع الأجانب وتفادي تكرار مثل هذه التسربات، إذ قام "**بتشتيث تلك القبائل التي تتلكم مع النصارى بتخريب دريارهم وجلائهم عن موطنهم"**[9]، كما أنه قام بإرسال ما قبض عليه من النصارى للسلطان، حيث قام "**بتوجيه النصارى المقبوض عليهم بأصبوية لعامل السويرة"**[10].

### ج: تنحية القائد سعيد الكلولي عن القيادة المخزنية.

تمكن القائد سعيد الكلولي منذ توليته على قيادة حاحة، على ضبط مجال حاحة وتقوية شوكة المخزن بها، كما تمكن هذا القائد من مد نفوذه على مجال سوس وإحكام قبضته عليها وإخضاع قبلئها عنوة وبالشدة. غير أن هذه السيطرة وبسط يد المخزن بسوس، خاصة في ظل تزايد المدد المخزني له لم تكن لتتحقق دون أن ترافقها ردود فعل محلية بسوس، والتي جاءت نتيجة لشكاية آل سوس للمخزن[11]، وتذمرهم من أفعال الكلولي ضدهم، "**إذ شكي للسلطان المولى عبد العزيز، فأمر له بالرجوع**

---

[1] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.69.
[2] يقصد بها المغارم والكلف التي يتم فرضها على السكان.
[3] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.69.
[4] أي القائد عبد الرحمن التامانارتي قائد دار تامانارت بالشرق (باني).
[5] شفيق أرفاك، م.س، ص.451.
[6] المختار السوسي، المعسول، م.س، 227.
[7] المختار السوسي، المعسول، م.س، 208.
[8] المختار السوسي، المعسول، م.س، 208.
[9] المختار السوسي، المعسول، م.س، 208.
[10] المختار السوسي، المعسول، م.س، ص.226.
[11] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.69.

**بعد أن فضح وفضح وقتل من إخوانه عدد لا يحصى"**[1]، خاصة بعد وفاة الوزير أحمد بن موسى وزير السلطان[2]، الذي كان يماد الحبل للكلولي[3]، الأمر الذي عجل بالمخزي في الإستجابة لهذه الشكاوى وإرسال توبيخ للكلولي في عدة مناسبات؛ كان منها التوبيخ الرسمي بعد أن رفضه أمرا من المركز لشد عضد التامانارتي لإخراج المربطين[4] من من مدشر إيشت[5]، الامر الذي سيفضي بقرار مخزني ضد الكلولي بعد تدخله مرات عدة مرات بسوس بدون إذن رسمي[6]، وبذلك "**كتب السلطان المولى عبد العزيز للجلولي أن يرجع لبلده حاحة"**[7].

أمام تزايد تذمر قبائل سوس من الشدة ولغة المدفع التي نهجها الكلولي تجاهها، دخل العلماء بدورهم على خط معارضة الكلولي، خاصة بعد توسع حملاته على الجبل[8]، إذ سيصدر العلماء العديد من التنديدات لهذه السياسية المخزنية بسوس، حيث يتضح ذلك جليا على لسان الفقيه الأدوزي، إذ "**قيل للسلطان إن كان له رغبة في السوس فداركه(...)ثم تبين أن ذلك العسكر (من مراكش) جاء مددا"**[9]، بل أكثر من ذلك نجد موقفا أخر للأدوزي يحث فيه القبائل على وجوب الدفاع عن نفسها في وجه الغطرسة وشدة القائد الكلولي، ومن ذلك قوله: "**لم يطلب السوسيون نكث خلافة السلطان، ولا عزله ولا منعوا دفع الزكاة، ولا ما يدفع لبيت المال، والسلطان لا يقاتل إلا من بغى عليه بهاتين. وما عداهما يجوز للرعية أن تدافع عن نفسها"**[10].

لم يتمكن القائد سعيد الكلولي من إخفاء تذمر القبائل السوسية تجاه معاملته لها، بل أكثر من ذلك إصطف بعض القياد بجوار قبائلهم في شكوى القائد للسلطان، ومنهم القائد دحمان بن بيروك الذي "**يوالي إلى الحكومة الشكايات"**[11]، الأمر الذي أفضى إلى إقلاع الكلولي من سوس كليا في ربيع الأول 1318هـ/1900م[12]، فانتهى بذلك زمن من حكم هذا القائد لسوس والذي عاني منه الصغير والكبير، "**فلقد خرب سوس وأكل زواياه وخرب مدارسها وفعل أفاعيل تصم وتبكم"**[13]، وقفل منها وكأنه لم يكن بها أبدا، "**فلم ينفعه ما كان يواليه من الأموال والعبيد والمال والبغال والخيل إلى رجالات دار المخزن"**[14]، وكما يقال كما تدين تدان، أنهى الكلولي مساره الطويل ذليلا بيد المخزن، بل إن السجن كان يلحقه كغيره من القياد المخزنيين الكبار لأنه مغضوب عليه من طرف الحكومة[15]. فكانت نهايته أن إستنصح الشيخ الإليغي الذي دخل معه مدة طويلة من الصراع، إذ "**أشار عليه أن يثوب إلى الله فيما بينه وبينه أولا وأن ينوي الحج"**[16]، وقد كان من حسنات ذلك أن الكلولي عمل بنصيحة الإليغي ثم لم يكد يرجع من حجته حتى وفاه أجله 27 شعبان 1319هـ/1900م[17]. وقد ترسخت صورة هذا القائد في الاذهان بسوس، ومن هذه الردود السلبية تجاه الحاحيين بسوس، والتي تركها سعيد الكلولي في ذاكرة السوسيين، نورد بعض الأشعار التي أوردها جوستينار حول هذه التذمر والإمتعاض من غطرسة القياد الحاحيين:

---

[1] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.77.
[2] المختار السوسي، المعسول، م.س، ص.218.
[3] المختار السوسي، م.س، ص.232.
[4] نسبة لقبيلة أيت أمريبط التي تنتمي للف تاحكانت، وهي قبيلة عاصمتها تيزونين بأقا، ويمتد مجالها من إشت إلى تازولت بطاطا.
[5] محمد أيت الحسن، م.س، ص.10.
[6] شفيق أرفاك، م.س، ص.460.
[7] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.69.
[8] يلاحظ هنا أن العلماء لم يصدروا موقفا موحدا ورافضا لسياسة الكلولي، إلا عندما دخل الجبل وإخترقه عكس السهل. وهذا ما يفسر بكون الجبل دائما هو الخط الأحمر للسوسيين في الحملات المخزنية.
[9] شفيق أرفاك، م.س، ص.457.
[10] شفيق أرفاك، م.س، ص.457.
[11] المختار السوسي، م.س، ص. 231.
[12] المختار السوسي، م.س، ص.231.
[13] المختار السوسي، م.س، ص.218.
[14] المختار السوسي، م.س، ص.232.
[15] المختار السوسي، م.س، ص.232.
[16] المختار السوسي، م.س، ص.232.
[17] المختار السوسي، م.س، ص.231.

أشاع الحاحيون الهول بين السوسيين، وكذا فيما بينهم

مات أغنـــــــــــــــــاج وعن حكمه رووا لنا

ترك قصورا عاث فيها الخراب ولـــــــم تعمر بعد

أين مـــــــــولاي إدريس؟ لقد ثم إستبداله هو أيضا

أما الحـــــــــاج عبد الله أوبيهي فقد قيل عز نظيره

نزل الكلـــــــــــــــــولي وحكم حتى أيت أوسا

وعندما رحـــــــــــل سبا العبيد، والجمال، والخيل

ثم ولى علينا شيوخـــــــا، فأتوا على البقية الباقية

ولـــــــــم ينج من بطشهم أحـــــــــــــــــد

**خلاصة.**

لقد نهج المخزن في تدبيره للمجالات البعيدة عن مركزه، سياسة متسمة بالشدة تارة وبالليونة تارة اخرى، غير ان الغالب في هذه السياسة تجاه مجال سوس هي الشدة؛ والتي يُفعِلها القياد المخزنيين المعينين على سوس منذ القرن التاسع عشر، وقد جسد القائد سعيد الكلولي هذا النموذج القوي من القيادات المخزنية، التي يتم تقوية عضدها من أجل إعطاء إشعاع أكبر للمخزن بهذه المجالات البعيدة عن الأطراف. لكنه يظهر أن هذه السياسة لايستمر مفعولها في تدبير المجال، خصوصا في مراحل ضعف المركز، الأمر الذي ينعكس سلبا على الأطراف، ومن ذلك ما حصل للسوس بعد وفاة المولى الحسن الاولى 1894م، ودخول المغرب مرحلة حرجة بعد دخول الأخوين عبد العزيز وعبد الحفيظ في صراع حول الحكم، لاسيما بعدما "**حل على المخزن من تشويش أبي حمارة وإفتراق الكلمة ثمة(...) فتونسي لذلك أمر السوس، فدخله السوس**"[1].

[1] محمد بن أحمد الإكراري، م.س، ص.95.

# الفعل الثقافي بالمدينة ورهان التنمية
## نحو مدخل ثقافي تنموي

ذ.ايت خليفة امبارك
باحث بسلك الدكتوراه، شعبة علم الاجتماع،
جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط/ المغرب

### تقديم:

يعتبر الفعل الثقافي بصفة عامة أهم موضوع تدرسه العلوم الإنسانية بمعظم فروعها، ويحتل الفعل الثقافي باعتباره نوعا من بين أنواع الأفعال الإنسانية مكانة أساسية ومهمة في ذلك؛ حيث هو فعل تتداخل فيه مجموعة من الأبعاد والرؤى. فهو من جهة فعل حامل لأبعاد ثقافية تعكس الزاوية الثقافية للإنسان، وهو من جهة ثانية فعل يحمل في طياته أبعادا تعكس الواقع الاجتماعي للمجتمع البشري، ومن جهة ثالثة يعتبر الفعل الثقافي أهم منفذ أو مظهر يمكن أن يفتح أمام الفاعلين في المدينة أفاقا من أجل تحقيق تنمية فعلية ومستدامة في المدينة.

لا يمكن إذن لأي مهتم بالعلوم الإنسانية أن ينكر الدور الأساس الذي يلعبه الفعل الثقافي في تشكيل آليات التواصل والاندماج بين الأفراد والجماعات، وكل ما يتعلق بإنتاج القيم والأنساق الفكرية. وتزداد أهمية هذا الفعل الثقافي عندما نتحدث عن مجالات جغرافية بعينها. الأمر الذي دفعنا إلى تقديم هذه الورقة البحثية حول الفعل الثقافي بالمدينة ورهان التنمية ، حيث سنحاول أن نرصد من خلالها طبيعة الفعل الثقافي في المدينة وبعض مظاهره، مع تحديد الفاعلين فيه من جهة، ومن جهة أخرى سنحاول أن نقف على الفعل الثقافي باعتباره آلية مهمة تساعد في تسويق المدينة ثقافيا، وبالتالي تساهم بشكل كبير في تحقيق التنمية التي ينشدها الجميع.

### المحور الأول: نحو مساءلة وبناء المفاهيم:

يشكل تحديد المفاهيم الصعوبة الأولى التي يصادفها الباحث في العلوم الاجتماعية بشكل عام؛ ويرجع ذلك بالأساس إلى غموض المصطلحات المتداولة في هذه الدراسات، وهذا الغموض قد يكون نتيجة لأسباب كثيرة، ترتبط إما بإهمال تحديد تلك المفاهيم باعتبارها واضحة بذاتها، أو لصعوبة واستحالة تحديدها1، لذلك غالبا ما يفضل الباحث في مثل هذه الدراسات، تجنب استعمال تلك المفاهيم والمصطلحات انتظارا منه اتضاح أمورها وحيثياتها. لذلك نصطدم في العلوم الاجتماعية بشكل عام وعلم الاجتماع على الخصوص، بجدار سميك عندما نحاول أن نبحث في تحديد المصطلحات المتداولة فيه. لكن هذا كله لن يمنعنا من الحديث عن تلك المفاهيم، ولعل من بينها مفهوم الثقافة والتنمية.

### 1: مفهوم الثقافة:

1بوشنفاتي بوزيان، **في التحضر والثقافة الحضرية بالمغرب دراسة في البناء الاجتماعي لمدن الصفيح**,منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي ،ط 1،1988،ص7.

يعد مفهوم الثقافة من بين المفاهيم الشائعة بشكل كبير؛ حيث تتداخل فيها العديد من التخصصات سواء الانثربولوجية أو السوسيولوجية والتاريخية والتنموية...الخ، ولعل هذا التداخل هو ما جعل هذا المفهوم يحمل دلالات متعددة باختلاف الحقل المعرفي المؤسس له.

عندما نتأمل في مفهوم الثقافة Culture نلاحظ أنه له دلالات متعددة، فهو من جهة يدل على التربية والتكوين، وهناك من يجعله مطابقا للفظ الحضارة، لأن الثقافة هي فعل التحضير وهي حالة ما هو متحضر. بمعنى أن الثقافة هي مجموع الأدوار والعادات الناتجة عن الفعل المتبادل بين الفنون الصناعية والدين والفن والعلم، وهناك من يحصر مفهوم الثقافة في معنى الشخصية المتعلمة أي كفرد له ثقافة، والذي تعوّد على الأشياء التي تنتجها الحضارة. فالمثقف حسب هذا المنظور هو الإنسان الذي له تكوين خاص يمكنه من التعود على ما تنتجه الحضارة[1].

هكذا يبدو بأن مفهوم الثقافة يختلف باختلاف الدلالات والسياقات والأبعاد التي تحكم معناها، وكيف لا وكلمة الثقافة من بين الكلمات الأكثر جدلا وتداولا؟، إلى درجة أن أحد الانثربولوجين الامريكين يشير إلى وجود مائة وستين تعريفا مختلفا لهذه الكلمة. وانتهى عالم أخر إلى إحصاء مائتين وخمسين تعريفا(...). إن هذا التضخم في التعاريف يغذي ويبرر كل الجدل والاختلاف القائم حول هذا المفهوم[2].

إن مفهوم الثقافة اليوم أصبح مفهوما متعدد الدلالات والمضامين، وذلك راجع إلى تعدد استعمالاته ومجالات تداوله واستخدامه. لكن يمكن التذكير أن الثقافة بمفهومها المتداول في العلوم الاجتماعية؛ قد ارتبطت أساسا بالانثربولوجية، في الفترة التي نشط فيها الاستعمار وحركة الاستكشافات الجغرافية، حيث سيدخل مفهوم الثقافة قاموس العلوم الاجتماعية في ارتباط مع النظرية التطورية التي ترسخت في الانثربولوجية من سنة 1877 وذلك تحت تأثير كتاب الانجليزي(موركان لويس L. Mourgan)، والذي كان له تأثير كبير على بنية المفاهيم في الحقل الانثربولوجي[3]، غير أن مفهوم الثقافة سيترسخ بشكل كبير مع الانثربولوجي الإنجليزي أيضا "ادوارد تايلور"؛ الذي ذهب مؤكدا أن الثقافة هي "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة، والمعتقدات، والفنون، والأخلاق، والقانون، والعرف، وغير ذلك من المقدرات والمهارات، التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع، فالثقافة بهذا المعنى ليست هي فقط عملية تكيف أو إضافة إنسانية على الوجود الطبيعي، بل هي سلوك الإنسان نفسه، وكل ما يخضع لأساليب وقواعد نمطية محددة بشكل مسبق، والتي تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق التربية والتعلم. فالثقافة إذن سلوك نمطي خاضع لقواعد وقوانين تستمد مشروعيتها من المجتمع، الذي يسهر على حياتها واستمراريتها عن طريق التربية والتنشئة. هكذا يكون "ادوارد تايلور" أول من استطاع وضع تعريف عام لمفهوم الثقافة؛ الأمر الذي سيجعل من هذا المفهوم مترسخا ومتجذرا في كل العلوم الإنسانية؛ لأنه تعريف واضح وشامل، ويتناول الثقافة من حيث هي تعبير عن الحياة الاجتماعية الكلية للإنسان، ومن حيث هي قدرات ومهارات وعادات وتقاليد تكتسب في الجماعة وغير متوارثة بيولوجيا[4].

وقد تبنت منظمة اليونسكو في المؤتمر العالمي حول السياسات الثقافية المنعقد بالمكسيك سنة 1982، تعريفا للثقافة لا يختلف كثيرا عن تعريف "تايلور" والذي يقول :"يمكن اعتبار الثقافة اليوم هي مجموع الخصائص الروحية والمادية والفكرية والعاطفية المميزة لمجتمع أو

1الفيضل العيرج، **الثقافة الحضرية ومشاكل الإندماج السوسيو ثقافي**، طبع الرباط نيت، 2009،ص:8

[2] P .H.C.De lauwe ;**la fin des villes** ;ed.Calman Lévy. Paris ;1982 ;p83

[3]عبد الرحمان المالكي؛**الثقافة والمجال دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب**،منشورات مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية،2015،ص:43

[4]نفس المرجع،ص:44

مجموعة اجتماعية ما، وهي تشمل فظلا عن الفنون والآداب أنماط العيش والحقوق الأساسية للإنسان، ونظم الأخلاق، والتقاليد والمعتقدات.

من خلال هذه التحديدات التي قدمناها- ولا ندعي أننا قدمنا كلها-؛ نستنتج أن الثقافة ظاهرة كلية تشمل كل مظاهر الحياة سواء تلك المتعلقة بالنشاط العقلي الفكري للإنسان، أو كل ما يتعلق بالمظاهر المادية الملموسة من الانتاجات البشرية. ومن تم فالثقافة كمفهوم تشمل كل يتعلق بالحياة الإنسانية في مختلف جوانبها الروحية والعاطفية والمادية ...الخ، وهي مجموع قواعد وأساليب السلوك البشري التي تعكس سمات الثقافة. ولعل معرفة هذه السلوكات والأساليب يبقى الرهان الأساس من أجل تحقيق أي تقدم أو أي تنمية سواء بشرية أو ثقافية أو اقتصادية...الخ. لذلك فلا محال تشكل الثقافة عنصرا ومحورا فعالا لتحقيق تنمية أي مجال أو مجموعة اجتماعية. ولعل هذا هو المبتغى الذي نسعى إلى توضيحه في هذه الورقة.

## 2: مفهوم التنمية:

ما قيل حول مفهوم الثقافة، يمكن قوله كذلك حول مفهوم التنمية، هذا الأخير يعتبر من بين المفاهيم الأكثر تداولا اليوم، بين جميع حقول المعرفة العلمية سواء الإنسانية أو الطبيعية، لذلك لا بد من التذكير أولا أننا سنحاول هنا أن نعالج فقط بعض معانيه ودلالاته، ولا ندعي بأننا سنحيط بكل حيثياته؛ وذلك راجع إلى أن المقام هنا لا يناسبنا لذلك.

إن ظهور مفهوم التنمية ارتبط في حالته الأولى زمنيا بالقرن الماضي، ومع مرور الوقت تطورت العلوم وخاصة الاقتصادية والاجتماعية، فتطور بذلك المفهوم وتعددت دلالته وأبعاده، بل وتشابكت ضمن علوم ونظريات متفاوتة ومختلفة. وما لبث أن استقر المفهوم حتى توزعته النظريات المختلفة، فانقسمت على نفسها ضمن نفس الإطار الذي يشكل ماهية وجوهر مفهوم التنمية. وفي هذا الإطار يعتبر الرئيس الأمريكي "هاري ترومان" أول من استخدم لفظة التنمية في خطابه الافتتاحي أمام هيئة الأمم المتحدة في 20يناير سنة، وإن لم يكن معروفا بالمعنى والمفهوم المتداول اليوم، لقد كان خليطا بين التجارة والرفاه الاجتماعي ومقرونا بالحرب الباردة والتنافس العالمي، وكثيرا ما كان مقرونا بالنمو الاقتصادي مع إغفال الجوانب الاجتماعية والثقافية. وفي ظل تسارع وتيرة النمو الاقتصادي وتطور الاكتشافات العلمية وخاصة التكنولوجية، سعت مختلف دول العالم للتحرك نحو الاستجابة لمطالب شعوبها، فكان لزاما التحرك لتحقيق تنمية في شتى مناحي الحياة تعبر عن طموحاتهم وإرادة دولهم.

وقد نص تقرير التنمية البشرية الصادر عام(1990) عن الأمم المتحدة أن التنمية تعني: عملية توسيع الخيارات أمام الناس، وأهم هذه الخيارات تحقيق حياة طويلة خالية من العلل، واكتساب المعرفة، والتمتع بعيشة كريمة، والحرية السياسية، وضمان حقوق الإنسان لذاته، والتركيز على تطوير القدرات البشرية، واستخدام هذه القدرات في الإنتاج. وتأسيسا عليه فالتعريف الذي أخذت به هيئة الأمم المتحدة والذي يوافق إلى حد ما خصائص المجتمعات هو: "التنمية هي تلك العمليات التي يمكن بها توحيد، ودمج جهود المواطنين، والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات، ولمساعدتها على الاندماج في المجتمع، والمساهمة في تقدمه بأقصى قدر مستطاع؛ وبالتالي فالتنمية عملية شاملة متكاملة يتوقف نجاحها على ما يقوم به البشر من جهد متعدد الجوانب والأشكال.

يبدو انطلاقا مما تم تقديمه أن مفهوم التنمية غالبا ما يتم مقاربته من منظور اقتصادي خالص، غير أن مفهوم التنمية مفهوم شامل ويتسع ليشمل مجموعة من الجوانب الأخرى، حيث يجب أن يشمل كذلك إحداث تغير ثقافي عام، وتغيرات محددة في البناء الاجتماعي القائم، إن كليهما يؤثر في الأخر ويتأثر به. ومن وجهة نظر سوسيولوجية يبدو أن مفهوم التنمية يحيل على تلك

العملية التي تُبذل بقصد ونية، ووفق سياسة عامة، لإحداث تطور اجتماعي واقتصادي. بمعنى الذي يحقق المصلحة العامة للمواطنين وبيئاتهم، سواء كانوا في مجتمعات محلية، أو إقليمية، أو دولية، بالاعتماد على مجموعة من المجهودات والاستراتجيات الوطنية، والمحلية المنسقة، على أن يكتسب كل منها قدرة أكثر على مواجهة تحديات ومشاكل المجتمعات.

هكذا إذن يمكن أن نخلص إلى أن مفهوم التنمية من المفاهيم التي يصعب بها، وذلك راجع إلى التغيرات والمحددات التي تتحكم فيها، فالتنمية عند رجل الاقتصاد رهينة بكل ما يتعلق بالجانب الاقتصادي؛ كالرفع من مستوى الدخل، بينما عند رجل السياسية تتحكم فيها الأبعاد السياسية، بينما من زاوية نظر سوسيولوجية؛ فالتنمية هي عملية وغاية نبيلة، ذات فعالية على مستوى بينية المجتمع، والتي تُحدث تغيرات ملحوظة على مستوى المعيشة، وتحسين ظروف المجتمع. لذلك لا محال سنقول بأن التنمية تعد من بين أهم الأبواب والمداخل التي يمكن للجهات المعنية بتدبير شؤون عامة الناس أن تأخذ بها، ولعل من بين المنافذ الأساس لتحقيق ذلك؛ النهوض بالثقافة المحلية كعامل مباشر وفعال في تحقيق التنمية المنشودة.

## المحور الثاني: البعد الثقافي والمشاريع التنموية بالمدينة:

### 1: العلاقة الجدلية بين الفعل الثقافي والتنمية:

إن أي حضارة بما لديها من مظاهر مادية أو لا مادية، تقوم ركائزها على ثقافة ما، تؤهلها لأن تتبوأ مكانة متميزة بالتفوق على ما عداها من المجموعات البشرية، التي لم يحفظ التاريخ لها ذكرا ولا أثرا. فالثقافة من أهم المداخل الأساسية التي تشكل رافعة مهمة نحو تحقيق التنمية، باعتبار أن النهوض بالثقافة هو الذي يمكن أن يقوي وأن يعزز التنمية داخل المجتمعات، وخاصة إذا علمنا بأن الاهتمام بالثقافة هو سر تطور وتقدم الشعوب على مر التاريخ. لذا لا بد من وجود مقاربات إستراتيجية وعقلانية للتسلح بالشجاعة اللازمة لكشف كل أسباب التعثر، ونهج سياسة تنموية فعالة ذات تأثير واضح على كل البنيات الاجتماعية وغيرها.

إن هذه الأهمية القصوى للفعل الثقافي في تحقيق التنمية المنشودة، هو ما أكدته العديد من الدول والحكومات والمنظمات الدولية، هكذا دافعت منظمة اليونسكو عن قضية عدم جواز "الطلاق الجدلي" بين الثقافة والتنمية في سياق التقرير الثقافي العالمي، وما صدر عنه من وثائق عن "الثقافة والإبداع والأسواق" عام 1998م، وعن "التنوع الثقافي الخلاق" والتنوع الثقافي والصراع والتعددية" عام 2000م، بما تضمنته من تقارير فرعية حول الثقافة والنمو الاقتصادي، والعمليات السوسيوثقافية على المستوى الكوني، والسياسات الثقافية. لهذا تولدت قناعة بأهمية الاعتراف بالبعد الثقافي ضمن منوال التنمية. على هذا الأساس وفي البحث عن العلاقة الجدلية بين التنمية والثقافة يتحدد المدخل الثقافي للتنمية كجهد وفعالية تنموية، حيث يرتبط بالسياسات الإستراتيجية المتصلة بتحسين أو تحويل الوسط الثقافي الذي يتحرك ضمنه الفرد والجماعات، مع الرفع من مستوى معيشتهم وقدرتهم على المشاركة في القرارات المصيرية المتصلة بحياتهم[1]. لا جدال إذن في أن التطور الثقافي والتنمية وجهان لعملة واحدة، إن الثقافة هي الوجه الأخر للمشروع الحضاري حيث ذهب "ديفيد لاندس" إلى أن فهم التنمية الاقتصادية يتم عبر المكون الثقافي، وبالتالي فإن الأخذ بالفعل الثقافي وحسن تدبيره شرط أساسي لكل تطور وتنمية شاملة. بل أكثر من ذلك يمكن أن نقيس التقدم والتطور بمدى الاهتمام بالفعل الثقافي، كما أن التخلف والتدهور يمكن أن يتمثل في عدم تقدير قوة الثقافة باعتبارها عاملا مؤثرا وفاعلا في إنجاز المشاريع التنموية.

[1] محمد الزرهوني، ومحمد البقصي، **الثقافة ورهانات التنمية**، منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو، 2011، ص22

## 2: البدائل الكفيلة بخلق تنمية محلية:

بعد تبيان العلاقة الجدلية بين تدبير الفعل الثقافي وتحقيق تنمية محلية أكثر فعالية، سنعمل هنا على تبيان أهم البدائل التي يمكن أن تساهم في تحقيق نهضة ثقافية محلية كفيلة بجعل المدينة تتبوأ مكانا هاما ضمن المشهد الثقافي المغربي عامة.

### أولا: مأسسة وعقلنة الفعل الثقافي:

إن مأسسة وعقلنة الفعل الثقافي أهم إستراتيجية لتحقيق الغاية المنشودة؛ وهي التنمية المحلية المستدامة، غير أن ذلك يستدعي استحضار مجموعة من الممارسات والأساليب، ولعل من بينها جعل الفعل الثقافي حاضرا باستمرار لدى أصحاب القرار، والتخطيط، والفاعلين المدنين، ومنتخبي المدينة، إضافة إلى العمل على التنسيق مع كل المؤسسات الفاعلة في هذا المجال، لسن سياسة ثقافية أكثر وضوحا وعقلانية، وتجاوز كل الممارسات الارتجالية، التي لا تترك أي فاعلية لتحقيق تلك الغاية. حاصل القول إذن فإن مأسسة وعقلنة الفعل الثقافي بالمدينة يتم عبر سن استراتيجيات هادفة وأكثر عقلية، ويبقى ذلك من بين الركائز الأساس لتحقيق الغاية المنشودة؛ وهي النهوض بالفعل الثقافي بالمدينة وبالتالي تحقيق التنمية المنشودة. إن هذه الإستراتجية أو بالأحرى هذا الفعل، خاص برجالات السياسة والتخطيط، التي عُهد إليها أن تسهر على تسير وتدبير شؤون المدينة، لذا لابد وضع مخططات عقلانية وفي قالب مؤسساتي لجعل الفعل الثقافي في المدينة بوابة أساسية لتحقيق التنمية المحلية.

### ثانيا: توسيع دائرة مراكز البحث حول الثقافة والتنمية بالمدينة:

من المعلوم أن اثنان لا يمكن أن يختلفا حول أهمية البحث العلمي في النهوض بالأوضاع الإنسانية عامة، بل أكثر من ذلك إن سر تقدم الأمم وتطورها رهين بتطوير أبحاثها العلمية، وخلق مراكز لهذا الشأن. وإذا حاولنا استنطاق الدراسات العلمية الانثربولوجية أو السوسيولوجية الكلاسكية أو المعاصرة منها، سنجد هذه النقطة حاضرة بشكل كبير؛ حيث أكد العديد من الانثربولوجيين من قبيل "ادوارد تايلور" أن الثقافة عنصر أساس وفعال في حياة المجتمع، لذا لا محال من الاهتمام بهذا عبر توسيع دائرة مراكز البحث وتشجيع كل البحوث العلمية والندوات الفكرية التي تهتم بالفعل الثقافي. إضافة إلى خلق وإنشاء مكتبات محلية تساهم في خلق دينامية ثقافية بالمدينة، بل أكثر من ذلك تعمل على حفظ تاريخ المدينة الغني. فسر تقدم المجتمعات يتمثل في النهوض بأوضاعها الثقافية لا بتهميشها، بل إن المجتمعات تعرف اليوم بثقافتها وغناه وليس بغير ذلك.

### ثالثا: وضع مخططات ثقافية أكثر وضوحا:

يبدو أن معظم المدن والدول غالبا ما تلجأ إلى وضع مخططات أكثر وضوحا وعلى مدى بعيد، وخاصة على مستوى التعمير والبناء والفلاحة وغيرها.. غير أننا غالبا ما نغفل مخططات حول الثقافة، وحتى إن وجدت غالبا ما تكون جد محتشمة. والحال عكس ذلك، وجب وضع مخططات أكثر وضوحا وفعالية وعلى مدى بعيد من أجل تدبير الفعل الثقافي، وهذا موكول بطبيعة الحال لكل الفاعلين في المدينة.

### رابعا: الحفاظ على التنوع الثقافي وتثمينه:

لا يختلف اثنان على أن المدينة بصفة عامة كفسيفساء من الثقافات المختلفة. إن هذا التنوع ركن أساسي وفعال في تحقيق التنمية المنشودة، لكن إذا أُخذ بعين الاعتبار وليس بعين الإقصاء والتهميش. لذا وجب استحضار هذا التنوع الثقافي في المخططات الحضرية للمدينة. لذلك فالاهتمام بهذا التنوع الثقافي وتثمينه، بل أكثر من ذلك محاولة البحث عن سبل تجعل منه تراثا عالميا مصنفا، كفيل بتحقيق الغاية المنشودة التي هي التنمية المحلية.

### خامسا: تنويع أبعاد الفعل الثقافي:

إن الملاحظ اليوم لكل برامج ومخططات السياسة الثقافية بكل المدن المغربية يمكن أن يسجل وبشكل كبير

غلبة الفعل الثقافي الترفيهي(المهرجانات، والمسارح...الخ) بأبعاده المختلفة على حساب كل أنماط الفعل الثقافي الأخرى. لذا وجب توسيع دائرة هذا الفعل دون التركيز فقط على الممارسات الترفيهية الفكاهية رغم أهميتها، بل لابد من الانفتاح على كل الأفعال الأخرى عبر القيام بأنشطة علمية، والانفتاح على المؤسسات التعليمة لتعريف الناشئة بالثقافة المحلية المتنوعة، وكذا تشجيع البحث العلمي حول الثقافة المحلية بأبعادها المختلفة....الخ.

**خلاصات:**

إذا كانت التنمية الاقتصادية والسياسية ضرورة ملحة عبر إعطاء البعد الاقتصادي والسياسي أهمية كبرى، فإن الفعل الثقافي كذلك يحتاج إلى اهتمام أكبر؛ عبر حسن تدبيره بغية تحقيق تنمية ثقافية واجتماعية ملحة.

إن التقدم والتطور البشري رهين بترشيد وعقلنة الفعل الثقافي وفعاليته وديناميته، وتعتبر الثقافة عاملا مؤثرا في إحداث وإقلاع أية تنمية يراد لها النجاح. إن الأمر يستدعي ضرورة إعادة الاعتبار للثقافة فعلا وممارسة، على اعتبار أن الاستثمار في الثقافة هو أساس الاستثمار في التنمية البشرية، ومن ثمة فإن إهمال وعدم تقدير الثقافة وضعف الاستثمار فيها، هو ما يفسر تقهقر الوضع الاجتماعي والثقافي في المدينة. لذلك فالتنمية الثقافية تبدو عاملا مهما وضروريا لكونه يضفي دلالة جوهرية على وجود الذات الإنسانية في أبعادها الفكرية والوجدانية والأخلاقية، وبالتالي تكون هدفا للتنمية قبل أي اعتبار أخر. ومنه فالثقافة هي المدخل الأساس والفعال والصحيح لأي إستراتيجية تنموية في المدينة. غير أن هذه الغاية النبيلة يبدو لنا بأنها لن تتم إلا إذا تم استحضار ما يلي:

-توسيع دائرة دور القراءة والخزانات.

-تقريب المؤسسات الثقافية من المواطنين.

-القيام بعمليات تحسيسية بأهمية العلم والثقافة.

-ترشيد السياسات الثقافة والأخذ بعين الاعتبار كل الأنواع الثقافية.

-أن لا نعطي للفعل الثقافي طابع البهرجة والفكاهة رغم أهميتها.

-يجب أن تتحول الثقافة إلى طاقة خلاقة مبدعة وقوة دافعة نحو التقدم في شتى مناحي الحياة.

-ضرورة رسم سياسة ثقافية تروم اكتشاف الوجود الثقافي للأفراد، وكذا تطويره والاستفادة منه كطاقة تنموية تعمل على خلق دينامية اجتماعية في جميع بنيات المجتمع.

-الانفتاح على مكونات المجتمع المدني في هيكلة وتدبير الشأن الثقافي.

-في المجال الاقتصادي تقتضي أية رؤية تنموية جادة تغير وتطوير ثقافة الفاعلين في هذا الحقل.

**البيبلوغرافيا:**

-أبو عباس عبد الإله، أزمة المدينة العربية، وكالة المطبوعات ، الكويت، الطبعة الأولى1980.

-أحمد شراك، الثقافة وحوارتها، منشورات ط1، 2008.

-أنفلوس محمد، المدينة المغربية في أفق القرن الواحد والعشرين ، بين الهوية الوطنية والبعد المتوسطي، جامعة الحسن الثاني – المحمدية- منشورات كلية الآداب والعلوم و الإنسانية بالمحمدية ، سلسلة الندوات رقم 12، 2000،.

-الفيضل العيرج، الثقافة الحضرية ومشاكل الإندماج السوسيو ثقافي، طبع الرباط نيت ،2009.

-الزهروني محمد ومحمد البغصي، سياسية المدينة الواقع و أفق التفعيل،منشورات الملتقى الثقافي لمدينة صفرو،الدورة الثالثة والعشرون،الشركة العامة للتجهيز والطبع،فاس،2012.

-بوشنفاتي بوزيان، في التحضر والثقافة الحضرية بالمغرب دراسة في البناء الإجتماعي لمدن الصفيح ،الطبعة الأولى ، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي1988.

# European press as one of the aspects of the conflict on the city of Tangier

Bouhssi Hafida
University of literature and human science
.Dhar Imahraz– Fès

The city of Tangier played a strategic role as a gateway to Europe towards Morocco, making it the center of history and the competing European countries competed for their strategic, political and economic interests. The competition was particularly intense between England, which feared the city under the control of another country, thus jeopardizing its commercial and navigational interests in the Straits of Mount Tariq, and Spain, which always considered itself as the bridge of Europe towards Morocco and claims that it has historical rights by virtue of its proximity to the country, in addition to France, whose point of view for Tangier is to keep it in some way linked to the Sultan.

The European press stands as one of the conflictual aspects in the city. After the internationalization of the Moroccan issue and the holding of international conferences, such as the Madrid Conference and the Green Island Conference, newspapers began to be established in the city benefiting from the international body that was able to penetrate the various vital sectors of the city.

All these factors lead us to ask central questions such as: What are the most important factors that made Tangier attract the attention of Europeans? What are the most prominent newspapers that were published in the city of Tangier? How was the nature of the European conflict on the city of Tangier? Then how did Al Makhzan (the Moroccan authority) handle the European press?

These questions lead us to limit the axes of discussion and scrutinize them as follows:

-The strategic importance of the city of Tangier

-The emergence and development of the European press in the city of Tangier.

-Demonstrations of the European press conflict on the city of Tangier and the reaction of Al Makhzan.

## 1 - The Strategic Importance of the City of Tangier

The period of the reign of Mohamed Ben Abdallah was known as the golden period in the series of Moroccan-European relations in the context of the policy of openness aimed at encouraging and

expanding exchanges[1]. The concentration of consular representation in Tangier began to appear clearly from the end of the 18th century benefiting from this policy of openness. The Sultan began, however, to feel the imperial ambitions of the European countries in Morocco. He was able to restrict the consular representation in the headquarters away from the capital city, Fez, to prevent the penetration of Europeans to the depths of the country. The city of Tangier is highly significant because of its location near Europe, and being the junction of maritime communications across the Mediterranean Sea and the Atlantic Ocean. Since then, the city has a distinctive significance and in 1780 it became a diplomatic capital of the country.[2]

The sultans greatly contributed to the stability of the Europeans in the city of Tangier [3], both during the reign of Muhammad Ibn Abd Allah and in the era of other sultans. In this regard, we refer to the letter sent by Sultan Moulay Abderrahmane to his deputy Haji Abderrahmane Ash'ash on 24 Safar 1239 AH / October 30, 1823 in which he recommends the good of foreigners, and provide the conditions for an active commercial movement and this text:"(…) It is your command that each boat of the races who are on our own and hold our tents, which respond to those happy berths[4] (or rest), do not restrict them to carrying Fribish[5]and do not bother them in their eyes, We love everything that comes to our marchers from the boats mentioned above and goes back to it, because of the building of the anchors, and the work, God willing, as well as the boxes of consulates that are returned to their homes of food and clothes do not open them and do not fluctuate and recommend them good and the merchants who are there to build the marina God is Valmilan with charity, and this is your work, do not retreat in this peace."[6]

Several other factors contributed to the development of marine navigation in the city including the construction of the international lighthouse in the city for the landing of ships and the commercial activity of Gibraltar[7]especially after the construction of a pier in the city's marina in 1896 to receive various commercial boats[8]. The main

[1] - Abdul Aziz Khalouk Al-Tomsmani, "Trade Relations between Morocco and Europe in the Second Half of the Eighteenth Century", Dar Al-Niyaba Magazine, No. 22, 1989, p.

[2]- Ramon Lourido Diaz, «Le sultan sidi Muhammad ben .Abd Allah et l'institution de la représentation consulaire à Tanger, Tanger 1800-1956 Contribution à l'histoire récente du Maroc, Université Mohammed V Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, 1991, P.17.

[3]- General residence of the French Republic in Morocco, Cities and tribes of Morocco, Tangier and its zone, Leroux Ernest, vol.VII, Paris, 1921., p.260.

[4]- The word means export, Abdul Latif Al-Shadly, glossary of administrative terms and colloquial and foreign words contained in some Moroccan documents and works, Royal Press, Rabat, 2007, p. 227

[5]- Ibid, p.154.Origin of the word Fresco Fresco means fresh, and used in the documents in the sense of what is provided to the crew of the ship is exempt from the tenth.

[6]- Mohamad Daoud, History of Tetouan, Royal Press, Rabat, vol. VIII, 1978, p.

[7]- Jean Louis-Miège ‹Le Maroc et l'Europe ‹Editions La Porte ‹Rabat ‹tome II ‹pp.345-588.

[8]- Jamal El-Din El-Omrani Ashtayar, Tangier between 1900-1912 aspects of the development of political, economic and social conditions, a message to obtain the postgraduate diploma, supervised by

countries adopted by the European countries to achieve their economic penetration in Morocco[1] as they no longer only export their products, but also add to them the products of the remote inland areas like Tafilat and Fez which takes the port of Tangier as an outlet to contact[2].

By embracing international activities that are part of national jurisdiction, Tangier plays a prominent political role in the country's life and has become a crucial bridge for Europe in Africa[3]. All the embassies of foreign countries[4], which have commercial relations with Morocco, although relatively far from the political capital of Fez[5], is the only point in the Moroccan territory where the Europeans can communicate strongly with the Moroccan. This has resulted in the establishment of the "House of the Procuratorate" as an institution that played the role of mediator between the Sultan and the representatives of European countries and is interested in negotiating with them. At the same time Tangier witnessed the birth of international institutions. Since 1840 the International Health Council was established to examine the health affairs of the city. In 1865 another international committee was established to manage Spartel and the European community's established another international cell known as the Municipal Health and Roads Committee in Tangier.[6]

These factors have helped to form a diverse press movement in the city of Tangier, which has made it the scene of the conflict between the European countries and the arena of the multiparty press conflict.

## 2 - The emergence of the European press in the city of Tangier and its development.

According to an article by Professor Jemaa Beida which is related to the case of the foreign Gawazit[7] in Tangier, the appearance of the foreign press in Morocco dates back to the pre-protectorate period. The press paved the way for the military invasion under the so-called "peaceful intervention"[8] and "The Moroccan Question". The Tangier press has become more reflective of the international struggle over Morocco more than ever before accompanied with a fluctuation of its streams, doctrines and approaches.[9]

The Spanish were the first to start publishing newspapers in Ceuta, Melilla and Tetouan. They issued nine pamphlets in Ceuta between 1820 and 1873, two newspapers in 1860 during their military occupation, and one newspaper in Melilla in 1883. And its impact

---

Mohamed El-Amin El-Bazzaz, Faculty of Arts and Humanities, Rabat, 1996, p.

[1] - Jamadi Qassim, "Tangier's Image through the Literature of European Geographers in the Nineteenth Century", Tangier in Contemporary History, op. Cit., P.159

[2]-Abdul aziz khalouk al tamsmani" Riad al bahja in the tangiers news, dar al niyaba, Issue. 10, 1986, p.15.

11- 1Kann Reginald, The Moroccan Protectorate, Berger Levrault, Paris, 1921, p.220.

[4] - Mustafa Bouchera, Settlement and Protection in Morocco 1863-1894, Royal Printing Press, Rabat, Part II, p. 444

[5] - Jumada Qasim, "Tangier's Image", op. Cit., P. 163.

[6]- Abdul Aziz Khalouk al-Tomsmani, "The Spanish Aspirations in Tangier (1914-1945)", Dar al-niyaba, Issue 7, 1985, p.45.

[7]- Means newspapers and press.

[8]- Jamaa Baida, "The Case of Foreign Guiding in Tangier during the Last Quarter of the Nineteenth Century", Dar al-niyaba, No. 18, 1988, p.32.

[9]- Jamaa Beida, "Tangier Press: A Mirror of the Conflict of the States Around Morocco (1900-1912)", Tangier in Contemporary History, op. Cit., P.206

was not great on Moroccans who did not know Spanish. So, it did not last long[1].

What first of all matters to us are the newspapers that were published in the city of Tangier and we will include in this discussion the most important, then we will move to address the quality of the conflict that was on Tangier which is as follows:

- Al Maghreb Al Aqsa (The Far Maghreb): A weekly Spanish-language news paper appeared on January 28, 1883, and lasted about ten years. The most recent of which was founded by "Crickory Prince", and "Antonio Molinari"[2], who was the principal of the prince printing press. Both men were from Gibraltar and lived in Tangier for a long time[3]. This newspaper strongly defended the Spanish interests and incited some hostility to France as well. The number of it issues reached twenty[4].

- Morocco vigilance: the first French-language weekly newspaper[5] appeared on 14 July 1883[6], and continued to the beginning of the twentieth century, and then founded by the British protector .

"Abraham Levy Cohen,"[7]and after his death was purchased by the French protector" Haim Benchimol" under the guidance of the French Commission was highly defending the interests of France[8].

- Moroccan Times: A weekly English-language newspaper, founded by Edouard Mekine. It appeared on July 5, 1884, and continued to be published until it was incorporated in the year 1893 in the newspaper "Morocco Al-Aqsa" because of the financial distress it suffered. [9].

- The Mauritanian Echo: (The Sada Mauritanian), owned by "Okustin Lokaro" Alaraki, the newspaper was a semi-weekly newspaper issued in 1886 and continued until 1902. It was intended for commercial advertising. [10]

-Bolitino de lacamara de commercio de Tangier [11] : (Chamber of Commerce Newsletter, Tangier), a bi-monthly newspaper that began publication from 1887 until after 1902 and itwas the voice of Spanish economic interests in Tangier.[12]

- Diario di Tanci[13]: (daily Tangier), issued from 1889 to 1996 founded by the English

[1]- Mustafa Bouchera, Settlement and Protection in Morocco 1863-1894, Al Ma'arif New Printing Press, Rabat, Part IV, 1989, p.1473.

[2]- Jean Louis - Miège, "Newspapers and Journalists in Tangier in the 19th Century" Hesperis 1st and 2nd quarters, 1954 p.194.

[3]- Mustafa Bushra, Settlement and Protection ..., Part IV, op. Cit., P.1474.

[4] - Al-Tayeb Botbakalt, "The European Press in Tangier in the Late Nineteenth Century, its Importance and Impact", Tangier in Contemporary History, op. Cit., P.200.

[5]- Jamaâ Baida, The French-Speaking Moroccan Press of 1956, Publications of the Faculty of Arts and Humanities, Rabat, 1996, p.42.

[6] - Jean Louis Miège, "Newspapers and Journalists ...", op cit, p.195.

[7]- He was born in Tetouan in 1844 and died in London in 1888, where he studied and lived in England. He moved to France where he worked as a trade correspondent. He was a correspondent for several newspapers in Gibraltar and London where he wrote articles about Jews in the Times, Settlement and Protection ..., Part IV, op. Cit., P. 1476.

[8]- Mustafa Bushra, Settlement and Protection ..., Part IV, op. Cit., P. 1476.

[9]- Jean Louis Miege, Morocco ..., op cit, volume IV, pp.325-326.

[10]- Ibid, Mustafa Bushra, p.1474.

[11]- Boletino of the Camara de Comercio of Tangier.

[12]- Ibid, Mustafa Bouchara, p.1474.

[13]- Diary of Tanger.

"Adolfo Franceron"[1]. It was specifically interested in advertising and publicity. Moreover, it was a French biased for it was receiving financial assistance by the French Commission and specialized in advertising and publicity[2].

- Morocco: a weekly Arabic-language newspaper, and the first edition of which was published on May 15, 1889. The total number, however, was not more than thirty or less, and disappeared in the same year. Created by the French protector Daniel Soran, the newspaper was in four pages and described itself as the weekly literary scientific journal. Its main editors were the Lebanese Issa Faraj and Salim Kaspani.[3]

-Lakronia[4]: (news) it appeared in 1893 and was a semi-weekly newspaper. It was founded by "leopoldo unito", in the name of defending the international and local interests of the Moroccan ayala. The editors of this newspaper were Moroccan jews and it used to describe it selfas Hebrew Spanish[5].

- Morocco: founded by "Victor Serve," who came to Morocco in 1887, and died in Tangier in 1902 (). It was a French weekly paper published in 1893. It was not able to continue publication and disappeared in 1905[6].

- Spanish Africa:It was founded by the Spanish explorer and journalist SaturninoGimenez in 1903 and made it a platform for the Spanish union of North Africa. The newspaper was opposed to the French ambitions in Morocco for it called for a German-Spanish alliance to stand up to it and continued until the date of its suspension in December 1905 [7].

Al-Saada: A French newspaper, published in 1904. It was considered the first Arabic newspaper to be published in Morocco in the sense of the press [8], The Lebanese WadihKaram,was its chief-editor. The paper used to defend French interests in Morocco. Moreover, it was perceived in the sense that it created a roar in the minds of the Moroccans especially in Fez because of its polemical articles on Morocco[9].

Al-Mostaqbal (The future): a newspaper speaking on behalf of the Spanish community in Tangier, and it was common then to be a strong voice that defends Spanish interests against others' interests especially French[10].

- Moroccan Independence: Issued in 1907 under the patronage of the Belgian explorer Mr.Hemmens.[11].

- Alhaq: an Arabic-speaking Spanish newspaper founded on January 8, 1911 [12], It

[1]- A.Franceron.
[2] - Ibid, Mustafa Bouchara, p. 1474.
[3]- Ibid, 1478.
[4] - La Cronica.
[5]-Mustapha boushra, settlement and protection part 4, op. cit. p.1475.
[6]- Ibid, p. 1476

[7]- JamaaBaida, "Tangier Press ...", op. Cit., p.208
[8] - Zine El Abidine El Kettani, The Moroccan Press, Its Origination and Development, Fadala, Muhammadiyah, Part One, 2004, p.145
[9]- Ahmed Al-Makkawi, "aspects of the Shami presence in Morocco before and during protection", National Seminar on Moroccan-Shami Relations, Methodological Issues, ShuaibDakali University, Faculty of Arts and Humanities, Al-Jadida, 2008, p.61
[10]- Jamaa Baida, "Tangier Press ...", op. Cit., p. 208.
[11] - Ibid, p.210-211.
[12]- France considered the publication of this newspaper to be an outspoken competition for it, and it shed its Arab paper (happiness) on it, Zine El Abidine El Kettani, the Moroccan press ..., op. Cit., p. 172.

was edited by two Egyptians, Ahmed Refaat and Mahmoud Zaki. From the title it is obvious how Spain aims to convince its readers that the truth is always on its own side[1].

The Morocco Voice: founded by Mohammed al-Makki Nasseri on January 23, 1946, it was considered as the first national newspaper published in Tangier.[2].

### 3 - Manifestations of the European press conflict on the city of Tangier and the reaction of 'Al Makhzan.

We notice the fact that most of the newspapers appeared immediately after the Madrid Conference which drew many Europeans' attention to Morocco[3]. European ambitions were expressed in this regard around Tangier although they were united in a single attempt to control them. While the "Morocco Al-Aqsa" newspaper publicly declared the need to provide the appropriate atmosphere for the commercial field by introducing basic equipment into the city, the 'Morocco's vigilance' newspaper promoted the slogans of the French Revolution, such as "freedom", "equality", "fraternity" with the desire to appear in the form of progress and civilization.[4]

However, the Morocco's vigilance newspaper did not stop at this point, but it significantly had pursued an antagonistic policy to Al makhzan hegemony and expressed it in a more outspoken and severe than the others.The reason for this is due to its Jewish founder, "Levy Cohen." Although his order belonged to the British diplomatic commission in Tangier, he did not hide his service to the French ambitions in Morocco for several considerations, including: the fact that he chose to issue the newspaper in French. Moreover, he chose 14 July 1883which marks a national ceremony for the French.Also, the newspaper was sponsored by the French bank "Tranza Talantik[5].

The 'Moroccan vigilance' newspaper had followed the same path of demanding reforms and expressed that stating that: "the first duty of accredited diplomats in backward countries was to be firm, that Governments should step on the path of progress, and wondered: "Are there any men of this kind in Tangier?[6]

The newspapers intervened in all areas of life in the city of Tangier and accused the local representatives of Al makhzan of the city for being incompetent[7]. This had been expressed in one of the issues of 'Moroccan Alqsa': "The public services in the city are managed by incompetent people."Accordingly, the tone of the newspapers demanding reform has escalated to the point of calling for its imposition by force.[8]

Al Makhzan dealt with these newspapers in the beginning with a kind of lack of

---

[1]- Jamaa Baida, "Tangier Press is a Mirror of the Conflict ...", op. Cit., p.208.

[2] - JamaâBaida, The Moroccan Press ... op cit, p: 318

45- Jean Louis Miège, "Newspapers and Journalists ...", op cit, p.193

[4]- Mustafa Bushaara, Settlement and Protection ..., Part IV, op. Cit., p.1484

[5]-. JameaBaida, "The Question of the El-jawazit ...", op. Cit., p. 34

[6]- Mustafa Bushaara, Settlement and Protection ..., p.1485

[7] - Al Maghrib Al Aqsa Newspaper, Issue: 17-03-1900.

[8] - Ibid, Issue: 29-08-1903

appreciation for its seriousness and considered it a heresy, according to a letter addressed in this regard to the Aarbi Tarriss by Mohammed Gharit"(...)that the jawazit (news papers) are gates of HalibLail, and the innovations of things that have not been entrusted like, Misguidance[1].

However, he was annoyed by statements against him by these newspapers especially after they were issued in Tangier without obtaining the issuance license, in addition to the absence of any legal text regulating the basis of the profession. On the other hand, the Tangier journalists had no code of honor[2], Consular and judicial branches by the commissions because they reflect in one way or another their interests as Mustafa Boushraa emphasized. In his statement of 30/1/184, to Al-Maghrib Al Aqsa, he stated that "all reforms necessary for commercial development must be imposed."[3] Therefore, it obviously worked to defend directly foreign traders and therefore the press became as a forum for expressing their interests.

A letter from Al Makhzan explained the attitude of the latter about these newspapers, which began to get out of control and harassed in the policy of the country, a letter directed by Ibn Suleiman to Haj Muhammad al-Tarisfrom which we quote:"After that, it is not implicit the fact that what the foreign and Arab newspapers, which are printed in this way, are proud of the speech that frightens the parish of this auspicious eulogy and spoil the policy of Al-makhzan in its settlement and the consolidation of security and tenderness in it, until the issue went beyond the control of countries in its own newspaper coverage and all that disturbs its policy towards the people"[4].

This situation made the store take precautionary measures against these newspapers to reduce their risks. The store representative Mohammed Berkash traveled to France to discuss with the French Prime Minister, "Gul Ferry", but this did not stop the French attack. It may be explained that the directors of the three newspapers[5] issued in Tangier have English nationality. This is confirmed by the message sent by Muhammad Berkash to John Drummond Hai, the Minister of Great Britain in Tangier, on 9 November 1884, asking him to prevent the issuance of these newspapers due to their disrespect of the ethics of journalism in their insults of the Sultan and his people adding to that the foreign were too affected by the Tangier press[6].

On February 13, 1885, John Drummond Hai's government recognized Morocco's right to abolish the press on its soil[7]. On the other hand, Berkash suggested that the deputy of al-makhzen be allowed to negotiate with him in order to reach to an agreement to allow

[1] -. Public Library and Archives, Tetouan. 28/78.
[2]- Tayeb Boutbeqalt, "The European Press ..., op. Cit., pp. 199-200
[3] - Mustafa Bushaara, Settlement and Protection ..., Part IV, op. Cit., P. 1485, article in the newspaper Al-Maghrib al-Aqsa, No. 30-1-1884.
[4] - Public Library and Archives, Tetouan, 35/183
[5] - Al-Maghreb AL-Aqsa, The Awakening of Morocco: The Times of Morocco.
.
[6]- JameaBaida, "The Case of thejawazit ..", op. Cit., P. 34; Khaled Ben Saghir, Morocco in the British Archives Correspondence John Drummond Hai with the store 1846-1886, birth, Casablanca, 1992, p.505
[7]- JamaâBaida, The Moroccan Press ... op cit, p.48.

the press to continue publishing. Then, it seemed clear that John Drummond Hai was trying to gain time so that his name was not associated with a thorny issue, especially since he was the supervisor of retirement[1], knowing that it was logical to support the al makhzan because the Tangier press did not pity him.[2]

After that, Muhammad al-Turais sent a memorandum to the representatives of the European countries asking for the total ban on newspapers issued against al-makhzen. The opinion was divided among the foreign commissions in Tangier between those who believe that the newspapers exploit the prevailing circumstances of freedom in Tangier and those who believe that freedom of the press is a sacred issue. This decision led editors of newspapers to form the first union in the country, which was headed by the Jewish "Levy Cohen" [3] . Despite the differences, foreigners gathered to urge newspaper owners to stick to a moderated attitude.[4]

The debate between Britain and Spain intensified in 1888 after the Monitoring and Maintenance Committee of ManarSpartil was held. While the British representative William Kirby Crane thought that the best way to respond to the critical press was not to care of its issues, the representative of Spain, on his side, denounced the absolute freedom that was given to the press. Accordingly, the British representative protested against his Spanish counterpart's opinion and confirmed that the presence of the English press in Tangier remained legitimate as long as al-makhzen and Britain had not reached to an agreement about this issue.[5]

Spain opposed the newspapers in Tangiers because they wanted to block British policy in the region. Britain's position is that relations between the new representative and al-makhzen have been somewhat strained. In addition, the demand for a legal framework for the newspapers in Tangier is due to the fact that the newspapers published in the city to till 1888 are English newspapers.[6]

Germany, for its part, was trying to defend its interests. It also supported the methods that would help pass its thesis, which is evident in their invitation to the newspaper "Independence of Morocco," which launched an aggressive campaign against French colonial ambitions in Morocco and promoted an open door policy, Morocco should remain Moroccans. Moroccans mean not only the people but also all the migrants - regardless of their nationalities - who have come to this country in order to establish their basic institutions. The trader, the manufacturer, the worker, the capital and the world are all sources of creative potential. "[7]

When Al-Makhzen was annoyed by the emergence of new newspapers appearing in

[1]- Khaled Ben Saghir, Morocco in the Archives ..., op. Cit., P.541.
[2]- Jean Louis Miège, "Newspapers and Journalists ...", op cit, p.206.
[3]- JamaâBaida,, The Moroccan Press .... op.cit, p. 50
[4]- JameaBaida, "The Question of Al Jawazit ...", op. Cit., P.35.
[5]- Ibid, p.36.
[6]- Jamea Baida, "The Question of Al Jawazit ...", p. 36.
[7]- Jamea Baida, "Tanger Journalism: ...", op. Cit., p. 210-211, an article issued in the Independence of Morocco newspaper on 22 April 1907.

Tangier[1], the royal decision issued to the vice Taris "to negotiate with the members of the House of Prosecution ... about the damage caused by these newspapers, which cannot be ignored and cannot be silent about in any case and to appoint a fluent member as Mr. Ben Naser Ghannam to continue negotiationsin what concerns the provision of his memoirs from the deputies of the States in a soft and secret way"[2]. When the latter negotiated with the Ambassador of Germany he replied that the newspapers are free to publish and added that "The better for Al-makhzen in this case is to create an official Arabic newspaper in which the staff is required to be knowledgeable of foreign languages to react and re-write all the fallacies that are produced by other newspapers[3]. This paved the way to the creation of a new newspaper called "The Moroccan Tongue" on February 8th, 1907. The newspaper was edited by the brothers Shamian, Faraj Allah Nimour and Artur Namour, and continued to issue until June 1909, and stopped after it reached to the total number of 84 issues[4]. The owner of Riad Bahja commented in his talk about the newspapers in Tangier saying "The most creative and well mastered newspaper was the one that was called the tongue of Morocco. However, because of the reliability of its news and the facts that distinguished its news production made it envies seek to eradicate it (…). There exist in Tangier currently newspapers which the big majority acknowledges the fact that they won't get to this status."[5]

Moreover, Al-makhzen tried to exploit the press to defame its enemies, as being indicated in a document issued by Mohammed Gharit to Muhammad al-Taris stating "We inform you ahead of time(…) so that you can let the owner of The azithia know about all that has been mentioned before so that the state gets informed in order to take precautions against the deeds of this Jew and his illegal pursuits in what concerns the two sides."[6]

The Madrid Conference was one of the most important mechanisms that contributed to the emergence and development of the press in Tangier, which benefited from the consuls whose primary concern, was to center their countries' representatives more than anything else. This often leads to a clash with al-makhzen due to their provocations.

The fact that –al-makhzen considered the press as nonsense it did not deal with it in a professional and exploitative way to achieve

[1]- A letter from Abdul Karim Ben Suleiman to Muhammad al-Taris, Public Library and Archives, Tetouan, 35/183.
[2]- Public Library and Archives, Tetouan, 35/183
[3]- Al-Munouni Muhammad, Aspects of modern Morocco, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, Part II, 1999, p.283.
[4]- Jamea Baida, "Tangier Press ...", p. 209.

[5]- Mohammed Skirj, Riad Al-Bahja in the Tangier News, Part I, Manuscript of the Suburban Treasury, No. 936/403, pp 32-33.
[6]- Public Library and Archives, Tetouan, 28/58

its interests. It even instead called for stopping it after the failure of its negotiations with the representatives of the European countries, and did not understand the matter until after the exacerbation of the phenomenon. Then, in a desperate attempt, al-makhzen tried to issue newspapers in Arabic to respond to the European prejudice about Morocco, though its press was not as much as European's experience in the work of journalism. However, the setting up of press in that particular time in Morocco shows how the latter begins to sense the danger posed the danger posed by the European press on different areas of life within the country.

**Annex I:**

**A letter from Abdul Karim bin Sulaiman to Muhammad al-Taris about the destabilization of the foreign press in Tangier and the task of limiting its behavior.**

**Jumada II 1326/ 30-07-1908**

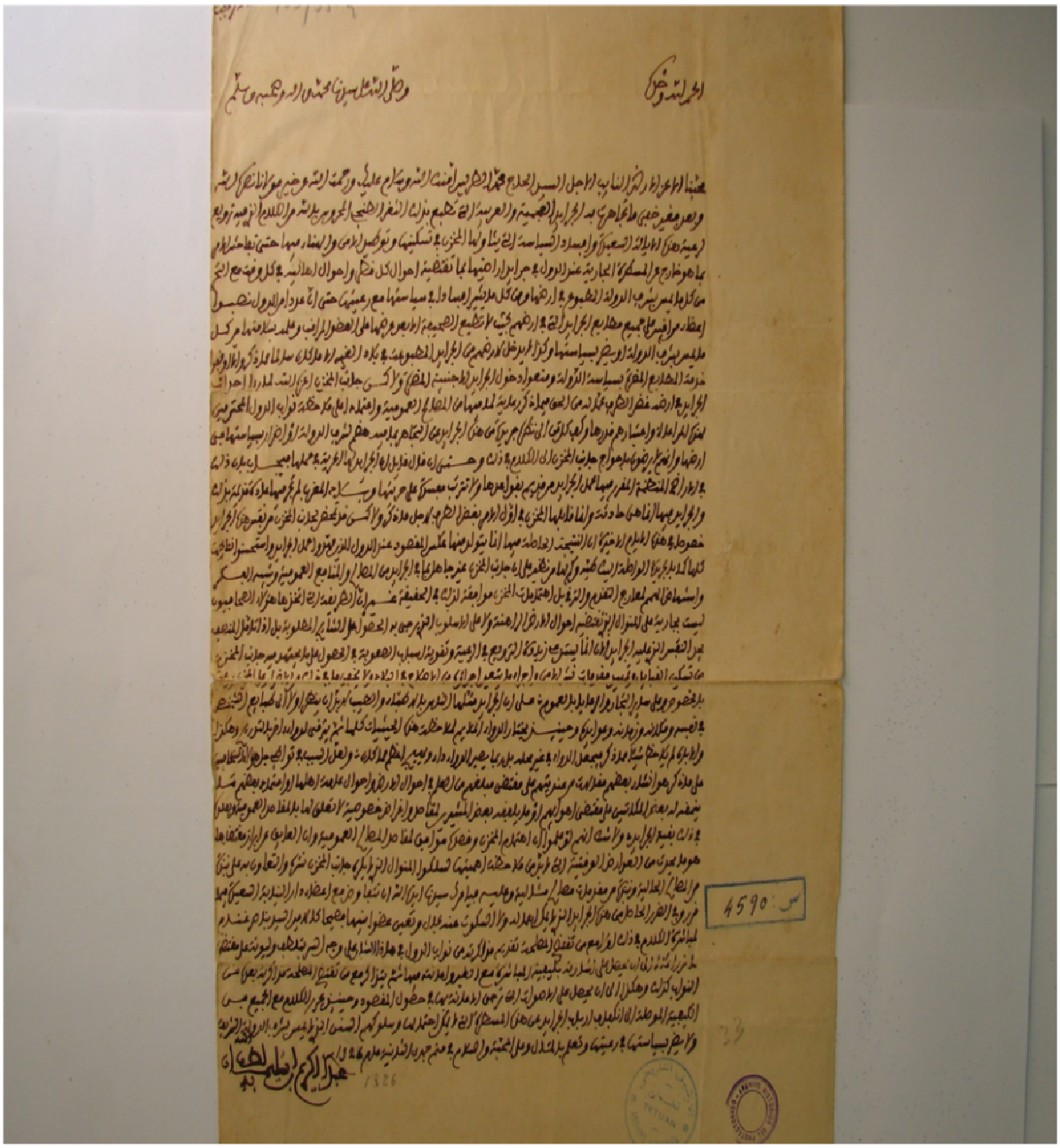

**Annex II:**

**A letter from Muhammad Al Mofadal Ibn Muhammad Gharit, to Haj Muhammad Ibn Al-Arabi Al-Taris, on the grounds that the creation of newspapers is a heresy, in 22 di hajja 1306/19**

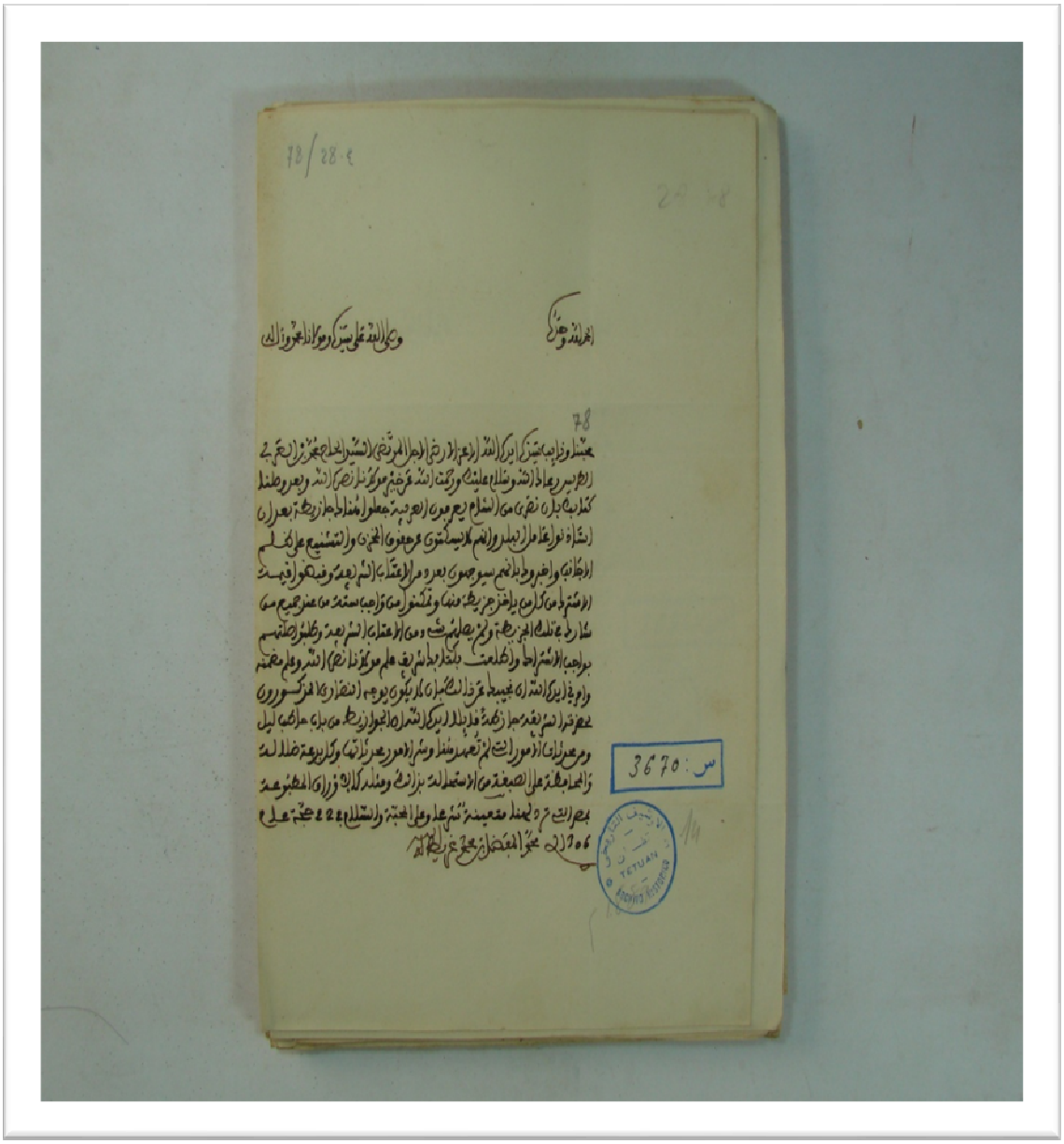

# مجلة ليكسوس

ⵜⴰⵏⴰⵡⴰⵔⵜ ⵏ ⵍⵉⴽⵙⵓⵙ

مجلة الكترونية متخصصة في التاريخ والعلوم الانسانية

ISSN: 2605-6259 :الترقيم الدولي المعياري للمجلة